

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨

رِبْضُ الْكَلَامِ مِعَانٍ

لِإِمَامِ أَبِي الْفَرجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ
خَيْرٌ عَلَيْهِ بْنِ الْجُوَزِيِّ الْقُرْشَيِّ التَّمِيِّيِّ الْبَكْرَيِّ الْجَنْبَلِيِّ
الْمِتَوْفُ ٥٩٧ هـ

رَابعَهُ وَقَدَمَ لَهُ
الدُّكُورُ السِّيدُ الْجَمِيِّلُ

سَارِيَانُ الثَّرَاثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ الْعِزَّةِ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ عَلِيٌّ

جميع الحقوق محفوظة

دار الريان للتراث

٣٥٠ - شارع الأهرام ت ٨٥٤٦٨٧ جيزه
- ١٧٧ شارع الأهرام محطة إسباتس - جيزه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد عن هذا الكتاب في فهارس المكتبة الأزهرية (باب الآداب
والفضائل) ^(١) ما يلي :

بستان الوعظين ورياض السامعين

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الجوزي
القرشي التميمي البكري الحنبلي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وقد رتبه على ستة عشر
مجلساً .

ويوجد من هذا الكتاب النسخ التالية :

- * نسخة في مجلد طبع المطبعة محمودية التجارية بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .
وبدأ أول هذه النسخة فهرسة ومقدمة في ٢٠ ، ٢٥ سم ، ٣١١ ص (١٢٦٦).
- . ٣٨٢٤
- * نسخة كالسابقة (١٢٦٧) . ٣٨٢٤١ .
- * نسخة كالسابقة (١٤٨٦) بخفيت ٤٥٤٨٤ .
- * ثلث نسخ كالسابقة (٤٨١١٤ - ٤٨١١٢ - ١٦٢٢) ، ، (٤٨١١٤ - ٤٨١١٢) .

(١) ج ٣ ص ٦٦٧ .

عملنا في هذا الكتاب

قمنا بدراسة هذا الكتاب ومراجعته وضبطه وتصحيحه واستدراك أخطائه وتلخص عملنا في الآتي : -

- تصحيح الأخطاء الإملائية الشائعة الكثيرة الورود والتي لم تخل منها صفحة .
- راجعنا النصوص القرآنية وأثبتنا أرقام السور والآيات حتى يسهل على القارئ الرجوع إليها في المصحف متى شاء .
- قمنا باستدراك التصحيفات والتحريفات في الهاشم .
- شرحنا غريب الألفاظ وبيننا معانيها .
- هذبنا وقوّمنا كثيراً من الأبيات الشعرية التي نظمها ابن الجوزي والتي أوردها الآخرين ، وكل ما ورد في هذا الكتاب من أبيات شعرية كلها مكسور محتاج للتقويم ، فاكتفينا بتصويب الأبيات الهامة حتى لا يخرج النص عن قول صاحبه .

والله المستعان .

مقدمة الكتاب

بِقَلْمِ الشَّارِحِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على رسوله الأمين سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

اللهم إنيأشهد أنك واحد أحد لا إله إلا أنت سبحانك أنت ولي
الصالحين وأشهد أن حبيبك نبينا رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين
وأني أستبرئ من كل ما يخالف الشرع والدين ، اللهم صل وسلم وبارك
على هذا النبي الأمي الأمين ، وارحم اللهم أرواح المؤمنين أحياء وأمواتاً
أجمعين ، فإن الأحياء أحوج إلى رحمتك بما هم فيه من ضلالات ووثنيات
وبدع وأهواء ، ولا يعمي الأبصار ويطمس القلوب كالشراك والكفر بانعم الله
وبالاستعاذه ألمح بها يا رب منها .

اللهم إنا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغرك وننوب إليك وننوك عليك
ونفر من حولنا وقوتنا إلى حولك وقوتك .

في هذه الأيام التي تمر بنا ، تمواج بالفتن موج البحر ظلماتها كالضباب
المضطرب من مدحمة الظلمات ، ومن خطورتها أن العهود قد سرقت
وخرائن الإيمان خربت في صدور الناس قال فيها رسول الله ﷺ فيما رواه

مسلم «بادروا بالأعمال : فإننا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويسمى كافراً^(١) ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بغرض من الدنيا » رواه مسلم في صحيحه . وورد في صحيح البخاري قوله ﷺ : - « أعذر الله إلى أمري ، آخر أجله حتى بلغ سبعين سنة » وفي رواية (ستين سنة)^(٢) أي لم يصبح له عذر بعد ذلك ، لأن في هذا العمر يكون قد استوت قناته واستحکم عقله وتتوفر فكره وأحاطت بكثير من التجارب وهذا كلها حجة عليه أمام الله سبحانه وتعالى . وقد روی عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : - قال رسول الله ﷺ : - « ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟

قال : إن كان محسناً : ندم أن لا يكون قد ازداد ، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع . رواه الترمذى^(٣) .

والقرآن الكريم يدق ناقوس الخطر ليقرع الآذان وهیهات من سامع ، أنصت إلى قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »^(٤) .

وهنا نرى دقة البيان القرآني في إستعمال لفظة المسارعة وهي أدق وأحكى وأوفق في إعطائهما مدلول سرعة الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى جل شأنه لأن الأجل غيب ولا يدرى إنسان متى يتوفى ، ولا تعلم نفس متى تقبض ...

ولذلك وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحت الإنسان على

(١) وفي رواية أو يسمى مؤمناً ويصبح كافراً .

(٢) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

(٣) وهذا مصدق لقوله ﷺ (خيركم من طال عمره وحسن عمله) .

(٤) آل عمران ١٣٣ .

الاستغفار والدعاء والإنابة وسرعة التوبة وعمل الخيرات قال تعالى :
﴿فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جمِيعاً﴾^(١).

وقال : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾^(٢).

وللحث والحض على عمل الخيرات يذكر الله سبحانه وتعالى عباده وخلقه إلى ما أعده للمتقين منهم في جنات النعيم قال تعالى : ﴿إنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَايَكَ يُنْظَرُونَ، تَعْرُفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَصْرَةُ النَّعِيمِ، يَسْقُونَ مِنْ رَحْيِيقٍ مُخْتَومٍ خَتَامَهُ مَسْكٌ، وَفِي ذَلِكَ فَلِيَتَنافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٣).

ذلك لأن مقام الآخرة مقام مسارعة ، ومسابقة ، وتنافس^(٤).

ولا بد من احتواء العبادة على شقي الرهبة من عقاب الله وعدابه لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفَقُونَ، إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^(٥).

وكذلك رغبة في نعيمه وفي جنته الوارفة الظلال قال تعالى : ﴿وَيَدْعُونَا رَغْبَأً وَرَهْبَأً، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين﴾^(٦). فشرط قبول الدعاء : الرغبة والرهبة ، مع الخشوع حيال جلال الله سبحانه وتعالى .

(١) البقرة ١٤٨.

(٢) الحديد ٢١.

(٣) المطففين ٢٢ - ٢٦.

(٤) لما تستحق من الإقدام لنعيمها الدائم الأبدي .

(٥) المعارج ٢٧ ، ٢٨ .

(٦) الأنبياء ٩٠ .

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة المحييا ، ومن فتنة الممات ومن فتنة المسيح
الدجال ، وأسألك اللهم أن تعيننا على الدنيا بالغنى عنها ، وتقورينا على
الآخرة بالقوى لها إنك أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة

في ذي القعدة سنة ١٤٠٣ هـ .
أغسطس سنة ١٩٨٣ م .

السيد الجميلى

هذا الكتاب

يعتبر مؤلف هذا الكتاب ابن الجوزي من أعظم رجال السلف الصالحين - ولا تزكي على الله أحداً - رحمة الله ونفعنا بعلمه آمين .

وقد تناول في كتابه هذا مسائل في غاية الأهمية في الوعظ والإرشاد والترغيب في الجنة والترهيب من النار وفي حث الناس على العمل الصالح وتوقع الموت في آية لحظة بما يقتضي ذلك من قول طيب وعمل صالح ونية خالصة وقصد شريف .

ويمتاز هذا الكتاب ببساطة أسلوبه ورقيق عبارته ، وعظمته بيانه وتنسيق مجالسه وسذاجة نظمه وأشعاره بما يتلاءم مع مجالس الوعظ والإرشاد والتحث على فعل الخيرات والإقبال على الجنة بما يقرب إليها من قول وعمل ونية .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب الشبيبة والشيوخ وأن يتقبل منا صدق السريرة وحسن الطوية والله من وراء القصد .

الناشر

مؤلف هذا الكتاب

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنفي الملقب جمال الدين ، يتصل نسبة بأبي بكر الصديق رضي الله عنهما^(١) ولد ابن الجوزي في أواسط سنة ٥٠٨ هـ .

كان ابن الجوزي إمام وقته في الحديث والوعظ ، لكنه ألف مصنفات عديدة في فنون متعددة ، وكان غزير المادة سخي العطاء عذب المورد ، تلقى علمه عن جلة الشيوخ في عصره وقد بلغوا نحوها من سبعة وثمانين شيخاً ، وكان إمام عصره^(٢) .

أنفق من عمره قرابة النصف قرن في الوعظ والإرشاد ، والتأليف بعبارة رقيقة وجملة أنيقة مع قوة في الأسلوب ودقة في الأداء ، وتناولت مؤلفاته مواضيع كثيرة متفرقة في الفقه والحديث والطب والتاريخ والترجمات والجغرافية والتوصيف واللغة^(٣) .

وقد وضع ابن الجوزي كتابه « تلبيس إبليس » وهو من أروع وأعظم ما

(١) راجع كتاب تاريخ أداب اللغة العربية تأليف جرجي زيدان مؤسس الهلال ج ٣ ص ٩٩ ، ص ١٠٠ .

(٢) راجع ترجمة ابن الجوزي أيضاً في وفيات الأعيان لابن خلkan ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣) حكى عن نفسه في كتابه (دفع شبه التشيه) أن مصنفاته بلغت ٢٥٠ مصنفاً .

كتب وافر فيه باباً طويلاً موسعاً ناقش فيه في فصول عدّة متصلة مطاعن الصوفية للإسلام ورد على كثير من أغلاط الصوفية بشجاعة وقوة وبيان .

وأشهد أن هذا الكتاب من أفضل كتبه لأنه يوضح مملكة الشياطين الواسعة وقمة مراسها وهيمنتها^(١) على نفوس الناس من العوام والبسطاء إلى العلماء ، ورجال التفسير ورجال الحديث إلى غيرهم من الصوفية المترفة .

والذي يدقق في دراسة هذا الكتاب يتبيّن إلى أن ابن الجوزي كان عالماً جليلًا قد أُتي حظاً من الفراسة والقدرة على التحليل والتأويل والبيان والفصاحة والمحصافة ورجاحة العقل وقوّة المنطق ، وهو على دراية وعمق بعلم النفس وما فيه من أصول وقواعد .

كما أعجبني كتابه الذي يبحث في التاريخ والدول والشعوب وهو تاريخ عام يبدأ بيدياً الخليقة حتى ظهور الإسلام بترتيب وتنسيق ، يبدأ بذكر دخول السنة وخلاصة حوادثها ثم يذكر من مات فيها ويرتب أسماءهم على حروف الهجاء مع خلاصة أخبارهن^(٢) وهذا إسمه (المتنظم في تاريخ الأئم) ومن هذا الكتاب أجزاء متفرقة شتى في برلين وأكسفورد وليدن والمتحف البريطاني ، وتوجد منه نسخة في آيا صوفيا في سبعة أجزاء منه الأجزاء : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، كويرلي ، والأجزاء ٢ ، ٣ ، ٤ ، في مكتبة الأستانة .

وقد قام ابن الجوزي باختصار كتاب (حلية الأولياء) في ليدن وفي الخزانة التيمورية كما أن له كتاب (مناقب أحمد بن حنبل) وتقع ترجمته للإمام ابن حنبل في مائة باب اشتغلت على تاريخه وحياته ومناقبه وأعماله .

ومما هو جدير بالذكر أن أعظم ما وضع في الحديث كتابه (الموضوعات)^(٣) .

(١) هيمنتها : سيطرتها .

(٢) فيه شيء من كتاب (البداية والنهاية لابن كثير) .

(٣) إلا أننا لنا رأي في هذا نأخذ به على ابن الجوزي - رحمة الله - وهو الجرأة في بعض الأحيان =

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وطبع بتحقيق غير دقيق .
وفي التفسير له (زاد المسير في علم التفسير) ويقع في خمسة مجلدات .

وله كتب أخرى أكثر عطاء وأجمل إثارة انتشرت في كثير من مكتبات العالم ولا مجال لسردها هنا .

وقد كتب عنه الرحالة العربي العظيم ابن جبير في رحلته فصلاً في عظه وتزاحم الناس على مجالسه ، وإلتفافهم حوله .

وقد توفي ابن الجوزي - رحمه الله - ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان ٥٩٧ هـ ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد .

وكان يوم وفاته حافلاً مشهوداً ببغداد حيث التف حول جثمانه الآلوف من المшиعين ، وقد صلوا عليه في الهزيع الأخير من الليل .
رحمه الله وبأوه في الآخرة مكاناً علياً وآتاه خيراً ما يؤتى الصالحين من عباده جزاء ما صدق النية وأخلص العمل والعطاء .

على تكذيب أحاديث صحيحة لرسول الله ﷺ دون أن يبين لنا علة مقبولة لتكذيبه لها ، ومثال ذلك تكذيبه للحديث الشريف (اللهم أحيني مسكيناً وأمنني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين) وقال إن هذا يتصادم مع نص القرآن في قوله تعالى : - «وجدك عاثلاً فأغنى به» ولكنه لم يدرك أن رسول الله ﷺ لم يكن يقصد المسكتة المادية وإنما يقصد بها الخضوع لل سبحانه وتعالى والذلة بين يديه سبحانه ، تواعضاً وخصوصاً ، وقد قال الإمام الشوكاني في كتابه (القواعد المجموعة في الأحاديث الم موضوعة) لقد افترى ابن الجوزي افتراء عظيماً بتكذيبه هذا الحديث . وقد أورد الإمام العجلوني في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) قال عن هذا الحديث : رواه الترمذى وأبن ماجة عن أبي سعيد الخدري ، قال : أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقوله في دعائه ، ثم يقول أخرجه الحاكم في مستدركه بزيادة ، وإن أشقي الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة ، وقال صحيح الإسناد ، كما رواه البيهقي في شعب الإيمان ، بزيادة وفيه منكر عند بعضهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
كما قال البعض عن هذا الحديث إنه غريب ، ورواه الطبراني في الدعاء بستن رجال ثقات عن عبادة بن الصامت ، وبعد ذلك يقول العجلوني «ومع وجود هذه الطرق لا يحسن الحكم عليه بالوضع ثم يقول : وادعى ابن الجوزي وأبن تيمية أنه موضوع ، وليس كما قال ، انتهى » .

الهدف من هذا الكتاب وتحليله

الهدف الذي إبتعاه المؤلف - رحمه الله - في هذا الكتاب يرمي إلى الترغيب في الجنة والترهيب من النار، وبيان فضل صالحات الأعمال التي يتقرب بها العبد من ربِّه سبحانه وتعالى .

فهو يتحدث عن الإستعاذه وكيفية الإستعاذه ، ويشرح أهوال القيامة ، ثم يذكر الميزان والصراط والأعراف ، ويصف لنا مشاهد شتى متنوعة متفرقة من يوم القيمة ، ويصف حال العباد في ذلك اليوم ، ويبين لنا أوصاف الجنة ترغيباً فيها وحثاً للعمل من أجلها ، ثم يبين فضل الصيام ويوم عاشوراء ويتحدث عن تحريم الخمر ، ويتكلم عن ذكر القبور وما فيه من الموعظة الحسنة ، وأن هذا هو السنة الصحيحة التي دأب عليها رسول الله ﷺ .

والكتاب أصاب وطراً ، ويبلغ الهدف الذي أراده منه مؤلفه ببراعة إستهلاك ، ودقة تناول وعمق تحليل وصدق طوبية للخير والنفع العام .

جزى الله الإمام ابن الجوزي عنا خير الجزاء ، وأثابه أكرم الثواب .

رأينا في هذا الكتاب والحكم عليه

هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، له قيمة عظيمة ونفع جليل ،
وكرامة بالغة ، وتقدير وفير على قدر ما بذل فيه مؤلفه ابن الجوزي -
رحمه الله - وقد وفق فيه توفيقاً عظيماً ، وبلغ به درجة عالية من التقدير
والتقييم .

ولقد لفت نظري فيه روعة اختيار المؤلف للعنوان ، وإصابته
في دقة بيانه ، ورصين عباراته فجعل من كتابه هذا بستانًا في الوعظ
وروضة في السمع ، وكلا اللفظين تشير إلى أبهى المناظر وأشهى
المشاهد ، والتي تسر الخاطر ، وتبتهر لها النفس ، فالبستان يجمع
الزهور على اختلاف أشكالها وألوانها ، والروضة هي ما انسعت
جنباتها وفاح أريجها ، وأينعت ثمارها ، وهذا استهلال
طيب جميل يسببي النظر ويروق له الخاطر ، إلا أن الكتاب - على
عظمة مادته - قد فاته شيء من التنسيق وتخريج الآيات والأحاديث
النبوية الشريفة ، وكان هذا سهلاً ميسوراً على رجل عظيم مثل ابن
الجوزي ، وهذا بالطبع لا يقدح في عظمة الكتاب لكن ربما يكون
انشغاله بتنسيق مجالسه وترتيب أفكاره شاغلاً له عن مثل هذا العمل ،

ومن ثم كان دورنا في شرح هذا الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه .

والكتاب في جملته نافع مفيد ، سخن المادة عظيم الفائدة جم
الفع خالٍ من البدع والخرافات والمخزعيلات التي تفشت في عصر
ابن الجوزي - ولا يزال الكثير منها متفشياً في زماننا هذا - ، ونحن
إذاء هذه المادة العظيمة الندية الخالصة نضرع إلى الله أن ينفع بهذا
الكتاب الشبيبة والشيوخ ، وأن يكون لهم جميعاً عوناً أي عون لما فيه
من علم وفضل وكرامة .

ونحن نوصي الجميع بدراسةه والتعمق فيه وتدبر معانيه وتأمل مقاصده الشريفة .

أما ما أورده ابن الجوزي في كتابه هذا من أشعار ، فلنا فيها رأي ولنا معها موقف ، فالكثير منها لم ينسبه لأحد من الشعراء ، ولم توجد في دواوين الشعراء التي بين أيدينا ، وهي مضطربة اللفظ ومختلة المعنى ، وقد تجمع القصيدة الواحدة عدة بحور ، وهذا لا يتفق مع أصول الشعر العربي الأصيل ، مما يجعلنا - إزاء هذا - نستبعد أن يكون شاعرً معاصرً أو سابقً لابن الجوزي هو صاحب هذا القريض الذي لا يمكن أن يندرج في خانة الشعر العربي الموزون المقوفي . ومما نرجحه أن ابن الجوزي قرر تلك الأبيات وأدرجها في كتابه دون أن ينسبها لغيره ، وبذلك لا يُعدُّ بين المنتحلين .

ونظراً للإمامي بأوزان الخليل ، ولتجربتي الحية في قريض
الشعر الموزون ، فقد استطعت تهذيب الكثير من ذلك الشعر الغير
مستقيم ما وسعني الجهد ، وما أحسست منه الفائدة والنفع . أما
بعض الأبيات التي لا تستحق الوقوف عندها لسطحيتها وسذاجتها فقد
ضربنا عنها صفحأ رغم تكرارها في الكتاب .

ولم يخل الكتاب من بعض التحريرات البسيطة ، والتي أشرنا إليها ، ونادرًا ما صادفنا شيء من التصحيح نوّهنا عنه في حواشى الكتاب .

أسأل الله أن يرحم مؤلف الكتاب رحمةً واسعةً ، وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يهنيء لدار النشر كل سداد وتوفيق وازدهار على اهتمامها بإحياء هذا التراث القيم وتخليده وعلى إثراء المكتبة الإسلامية بالمراجع والمتون القيمة ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من أفق خلق الله إليه وأضعفهم وأحوجهم إلى صفحه وعفوه ورضوانه هذا الشرح والتعليق المتواضع ، وأن يسامعني إن فاتني شيء من التقصير الغير مقصود ، فإن الكمال لله وحده ، والله سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

١ - مجلس في الاستعاذه

تفسير الاستعاذه

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِمَا يَنْزَغُنَّكُم مِّنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قرأتُ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ المعنى ، فاستعد بالله إذا أردت أن تقرأ القرآن ، يقال : أعود بالله ملاداً وعياداً ، ويقال هذا عوذ لي مما أخاف منه ، أي مجيري والداعع عني . وتسمى المرأة عائداً لأنها تعوذ بولدها . والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان . وكان النبي ﷺ يتعمد من آفات كثيرة تواترت بها الأخبار . وكان رسول الله ﷺ يتعمد من البخل ، والجبن ، والهرم ، والكسيل ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال^(١) فتعودوا مما تعوذ منه نبيكم ﷺ واعتصموا بمولاكם العظيم من كيد الشيطان الرجيم . أعود بالله وأحتمي بالله واستكفي بالله ، يا قارئ يا تالي بمن تعوذ ، بمن تلوذ^(٢) ، بمن تستغيث ، بمن تستجير ، بمن تستنصر ، بمن تعتصم^(٤) ، بمن تحتمي ، بمن تستكفي ؟ إلا بالله !!

(١) نزغ الشيطان : أفسد وأغرى .

(٢) الدجال : المسيح الكاذب .

(٣) يلوذ به : يلجأ إليه ويحتمي به .

(٤) تعتصم : من العصمة ، يقال اعتصم بالله أي امتنع بلطفة من المعصية ، قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ لِيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ يجوز أن يراد لا معصوم ، فيكون فاعل بمعنى مفعول .

نصائح

اعلم أن المستعied بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين .

أعوذ بالله من الذنوب والعصيان ، أعوذ بالله من الضلال والخذلان ،
أعوذ بالله من سخط الرحمن *

اعلم يا أخي أن العبد إذا اعتمد بحبل السلطان المخلوق سلم من شر
الظالمين ، فأحرى^(١) أن يسلم المستعied برب العالمين من الشيطان العدو
اللعين *

روي عن النبي عليه السلام أنه قال « من استعاذه بالله في اليوم عشر
مرات من الشيطان الرجيم وكل الله به ملكاً يذود عنه شر الشيطان كما تذاد^(٢)
الغريبة من الإبل عن الحوض » فكيف لا يسلم المستعied^(٣) بالله من الشيطان
والملك يذود عنه بأمر الملك الديان !؟

كيفية الاستعاذه

أعوذ بالله من أكل الحرام ، أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والأيتام ، أعوذ
بالله من ارتكاب الكبائر والآثام ، أعوذ بالله من سخط الملك العلام ، أعوذ
بالله من عدم التوفيق لحسن العمل ، أعوذ بالله من الركون إلى طول الأمل ،
أعوذ بالله من تمزيق الأعمار ، في مخالفة هدى الأبرار ، ونستعينه على تطهير
القلوب من طوالع الارتياح ، وجنايات الاغتياب ؟ فإنه داء قد أعيانا دواوه ،
وتعذر شفاؤه ، وعمّ بلاوه ، وكما نستعين به على تطهير ضمائernا من جب
الدنيا فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأصل كل بليه ، فلذلك نسأله علماً

(١) أحرى : أجدر وأخلق .

(٢) ذاد : يذود الإبل أي يسوقها ويطردها .

(٣) المستعied : استعاذه به أي لجا إليه ، وقولنا معاذ الله أي أعوذ بالله معاذ .

نافعاً ، وعملاً متقابلاً ، وإيماناً صريحاً ، ويقيناً صحيحاً . أعود بالله من رأي
يكون ضللاً ، أعود بالله من عمل يصير حسرة ووبالاً ، أعود بالله من نية
تعقب وزراً ، أعود بالله من عزيمة تجلب شراً أعود بالله من عدم التوفيق ،
أعود بالله من ترك التحقيق ، أعود بالله من ترك السعة والرجوع إلى الضيق *

تحذير من الشيطان

عباد الله تفكروا في إخراج أبيكم آدم من الجنة دار الأمان^(١) ، وهبوطه
إلى دار الذل والهوان ، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان . وقد نهاكم
مولاكم عن طاعته ، وأمركم بمعصيته ، فإن في طاعته سخط الرحمن ،
ومعصيته توجب سكتى الجنان^(٢) ، ونزول محل الرضوان *

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ الشيطان يدعكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء ﴾^(٣) فمن أطاعه خذله وصدّه عن الهدى ، وفتح في قلبه أبواب
الضلال والردى *

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾^(٤) أعود بالله
من وسوس الصدر ، أعود بالله من المكر والغدر ، أعود بالله من شتات
الأمر ، أعود بالله من قلة الشكر ، أعود بالله من عذاب القبر ، أعود بالله من
ترك المتاب ، أعود بالله من شدة العذاب ، أعود بالله من مناقشة الحساب ،
أعود بالله من غضب رب الأرباب *

(١) ربما يقصد بذلك ابن الجوزي دار الأمان أي جنة الآخرة ، ولكننا لا نوافقه على ذلك لأن جنة
الثواب في الآخرة ليس فيها تكليف ولكن جنة آدم هي بستان ، وكان العرب الأقدمون يسمون
الخييل جنة .

(٢) الجنان : الجنة .

(٣) البقرة ٢٦٨ .

(٤) الفرقان ٢٩ .

التعوذ عبادة

وأعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لأن الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتبعه من الشيطان الرجيم في محكم القرآن الكريم . الله الله لا تقرروا عين عدوكم الشيطان ، فإنه يؤديكم إلى عذاب النيران ، وتصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان . أعوذ بالله من مرديات الأعمال ، أعوذ بالله من الغي والمحال ، أعوذ بالله من سخط ذي الجلال *

وأعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الأعداء ، وصار في حرز^(١) ذي النعم والآلاء .. ومن استعاذ بالملك الرحمن ، سلم من شر العدو الشيطان . والاستعاذه أحصن حصن ل الدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم ، وأحرز حرز لقلبه من وسوس العدو اللثيم . أعوذ بالله من شهادة الزور ، أعوذ بالله من ركوب الفجور ، أعوذ بالله من الغي والنفور ، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المشبور ، أعوذ بالله من الركون إلى دار الغرور ، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور *

تعوذ النبي ﷺ

روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من صاحب غفلة ، وقرين سوء وروح^(٢) أذى » أعوذ بالله من شماتة الأعداء ، أعوذ بالله من خيبة الرجاء ، أعوذ بالله من عضال^(٣) الداء ، أعوذ بالله من مخالفة الهدى ، أعوذ بالله من أفعال الردى ، أعوذ بالله من سخط ذي النعم والآلاء ، أعوذ بالله من عشرات اللسان ، أعوذ بالله من التنميمة^(٤) والخذلان ، أعوذ بالله

(١) الحرز : الموضع الحصين ، ويسمى التعويذ حرزًا .

(٢) في الأصل : زوج أذى ولعله تحريف .

(٣) الداء العضال : الداء الشديد الذي أعيى الأطباء كما يقال أمر عضال إذا صعب وتعقد .

(٤) التنميمة : هي إظهار ما خفي ، وإفشاء الأسرار .

من الغيبة^(١) والبهتان^(٢) ، أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان *

أحاديث في عذاب القبر

روي عن النبي ﷺ أنه مرّ على البقيع فوقف على قبر ثم قال : « الآن أقعدوه ، والآن سألوه ، والذي بعثني بالحق لقد ضربوه بأربعة من نار لقد تطايير قلبه ناراً » ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول ، ثم قال ﷺ لأصحابه : « ولو لا أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع » فقللوا يا رسول الله ما كان فعل هذين الرجلين ؟ فقال عليه السلام : « أما أحدهما فكان يمشي بالنعمة بين الناس ، وكان الآخر لا يستتره من البول »^(٣) .

أسباب عذاب القبر

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يعذب أحدٌ في قبره إلا بإحدى ثلاثة ، في الغيبة والنعمة والبول » فالله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنعمة والبهتان ، وأذى الجيران ، فإن ذلك كلّه يبعد عن الرحمن ، ويقرب من الشيطان ، ويصد عن الجنان ، ويؤدي إلى النيران . أعوذ بالله من علة الدين ، أعوذ بالله من ضعف اليقين ، أعوذ بالله من الشيطان اللعين ، أعوذ بالله من سخط رب العالمين ، أعوذ بالله من الشيطان المثير ، أعوذ بالله من عذاب القبور ، أعوذ بالله من ترك النعيم والسرور ، أعوذ بالله من الصد من دار العبور ، أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور ، أعوذ بالله من عقوبة من يعلم ما في الصدور *

(١) الغيبة : ذكر مساوىء الغير في غيابه .

(٢) البهتان : إذا ذكرت أخلاقك في غيابه بما هو فيه وبكله ذكره ، ولما سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة قال : أن تذكر أخلاقك في غيابه بما يكرهه فإنه قال السائل فإن كان فيه ما أقول يا رسول الله ، قال تكون قد بهته .

(٣) لأن البول نجس .

القرآن يأمر بالاستعاذه

واعلموا عباد الله أن من استعاذه بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم . وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذه من اللعين إبليس في آي كثيرة من القرآن . فمن استعاذه بالملك الوهاب ، من شر الشيطان الكذاب ، فقد عمل بالسنة وأحكام الكتاب . والقرآن شافع لمن عمل به ، وخصم على من لم يعمل به *

واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العمل بالتترزيل ، ويعدكم عن الملك الجليل ، ويلقيكم في معصيته لتصيروا إلى العذاب الدائم الطويل ، في اليوم الهائل العبوس^(١) الثقيل *

لكل أحد^(٢) شيطان

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت قلت يا رسول الله ما من أحد إلا ومعه شيطان ؟ قال : « نعم » قالت وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا إلا أن الله أعاني عليه فأسلم » أعوذ بالله من خشوع النفاق ، أعوذ بالله من البعد والفرقان ، أعوذ بالله من مخالفة الملك الخلاق ، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق ، أعوذ بالله من الخلاف بعد الوفاق . وأنشدوا :

ويحكي عَذْ بِالله ذِي الْجَلَالِ وَالْمَجْدُ وَالنِّعَمَاءُ وَالْإِفْضَالِ
ثُمَّ أَتَلُّ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ وَوَحْدَ اللَّهُ وَلَا تَبَالِ

أعوذ بالله من عبد شارد ، أعوذ بالله من شيطان مارد ، أعوذ بالله من عدو حاسد ، أعوذ بالله من قلب فاسد ، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقادع *

(١) العبوس : الشديد .

(٢) أحد بمعنى واحد ولكنها لا تثنى ولا تجمع .

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعده خيراً أبعد عنه
شيطانه وأعانه عليه ونشطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فأقبل العبد عند ذلك
على مولاه ، وأعرض^(١) عن سواه . وتأثر رضاء سيده على هواه ، فعند ذلك
يجعل الله الجنة العالية مأواه . وإذا أراد بعده شرًا مُكْنَى منه شيطانه وسلطه
عليه فأبعده عن طاعة الجبار ، وكسله عن عمل الأبرار ، وحبيبه إليه ، أعمال
أهل النار ، وبغضه إليه أعمال أهل دار القرار *

فرح الشيطان بال العاصي الجاهل

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا بلغ الرجل الأربعين سنة^(٢)
ولم يغلب خيره على شره قبله الشيطان بين عينيه وقال فديت وجهًا لا يفلح
أبداً » فإن من الله وتاب عليه واستنقذه من الضلال واستخرجه من غمرات^(٣)
الجهالة يقول الشيطان - لعنة الله - وأوبلاه قطع عمره في الضلال فأقر
بالمعصية عيني ، ثم أخرجه الله بالتوبه من الجهة فأكثر بالتوبه حزني . فالله
الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان ، وارجعوا بالتوبه إلى مولاكم
الرحمن ، فعساه أن يستر ذنبكم وعيوبكم بستر الغفران ، إنه كريم متفضل
منآن^(٤) . أعود بالله من الشقاوة بعد السعادة ، وأعود بالله من الغرة^(٥) بعد
الإرادة ، وأعود بالله من النقصان بعد الزيادة . أعود بالله من الكفر بعد
الإيمان ، أعود بالله من القطيعة والحرمان ، أعود بالله من طاعة الشيطان ،
أعود بالله من العقوبة والهوان ، أعود بالله من نقض العهود ، أعود بالله من
مخالفة الملك المعبد ، أعود بالله من العذاب الدائم والخلود ، أعود بالله من
سخط ذي الكرم والوجود *

(١) أعرض عن سواه : انصرف عنه .

(٢) لأن سن الأربعين فيه يستحسن العقل ويستوي الفكر .

(٣) غمرات الجهة : أي الجهة الشديدة .

(٤) منآن : كثير من أي كثير العطاء وال وجود .

(٥) الغرة : بكسر الغين الغلة .

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فإنه عارف بالعيوب ، بصير بالقاء العبد في الذنوب ، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعذوا من شره بмолاكم علام الغيوب . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمِعُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ دُعَاءٍ لَا يَسْمَعُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَمَلٍ لَا يَرْفَعُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْمَصِيرِ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْخَيْرِيَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمِنْ التَّزِينِ بِمَعْصِيَتِهِ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ زِيَغِ الْقُلُوبِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَنَابِعِ الْذَّنَوْبِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَرَادِفِ الْعِيُوبِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُخْطِ عَلَامِ الْغَيُوبِ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُضِلَّاتِ^(١) الْفَتَنِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْبَلَاءِ وَالْمَحْنِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُخْطِ ذِي الْجُودِ وَالْمَنْنِ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ النَّقْصِ بَعْدِ التَّكَامِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ التَّخْلُفِ بَعْدِ الْإِقْدَامِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُخْطِ أَحْكَمِ الْحَكَامِ *

جنود إبليس

ذكر في بعض الأخبار أن إبليس - لعنه الله - يبعث في كل يوم ثلاثة وستين عسكراً لإضلal المؤمنين ، والله تعالى ينظر في قلوبهم ثلاثة وستين نظرة ففي كل نظرة من نظراته تهلك عسكراً من عساكره فأئن تبقى عسكر للشيطان في جنب نظرة الرحمن !! *

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس الشيطان المخدوع ، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالأيات والخشوع ، وأسيلوا على ما فرطتم غزير الدموع^(٢) . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَوْاقِبِ الْخَلَافِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْجَرَأَةِ وَالْإِسْخَافِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْعَصِيَانِ وَقَلْةِ الاعْتِرَافِ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْبَاطِلِ وَشَرِهِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ وَمَكْرِهِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْعَصِيَانِ وَذَكْرِهِ . أَعُوذُ

(١) مُضِلَّاتُ الْفَتَنِ : التي تضل الأفهام والمعقول لاختلاطها بنزعات الخير ، أي يظنون بها الخير وهي سوء .

(٢) أي بالتوية النصوح .

بالت الله من فساد القلب ، أعود بالله من ترافق الذنب على الذنب ، أعود بالله من سخط الملك الرب *

محاورة إيليس لموسى

روي أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه لا تخلون بأمرأة غير ذي محرم فأكون ثالثكما ، ولا تقضين فأنال منك ، وإذا همت بصدقة فبادر^(١) إليها ، فإنك إن لم تبادر إليها فتحت لك في ذلك سبعين باباً من الفقر أمنعك بها من الصدقة *

وقيل في قول الله عز وجل : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً »^(٢) الآية . أي : يرده الشيطان إلى نفسك وليسريك اشتغالك بربك ، وقيل يعدكم الفقر في طلب فوق الكفاف فيكون عندك ما يكفيك وأنت تحرص على جمع الزبادة وهو الفقر اللازم فيرده عن غنى الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذي يؤدي صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد . وقيل يعدكم الفقر في البذل والعطاء في مرضاه الله عز وجل وهو الغنى لأن الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلاً فينبغي للعبد أن يذكر من الله تعالى عليه ، وإحسانه إليه ، وإنصاله لديه *

أصل البخل والكرم

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال في محكم التنزيل على لسان محمد رسوله عليه السلام « ومن يوقد شح نفسه فأولئك هم المفلحون »^(٣) ومن هو بخيل شحيح فليس بواق ولا مفلح . واعلم أن البخل شجرة في النار

(١) بادر إليها : سارع إليها .

(٢) البقرة ٢٦٨ .

(٣) وردت هذه الآية في سورتين : الحشر ٩ والتغابن ١٦ .

وأغصانها مدللة على الدنيا وهي شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قادته إلى النار . وكذلك الكرم شجرة في الجنة وأغصانها مدللة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم ، والكرم من أخلاق الملك الكريم ، فمن تعلق به فقد أسرخط الشيطان الرجيم . ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً قط إلا وهو كريم ، ولا رأيتم عبداً صالحًا إلا وهو كريم . قال فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين ، وهو من أخلاق رب العالمين ، فاستعملوه بينكم يا معاشر المؤمنين ، والمؤمنات يا أمّة محمد خاتم النبيين . أعوذ بالله من عين لا تبكي عليه ، أعوذ بالله من قلب لا يستنقذ إليه ، أعوذ بالله من دعاء لا يصل إليه ، أعوذ بالله من الذل إلا إليه^(١) .

نجاة المستعيد من العذاب

واعلموا عباد الله أن المستعيد بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناجٍ من العذاب الأليم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدهم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليهم ﴾^(٢) وإنما يأمركم الشيطان بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه *

قال الله تعالى : ﴿ وَدُولَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءٌ ﴾^(٣) أَعُوذ بالله من اللهو والغفلات ، أَعُوذ بالله من العذاب والحسرات ، أَعُوذ بالله من غضب إله الأرض والسموات .

إخواني أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان المهن^(٤) الذليل ، واعملوا بالسنة والتزيل^(٥) .

(١) الذل لله عزة وقوّة لأنّه يفتح أبواب رحمة الله ومن تولاه الله عزّ وانتصر .

(٢) البقرة ٢٦٨ .

(٣) النساء ٨٩ .

(٤) في الأصل (المهن) وهذا خطأ .

(٥) التزيل : القرآن .

خصال الخير عن الإمام علي

روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً ، أولها من عرف الله فأطاعه ، والثانية من عرف الشيطان فعصاه ، والثالثة من عرف الحق فاتبعه ، والرابعة من عرف الباطل فاجتبه ، والخامسة من عرف الدنيا فأعرض عنها ، والسادسة من عرف الجنة فطلبها . فالله الله عباد الله اجتهدوا في طاعة الرحمن الرحيم . واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم *

من رأى إبليس من الصحابة والصالحين

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأيت إبليس اللعين في المنام منكوساً فهمست أن أقرعه بالعصا فقال لي يا أبا سعيد أما علمت أنني لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة ، قال فقلت له يا ملعون فما الذي تخافه ؟ قال أخاف من شيتين ؛ أحدهما استعاذه المستعيذين ، والثاني شعاع معرفة الصادقين . أعود بالله من لا يشفق على نفسه ، أعود بالله من لا يبكي على رمسه^(١) ، أعود بالله من لا يقدم ليومه من أمسه *

حكي عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال : رأيت إبليس في المنام عرياناً يتلاعب بالناس فقلت أما تستحي من الناس ؟ . فقال الملعون بالله عليك هؤلاء عندك ناس ؟ . لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، فقلت له يا ملعون ومن الناس ؟ قال ثلاثة نفر بمسجد الشيرازي - كذا سمي المسجد - أمرضوا كبدي ، وأنحلوا جسمي ، كلما^(٢) همت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أن أحترق ، قال الجنيد : فانتبهت وقد بقي من الليل بقية فخرجت إلى المسجد الذي ذكر الملعون فدخلته فإذا بثلاثة نفر

(١) الرمس : القبر .

(٢) ورد في الأصل (فلمـا) وهو تحريف .

قعود رؤوسهم في مرتعاتهم فقال لي أحدهم : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئاً قبله ! يا أخي أعلم أن من تعود بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم ، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن إبليس اللعين ﴿لَا قعدن لهم صراطك المستقيم﴾^(١) وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعاً طريق الدين كما أن اللصوص قطاع لطريق الدنيا على المسلمين^(٢) ، فإبليس لعنه الله قاطع طريق العقبي^(٣) ليصدكم عن الحق والهدى ، فإذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين *

وقاية الله من إبليس

قال الله سبحانه : ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكُم مِّنَ الشَّيْطَانِ نَرْغُبُ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾^(٤)
وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٥) الآية وقد أمر الله تعالى عباده أن يقولوا^(٦) في الصلاة سبع عشرة مرة في سبع عشرة ركعة وهي عدد ركعات الفرض : ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فأنى يضرك كيد الشيطان الرجيم ؟ *

أعلم يا أخي أن البيت المعمور كان في الأرض إلى وقت طوفان نوح عليه الصلاة والسلام فحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع إلى السماء . وقلب المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف مرة فهو بالحفظ أولى ، لأن البيت المعمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق إليه ، فشتان ما بينهما !! *

ذكر عن أبي سعيد أنه قال في قول الله عزوجل : ﴿إِنَّ عَبْدِي لَيْسَ

(١) الأعراف ١٦ .

(٢) لعله يريد بذلك محترف قطع الطريق على المسلمين وغير المسلمين .

(٣) طريق العقبي : الإنابة والرجوع إلى الله .

(٤) فصلت ٣٦ .

(٥) التحل ٩٩ .

(٦) في الأصل : يقولون .

لَكُمْ سُلْطَانٌ^(١) كَأَنَّهُ يَقُولُ إِنْ كَانَ لَكُمْ سُلْطَانٌ أَنْ تُلْقِيَهُمْ فِي
مُعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَلَا يَلْهُوكُمْ أَنْ تَمْنَعُوهُمْ مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ *

وَقُولُ آخَرُ ؛ إِنْ كَانَ لِلشَّيْطَانِ سُلْطَانٌ فِي إِلَقاءِ الْعَبْدِ فِي الْمُعْصِيَةِ ،
فَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا لِلشَّيْطَانِ فِي تَطْهِيرِ الْعَبْدِ مِنَ الْخَطَايَا ، وَلَيْسَ قُوَّةُ
الشَّيْطَانِ بِأَكْثَرِ قُوَّةٍ مِنْ مَغْفِرَةِ الرَّحْمَنِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الإِيمَانِ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
كُثْرَةِ الْفَسَادِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضْبِ رَبِّ جَوَادِ ،
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ التَّنَادِ^(٢) ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ القَطْعِ وَالْبَعْدِ . وَأَنْشَدُوا :

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ مَوْقِفٍ يَشَهِّدُهُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ
إِنْ كُنْتَ بِشَسْعِ الْعَبْدِ يَا سَيِّدِي فَأَنْتَ رَبُّ سَيِّدٍ غَافِرٍ

ضعف الإنسان والشيطان

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمِّيَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ، وَقَالَ فِي
آيَةِ أُخْرَى ﴿إِنْ كَيْدُ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٣) وَالضَّعِيفُ إِذَا اقْتُلَ وَلَمْ يَكُنْ
لَوَاحِدٌ مِنْهُمَا مَعِينٌ لَمْ يَظْفِرْ بِصَاحِبِهِ ، فَأَمْرَ اللَّهِ الْإِنْسَانُ الْمُضْعِفُ أَنْ يَسْتَعِينَ
بِالرَّبِّ الْلَّطِيفِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ الْمُضْعِفِ لِيَعْصِمَهُ مِنْهُ^(٤) وَيَعْيِنَهُ عَلَيْهِ . مِنْ كَانَ
فِي مَعْوِنَتِهِ إِلَهٌ عَظِيمٌ ، لَمْ يَضُرِّهِ كَيْدُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، مِنْ كَانَ فِي مَعْوِنَتِهِ
الْمَلَكُ الْوَهَابُ ، لَمْ يَضُرِّهِ كَيْدُ الشَّيْطَانِ الْكَذَابِ ، مِنْ كَانَ فِي مَعْوِنَتِهِ الْمَلَكُ
الْقَهَّارُ ، لَمْ يَضُرِّهِ كَيْدُ الشَّيْطَانِ الْفَرَّارُ ، مِنْ كَانَ فِي مَعْوِنَتِهِ الْمَلَكُ الرَّحْمَنُ ،
لَمْ يَضُرِّهِ كَيْدُ الشَّيْطَانِ ، وَأَنْشَدُوا :

الْعَبْدُ فِي كَنْفِ^(٥) إِلَهٍ وَحْدَهُ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ غَوِيٍّ سَاءٍ

(١) الحجر ٤٢ ، الإسراء ٦٥ .

(٢) يوم التناد : يوم القيمة .

(٣) النساء ٧٦ .

(٤) يَعْصِمُهُ مِنْهُ : يَحْفَظُهُ مِنْهُ .

(٥) فِي الأَصْلِ فِي جَوَارِ إِلَهٍ وَهَذَا يَكْسِرُ الْوَزْنَ .

إِنْ عَادَ بِالرَّحْمَنِ عَنْدَ صَبَاجِهِ وَكَذَّاكَ إِنْ أَمْسَى بِذِكْرِ اللَّهِ

دُعَاءٌ يَعْصُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال حين يصبح وحين يمسى أعود بالله العظيم ؛ ويوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، قال قرينه عوفي هذا العبد مني اليوم » شعر :

يَا رَجَائِي فِي بِلَاتِي لَا تُزَلْ عَنِي خِيرُكَ
أَنْتَ رَبِّي أَنْتَ حَسْبِي أَنَا لَا أَعْبُدُ غَيْرَكَ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَدَمِ الْإِخْلَاصِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هُولِ يَوْمِ الْقِصَاصِ^(۱) ،
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَرْكِ الْإِسْتِقَامَةِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْعَذَابِ وَالْمَلَامَةِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
هُولِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمَةِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَرْمَانِ
الْكَرَامَةِ *

لِمَاذَا حَبَّبَ اللَّهُ إِبْلِيسَ

يَا أَخِي إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَا قَبَعَ صُورَةً إِبْلِيسَ وَلَعْنَهُ وَشَوَّهَ خَلْقَتَهُ ، وَأَوْحَشَ
هَيَّاهُهُ وَقَاتَمَهُ ، لَطْفَ بَعْبَادِهِ حِيثُ سَتَرَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى لَا تَسْتَوْحِشَ قُلُوبُهُمْ إِذَا
أَبْصَرُهُمْ أَعْيُنَهُمْ ، وَلَذِكْرِ جَعْلِ الْمَوْلَى جَلْ جَلَالَهُ السَّمَاءَ مَوْضِعَ نَظَرِهِمْ ،
وَزَيْنَهَا بِعَلَامَاتِ الرَّسُومِ ، وَحَفْظَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِرَوَاصِدِ النَّجُومِ ، فَكَانَهُ
قَالَ سَبَحَانَهُ : يَا عَبَادِي لَا يَصْلُحُ لِأَبْصَارِكُمْ مَا كَانَ مَشْوَهًا قَبِيحًا ، بَلْ يَصْلُحُ
لَهَا مَا كَانَ مَزِينًا مَلِيقًا ، هَذِهِ مَعَالِمُهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ فِي
الْدُّنْيَا فَأَوْلَى أَنْ يَلْطِفَ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَقَبَى ، يَصْوِنُ أَبْصَارَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى
النَّارِ الْكَبِيرِ وَهِيَ الْجَحِيمُ ، وَيَكْرِمُهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى الدَّارِ الْمَزِينَةِ وَهِيَ جَنَّةٌ

(۱) يَوْمُ الْقِصَاصِ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

النعم ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مِخالفةِ الْأَحْكَامِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنِ التَّمَادِي^(١) فِي الْأَثَامِ ،
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَعْصِيَةِ السَّلَامِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْغَرَامِ *

زينة السماء

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة قال لها تزييني فازينت ، ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفتح المؤمنون ، فجعل الله تعالى السماء في الدنيا^(٢) موضع نظرك ، وجعل الجنة المزينة في العقبى موضع ترغبك ، فإذا ستر الله تعالى إبليس الملعون في الدنيا وغيّبه عن بصرك لثلا يستوحش قلبك بقبح صورته ، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد^(٣) على رؤوس الأشهاد . لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبْلَهُ مِنْ حِيثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٤) فكانه سبحانه وتعالى قال لعبد المؤمن أنا حبيبك الأعظم ، وإن إبليس عدوك الأعظم ، فلو رأيته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها ، وترادف همومها وغمومها ، أهون عليك . وكان أيضاً يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم ، ورؤيتك عدوك الأعظم ، فغيب إبليس عنك حتى لا تراه كما لا ترى حبيبك الأعظم فيكون الأمر أهون عليك *

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ التَّضْلِيلِ وَالتَّسوِيفِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنِ الزَّيْغِ وَالتَّحْرِيفِ ،
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُخْطِ الرَّبِّ الْطَّفِيفِ *

حكي عن سهل بن عبد الله التستري رحمة الله عليه قال : رأيت إبليس

(١) التمادي في الآثام : الإصرار عليها .

(٢) قال تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَاهُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَافِرِ﴾ الصافات ٦ .

(٣) يوم التناد : يوم القيمة .

(٤) الأعراف ٢٧ .

اللعين في المنام فقلت له أي شيء أشد عليك؟ فقال استعاذه المستعيذ برب العالمين الذي هو أرحم الراحمين *

طهارة العاصي ونجاسة المعصية

واعلم يا أخي أن العبد المؤمن وإن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راض بقلبه ، وإنما مثله كمثل الواقع في نجاسة وبين يديه غير ماء ظاهر فيكون قلبه مع الماء وإن كانت نفسه^(١) في التجasse ، فيكون سبباً لطهارته . كذلك نفس المؤمن وإن كانت في نجاسة المعصية فإن قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سبباً لطهارته من المعصية . والأصل في هذا أن الله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم كما قال النبي ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » وفي هذا الحديث نكتة حسنة وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان وهو لا يرضها بالقلب فهو لا يثاب يوم القيمة على إقراره باللسان ، هكذا المؤمن يعمل العاصي بالإدمان^(٢) لكنه لا يرضها فرجو أن لا يعاقب . شعر^(٣) :

إني تَسْوِدُتْ بِالْعَظِيمِ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الْقَدِيمُ
ذِي الْطُّولِ وَالْفَضْلِ وَالْمَعْالِيِّ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الْكَرِيمُ
مِنْ شُرِّ نَفْسِي وَمِنْ هَوَاهَا وَشَرُّ شَيْطَانِهَا الرَّجِيمُ
أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ لَا يَزُولُ ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابٍ لَا يَحُولُ ، أَعُوذُ بِاللهِ
مِنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ *

التمسك بالسنة وعدم مخالفتها

عبد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين ، والتمسك بسنة خاتم النبيين ،

(١) يقصد بذلك جسمه .

(٢) الإدمان على العاصي : الإصرار عليها فتصبح عادة عنده .

(٣) نرى في هذا الشعر سطحية و مباشرة وسهولة وإن كان بشائه وامتداحه الحق جل شأنه يزداد قيمة وفضلاً .

وبمخالفة الشيطان اللعين ، ينجيكم مولاكم من العذاب المهين . ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين ، وتنظروا إلى وجه رب العالمين . وأنشدوا :

أعوذ بالله الذي لم يتخذ ولداً وقدر الرزق قبل الخلق تقديرًا^(١)
 أعوذ بالله العلي مكانه ذي العرش لم نعلم سواه مجرداً
 من حر نار لا تفتر من لهب^(٢) من حرها للظالمين سعيراً
 وكذا السلسل والعذاب لمن طغى^(٣) يدعون فيها حسرة وثبوراً
 أعوذ بالله من الملوك العاتية ، أعوذ بالله من القلوب القاسية ، أعوذ بالله من الهوام العادية ، أعوذ بالله من اللصوص الضاربة^(٤) أعوذ بالله من جور السلاطين ، أعوذ بالله من كيد الشياطين ، أعوذ بالله من أذى المساكين .

إخواننا إياكم ومخالفة السنة فإن ذلك يبعدكم من الجنة^(٥) *

روي عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال : من ذرية إيليس اللعين ولد يسمى زكيتور وهو صاحب الأسواق يضع فيها رايته كل يوم . فالله الله عباد الله لا تبدلوا مهجتكم للنيران . ولا ترموا بالزيادة والنقصان ، في المكيال والميزان ، فإن ذلك يؤدي إلى عذاب النيران *

كيف أهلك النبي عفريتا

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ

(١) ورد في الأصل (وقدر خلقه تقديرًا) ولا يستقيم البيت فأصلاحه الاستاذ عثمان خليل هكذا .

(٢) ورد في الأصل (لا تفتر عنهم) وأصلاحه عثمان خليل .

(٣) في الأصل والسلسل .. وهذا أيضًا غير مستقيم وعلى وجه العموم فالآيات مهللة الوزن من بحور مختلفة .

(٤) الضاربة : الفتاكه .

(٥) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) إن شرط قبول العبادة أمران ضروريان أولهما أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لا يقصد بها غيره وثانيهما أن تكون على السنة أي أن تكون صواباً خالية من البدع .

وَجَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ ، فَإِذَا بَعْرِيتَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ مَرَدَةِ الْجَنِّ^(١) وَفِي يَدِهِ شَعْلَةُ نَارٍ وَهُوَ يَقْرَبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ جَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا مُحَمَّدُ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فَيُنْكِبُ الْعَفْرِيتُ لِوَجْهِهِ وَتَطْنَأُ شَعْلَتُهُ ؟ قَالَ لَهُ : قُلْ أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِ النَّاتِمَاتِ الَّتِي لَا يَجُازُهُنْ بُرُّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَاذِرَ^(٢) فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَمَا يَعْرُجُ^(٣) فِيهَا وَمِنْ شَرِّ فَتْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ طَوَّرَقِ النَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنَ . فَقَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَكَبَ الْعَفْرِيتُ عَلَى وَجْهِهِ وَطَفَّتْ شَعْلَتُهُ .

سليمان وإبليس

وَذَكَرَ أَنَّ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ لَقِيَ سَلِيمَانَ^(٤) فَقَالَ لَهُ سَلِيمَانُ : يَا مَلَعُونَ مَا أَنْتَ صَاحِبُ بَأْمَةِ مُحَمَّدٍ^(٥) ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلَعُونُ : يَا سَلِيمَانَ لَا دُعُونَهُمْ حَتَّى تَكُونَ الدُّنْيَا وَالدُّرْهَمُ أَشَهَى عِنْدَهُمْ مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَتَحْفَظُوا رَحْمَكُمُ اللَّهُ مِنْ هَذَا كُلَّهُ فَإِنَّهَا حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ^(٦) *

نصائح من خطبة الوداع

رُوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لِكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ، أَلَا وَإِنَّ إِبْلِيسَ قَدْ يَشُّ منْكُمْ لَا تَعْبُدُونَ صَنْمًا أَبْدًا ، وَلَكِنَّ وَالَّذِي يَعْنِي بِالْحَقِّ لِيَجْعَلُنَّكُمْ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ أَنْ تَعْبُدُوا أَلْفَ إِلَهٍ ، يَعْبُدُ الرَّجُلُ إِلَيْهِ ، وَالْآخِرُ إِمْرَأَتَهُ ، وَالْآخِرُ غَنْمَهُ ، وَالْآخِرُ حَرَثَهُ^(٧) وَالْآخِرُ تَجَارَتَهُ ،

(١) مَرَدَةُ الْجَنِّ : عَنَّةُ الْجَنِّ .

(٢) ذَرَأً فِي الْأَرْضِ : دَخَلَ فِيهَا .

(٣) يَعْرُجُ : يَصْعُدُ وَيَرْتَقِي .

(٤) الْحَبَائِلُ : الْمَصَانِدُ ، جَمْعُ أَحْبَلَةٍ .

(٥) حَرَثَهُ : أَرْضَهُ وَغَرَاسَهُ وَثَمَرَهُ .

والآخر صنعته ، والآخر مركبه ، والآخر صديقه يقول الرجل للرجل كيف حالك ؟؟ فيقول له : لولا تجاري ما كان لي حال ، والآخر يقول لولا حرثي والآخر يقول لولا امرأتي والآخر يقول لولا مركبي ، والآخر لولا صديقي ، فينسيه ذكر مولاه ويتبعه في دنياه ، ويقطعه عن آخراه »^(١) .

يا ابن آدم ما اغترارك بمن إليه اضطرارك ، وما احتقارك بمن إليه افتقارك ، يا ابن آدم إن كنت بالنهار هائماً وبالليل نائماً ، متى ترضي من كان بأمرك قائماً . يا ابن آدم توكل على الملك الخلاق ، الذي يتکفل بقسمة الأرزاق ، توكل يا أخي عليه ، وأسند أمورك إليه ، فإنه لا يملکها غيره *

أعوان الشيطان من بني آدم

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن للشيطان أعواناً من بني آدم يبعثهم الملعون إلى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاة وعن الصدقة وعن ذكر الله ويرحب إليهم كسب السحت والحرام والذي يعني بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الأوّل » أعود بالله من الركون إلى الهوى ، أعود بالله من الضلالة والردى ، أعود بالله من معصية إله السما *

آدم وخروجه من الجنة

ذكر أن عبد الله بن سهل التستري رحمه الله قال : لما أخرج آدم من الجنة دار الكرامة والأمان وأنزله^(٢) إلى دار الذل والهوان والبلاء والإمتحان ، قال الله تعالى : يا ابن آدم أسكنتك في جواري فعصيتني ، وأطعت الشيطان وتركتنـي ، وعزـتـي وجـالـي لـأـسـكـنـتـكـ فـيـ جـوـارـهـ لـتـطـيـعـنـيـ وـتـعـصـيـهـ ، وـتـحـبـنـيـ وـتـبـغـضـهـ ، فـإـذـاـ كـانـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ أـقـولـ لـكـ طـاعـةـ بـطـاعـةـ وـمـعـصـيـةـ بـمـحـبـةـ ثـمـ أـدـخـلـكـ الجـنـةـ *^(٣) .

(١) هذه مقتطفة من حجة الوداع ، راجع السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٤ .

(٢) بالأصل (أنزله) بدون واو .

(٣) كما وضحنا آنفاً أن ابن الجوزي رحمه الله يعتقد أن جنة آدم كانت جنة الجزاء وهذا غلط لأن جنة الآخرة ليس فيها تكليف ولا عقاب .

جاء في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وولده أودع قلبه^(١) أربعة أشياء وهي المعرفة ، والعقل ، والإيمان ، واليقين . فصار خزانة لهذه الأشياء سلط على قلبه أربعة أعداء وهم^(٢) إبليس ، والهوى^(٣) والنفس ، والدنيا وضمن إبليس لأصحابه الوصول إليها كما قال تعالى في كتابه «ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم»^(٤) فلما علم المولى جل جلاله من ضعف ابن آدم وقلة مقدراته على مدافعته علم أربعة أسماء من أسمائه يتحصن بها من إبليس وجنوده وهي : يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن . فكانه قال تعالى : يا ابن آدم أنا الأول أحفظ معرفتك لي من بين يديك ، وأنا الآخر أحفظ عقلك وأنا الظاهر أحفظ إيمانك عن يمينك ، وأنا الباطن أحفظ يقينك عن شمالك *^(٥) .

اختصاص إبليس ببعض الجهات

سئل بعض الحكماء ، ما الحكمة في أن لم يعط إبليس إثنان من ابن آدم وأعطي أربعة؟ أعطى من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الأربع ، ولم يعط إبليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟ قال : لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة في الأعمال ، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين^(٦) ، وتحت موضع سجود الساجدين بين يدي رب العالمين . عصمنا الله وإياكم من فتنته عصمة يدخلنا بها في رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين إنه تواب رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

(١) لأن آدم عليه السلام كان نبياً .

(٢) في الأصل هكذا والصواب وهي .

(٣) الهوى : نزوع الغريرة .

(٤) الأعراف ١٧ .

(٥) وبالتدبر في الآية الشريفة نرى أن إبليس عليه اللعنة ذكر جميع النواحي عدا من فوقهم ومن تحتهم ، وهذا لأنه لا يستطيع أن يجرؤ على العلوية الإلهية ولا يمكن أن يصل إلى تحتية العبودية . وهذا ما وضحه ابن الجوزي بعد ذلك .

(٦) وذلك لقوله تعالى : «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» أي الذين يتصلون بالأعلى .

٢ - مجلس في ذكر القيمة وأهواها أجارنا الله منها

سورة الزلزلة وما تشير إليه

قال الله عز وجل: ﴿إِذَا زَلَّتُ الْأَرْضُ زَلَّهَا﴾^(١) هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوّف الله تبارك وتعالى بها عباده ويدركهم فيها تزلزل الأرض وقيام الساعة ليتهوا عما نهاهم عنه من العصيان، ويمثلوا ما أمرهم به من الطاعة والإيمان، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيمة ليستعدوا لها ولعظيم أهواها. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا زَلَّتُ الْأَرْضُ زَلَّهَا﴾ يقول إذا تحركت الأرض بأهلها فزللت من نواحيها وارتجمت من مشرقها ومغاربها، فلا تزال كذلك حتى ينكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل في بطنها جميع ما خرج منها. وزلزلتها من شدة صوت اسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان^(٢) الدنيا وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحالاتها وحرامها. وذلك إذا حمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثير بينهم التظلم، وترك الجهاد، وظهر الفساد، وفسا الربا، وكثر اللواط والزنا، وركبوا الفواحش والفحور، واستعنوا على ذلك كله بشرب الخمور،

(١) الزلزلة ١.

(٢) أحيان : جمع حين أي أوقاتها .

وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم، وقرىء القرآن فلم يعمل به، واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب، وتزيين^(١) الفساق بالمعاصي والذنوب، فإذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله يا إسرافيل انفخ الصعن^(٢) فينفع إسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الأرض من مشرقها إلى مغاربها، وذلك من غبضة يغضبها الجبار على المنافقين والفحار *

صفة إسرافيل

وإسرافيل عليه السلام ملك عظيم جناح له بالشرق وجناح له بالغرب ورجله تحت تخوم الأرض السابعة السفلی بخمسماة عام والسموات السبع إلى ركبتيه ، وعنقه ملوی تحت العرش والعرش على كاهله . وقد مدَّ الرجل اليمنى وأخر اليسرى ، واللوح المحفوظ بين عينيه وقد التقم الصور وشخص بيصره نحو العرش وأنصت بأذنيه يتظاهر متى يؤمر بالتفخ في الصور والصور قرن من نور^(٣) *

قال النبي ﷺ : « الصور قرن من نور ، والذي نفسي بيده إن أعظم ثارة فيه كما بين السماء والأرض » .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وشخص بيصره نحو العرش وأنصت بأذنيه يتظاهر متى يؤمر أن ينفع في الصور^(٤) فإذا نفخ فيه مات أهل السموات والأرض إلا أربعة أملال فإنهم لا يموتون إلا بعد موت الخلائق وهم ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، فمن شدة صوت إسرافيل تتحرك الأرض من مشرقها إلى

(١) وهذا ما يموج في عصرنا الحاضر المنكوب .

(٢) أي نفحة الموت والإفناه والهلاك .

(٣) هذه الصفات التي أوردها ابن الجوزي من الغيبات التي لا تتوقف عندها كثيراً ، ولكن ما ورد به نص قطعي من الغيبات نؤمن به وليس لنا أن نتعجب أنفسنا في فهمه أو تصوره .

(٤) أوضحنا معنى الصور ياسهاب في كتابنا (مواقف يوم القيمة) .

مغربها فلا يبقى عليها بناء إلا انهدم إلا المساجد فإن أساسها يبقى لا ينهم لفضلها عند الله تبارك وتعالى ، لما عُبَدَ فيها ووُحْدَ وقريء كلامه فيها وذلك قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ﴾^(١) جاء في التفسير أن الأشياء كلها تهلك إلا عملاً يراد به وجه الله تعالى ، والمساجد لا تهلك لأنها إنما بيت لوجه الله تعالى *

خشية النبي من هبوب الريح

روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه ، وكان يخرج ويدخل مرة بعد أخرى من شدة خوف قيام الساعة ولزلزلة الأرض ، فإذا كان رسول الله ﷺ يخاف هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله^(٢) ؟ فكيف بمن أفنى عمره في السهو والغفلات ، وقطع أيامه باللهو والبطولات ، وضيع أوقاته في العصيان حتى مات^(٣) وأنسدوا :

نهارك يا مغورو سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
وشغلك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
و فعلك فعل الجاهلين بربهم و عمرك في التقصان بل أنت ظالم
فلا أنت في الأيقاظ يقطان حازم ولا أنت في النوم ناج و سالم
تسر بما يفني وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها ولا تكثر العصيان إنك ظالم

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «إنتهيت ليلة أسرى بي إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته وقدم رجلًا وأخر أخرى والعرش على منكبته^(٤) والصور في فيه بين شدقته وقد تهيا للتفخ في الصور فما ظنت أن

(١) التعصص . ٨٨

(٢) وهذا يؤكد لنا بالدليل القاطع أن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب ولا يعلم موعد الساعة ، إذ خاض في ذلك أناس كثيرون بما يعارض مع كتاب الله الكريم وسنة رسوله .

(٣) المنكب : مجمع وملتقى العضد بالكتف .

أبلغ الأرض حتى تبلغني النفخة كما رأيت من تهيتها للنفخ »
 سئل رسول الله ﷺ عن إسرافيل فقال : « له جناح بالشرق وجناح له
 بالغرب ، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلية والعرش على كامله^(١) وإنه
 ليتذكر في كل يوم ثلاث ساعات في عظمة الله تعالى فيكي من خوف العبار
 حتى تجري دموعه كالبحار فلو أن بحراً من دموعه أذن له أن يسكن لطبق بين
 السموات والأرض وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوضع » والوضع طير
 صغير يشبه العندليب ، والعندليب أصغر ما يكون من الطير ، فالله الله يا معاشر
 من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها *

قال الله تعالى « إذا زلت الأرض زلزالها تتحرك الأرض وتتمخض^(٤)
 وتتطاير الجبال وتتنقلع الشجر وتنهدم المباني فلا يبقى على ظهرها من جبالها
 وشجرها وبناتها شيء إلا دخل في جوفها *

قال عكرمة : إنما تقوم الساعة على شر الخلق *

متى ينفع في الصور

قال حذيفة : كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن
 الشر مخافة أن يصيبني ، فكان النبي ﷺ يقول^(٣) : « في آخر الزمان فتن
 كقطع الليل المظلم فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى
 إسرافيل أن ينفع نفحة الصعق فينفع على غفلة من الناس فمن الناس من هو
 في وطنه ومنهم من هو في سوقه ومنهم من هو في حرثه ومنهم من هو في
 سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى يخدم ويصعق . ومنهم من

(١) كامله : ما بين كفيه .

(٢) تتمخض : تتحرك .

(٣) في الأصل (يقولون) وهو تحريف .

يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم * *

وإسرافيل لا يقطع الصيحة^(١) حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبارها ، ويدخل الكل بعضه في بعض في بطن الأرض والناس خمود صرعي فمنهم من هو صرعي على وجهه ومنهم من هو صرعي على ظهره وعلى جنبه وعلى خده ومنهم من يكون اللقمة في فيه فيموت وما أدرك أن يتبعها وتنتفع السلاسل التي فيها قناديل النجوم فستوي بالأرض من شدة الزلزلة وتموت ملائكة السبع سموات ، والحجب والسرادقات ، والصادقون^(٢) والمبسحون وحملة العرش والكرسي وأهل سرادقات المجد والكروبيون^(٣) ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام *

كيف يموت جبريل^(٤)

يقول الجبار جل جلاله يا ملك الموت من يبقى ؟ - وهو أعلم - فيقول ملك الموت سيدى ومولاي أنت أعلم بقي إسرافيل وبقي جبريل وبقي ميكائيل وبقي عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأحوال . فيقول له الجبار تبارك وتعالى : إنطلق يا جبريل فاقبض روحه ، فينطلق ملك الموت إلى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً راكعاً فيقول له : ما أغفلتك عما يراد بك يا مسكين ، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع والهوام وسكن السموات وحملة العرش والكرسي

(١) في الأصل (الصحبة) وهو خطأ .

(٢) في الأصل (والصادقون) وهو تحريف .

(٣) الكروبيون : طائفة من الملائكة كثيرو الحزن شديدو التأثر طويلاً ، العبادة ، وهم من خلصاء الملائكة ، وأكثرهم عبادة لله جل شأنه .

(٤) لم توضع علامة استفهام (؟) ولعل هذا سهو .

والسرادقات وسكنان سدراة المتهى وقد أمرني المولى بقبض روحك ! فعند ذلك يبكي جبريل عليه السلام ويقول متضرعاً إلى الله تعالى : يا الله هون على سكرات الموت^(١) . فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعاً فيقول الجبار جل جلاله من بقي يا ملك الموت ؟ - وهو أعلم - فيقول مولاي وسيدي بقي ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت .

كيف يموت ميكائيل

فيقول الجبار جل جلاله إنطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده يتضرع الماء ليكيله على السحاب فيقول له ما أغفلك يا مسكون عما يراد بك ! ما بقي لبني آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحش ولا للهوم ، قد مات أهل السموات وأهل الأرضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسي وسرادقات المجد والكربيون والصادقون والمبخون وقد أمرني ربى بقبض روحك ، فعند ذلك يبكي ميكائيل ويتصفع إلى الله ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت ، فيحضرنه ملك الموت ويضممه ضمة يقبض فيها روحه فيخر صريعاً ميتاً لا روح فيه ، فيقول الجبار جل جلاله من بقي ؟ - وهو أعلم - يا ملك الموت فيقول مولاي وسيدي أنت أعلم بقي إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت *

كيف يموت إسرافيل

فيقول الجبار تبارك وتعالى انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه ، فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل فيقول له ما أغفلك يا مسكون عما يراد بك ! قد

(١) وهذا يجب أن يقتن الناس إلى أن جبريل نفسه والملائكة أجمعين سيقبضهم ملك الموت بأمر من الله سبحانه وتعالى ، وأنهم على حسن طاعتهم وعبادتهم لله جل شأنه يخالفون أيضاً وبتهببون سكرات الموت .

ماتت الخلائق كلها وما بقي أحد وقد أمرني ربِّي ومولاي أن أقبض روحك ،
فيقوله إسراويل : سبحان من قهر العباد بالموت ، سبحان من تفرد بالبقاء ، ثم
يقول مولاي هون على مرارة الموت فيضممه ملك الموت ضمة يقبض فيها
روحه فيخر ميتاً صريعاً ، فلو كان أهل السموات في السموات وأهل الأرض
في الأرض لماتوا كلهم من شدة رجة^(١) وقعته *

كيف يموت ملك الموت^(٢)

فيقول الجبار تبارك وتعالى من بقي يا ملك الموت ؟ - وهو تعالى أعلم -
فيقول مولاي وسيدي أنت أعلم بمن بقي ، بقي عبدك الضعيف ملك الموت
فيقول الجبار تعالى وعزتي وجلالي لأذيقنك ما أذقت عبادي انطلق بين الجنة
والنار ومت ، فينطلق بين الجنة والنار فيصبح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى
آمات الخلائق لماتوا من عند آخرهم^(٣) من شدة صيحته فيموت^(٤) ، فتبقى
السموات خالية من أملاكها ، ساكتة أفلاتها ، وتبقى الأرض خاوية من إنسها
وجنها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها ويبقى الملك لله الواحد القهار الذي
خلق الليل والنهار فلا ترى أنيساً ، ولا تحس حسيساً ، قد سكنت الحركات ،
وخدمت الأصوات ، وخللت من سكانها الأرضون والسموات *

لمن الملك اليوم ؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول : يا دنيا أين أنهارك ؟ وأين

(١) في الأصل : وجية ولعلها تحريف .

(٢) لم ترد أيضاً علامة إستفهام هنا ولا في العنوان السابق وهي مهملة في كثير من عنوانين
المواضيع المختلفة .

(٣) كذا بالأصل ولعلها : (عن آخرهم) أصوب .

(٤) راجع في هذا كتاب (يقطة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار) للإمام الشیخ
صديق حسن خان تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .

أشجارك ، وأين سكانك ، وأين عُمارك ، أين الملوك وأبناء الملوك ، وأين الجبارية وأبناء الجبارية ، أين الذين أكلوا رزقي ؟ وتقلبوا في نعمتي وعبدوا غيري^(١) لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيئه أحد ، فيقول تعالى الملك الله الواحد القهار ، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده متى من بين صریع على خده ومن بين بال في قبره ثم يقول يا دنيا أين أنهارك وأين أشجارك وأين سكانك وأين عمارك وأين الملوك وأين الجبارية لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيئه أحد ، فيقول تعالى : ﴿الله الواحد القهار﴾ فتبقى الأرضون والسموات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك ، وقد قبل تبقى أربعين يوماً وهو مقدار ما بين النفحتين ، ثم بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان ماؤه يشبه منه الرجال ينزله ربنا أربعين عاماً فيشق ذلك الماء الأرض شقاً فيدخل تحت الأرض إلى العظام البالية فتثبت بذلك الماء كما يثبت الزرع بالمطر^(٢) .

كيفية بعث الموتى

قال الله تعالى ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾^(٣) إلى قوله ﴿ كذلك يخرج الموتى ﴾ الآية كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتى بماه الحياة^(٤) ، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والأشعار فيرجع كل

(١) يقصد بذلك الذين كفروا بأنعم الله وعبدوا الشياطين والمخلقين وأدخلوا البدع والوثبات في شريعة الله .

(٢) اختلف العلماء هل تبعث أجسامنا هذه بنفسها أم يخلق الله للأرواح أجساماً أخرى ؟ ولكن نرى أن البعث سيكون لهذه الأجسام التي نحن عليها في الدنيا لقوله تعالى : - ﴿كان لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ يوںس ٤٥ ولا يكون هذا إلا بتشابه السمات في الدنيا والآخرة .

(٣) الأعراف ٥٧ .

(٤) وهكذا دأب القرآن الكريم حينما أراد أن يعطيها يقيناً بأمر غبي فإنه يسبقه بمشهد مادي دنيوي .

عضو إلى مكانه الذي كان فيه في دار الدنيا فتلثم الأجساد بقدرة الجبار جل جلاله وتبقي بلا أرواح ، ثم يقول الجبار جل جلاله : ليعشن إسرافيل ، فيقوم إسرافيل عليه السلام حيَا بقدرة الله تعالى فيقول له الجبار يا إسرافيل التقم الصور واذجر عبادي لفصل القضاء ، فأول ما يحيى الله تبارك وتعالى إسرافيل ويأمره أن يلتقم الصور *

صفة الصور

والصور قرن من نور فيه أثواب على عدد أرواح العباد فتجتمع الأرواح كلها فتجعل في الصور *

أين يقف إسرافيل

ويأمر الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس وينادي في الصور وهو في فيه قد التقمه والصخرة أقرب ما في الأرض إلى السماء وهو قوله تعالى ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يَنْادِيَ الْمَنَادِيَ مَكَانَ قَرِيبَ ﴾^(١) ويقول إسرافيل في ندائِه : أيتها العظام البالية واللحوم المتقطعة والأشعار المتبددة والعروق المتمزقة ، لتقمن إلى العرض على الملك الديّان ليجازيكن بأعمالكن فإذا نادى إسرافيل عليه السلام في الصور خرجت الأرواح من أثواب الصور فتنتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره ، فأرواح المؤمنين تخرج من أثوابها نائرة بنور الإيمان وينور أعمالها الصالحة ، وأرواح الكفار تخرج مظلومة بظلمات الكفر ، وإسرافيل يديم الصوت والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض ثم تدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فيدخل كل روح إلى جسده الذي فارقه في دار الدنيا ، فتدب الأرواح في الأجساد كما يدب السم في المنسوع^(٢) حتى ترجع إلى

(١) ق ٤١ .

(٢) المنسوع : الذي لسعته عقرب .

أجسادها كما كانت في دار الدنيا ، ثم تنشق الأرض من قبل رؤوسهم فإذا هم قيام على أقدامهم ينظرون إلى أهواز يوم القيمة ، وإسرافيل عليه السلام ينادي بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مداً والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق إلى أرض القيمة *

ملازمة الأعمال للأجساد

فإذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذي عمله في الدنيا
لأن عمل كل إنسان يصبحه في قبره ، فإن كان العبد مطيناً لربه وعمل عملاً
صالحاً كان أنيسه في الدنيا ، ويكون أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه
من الأهوال ومن هموم القيامة وكروبيها^(١) ، كلما نظر العبد المؤمن إلى نار أو
إلى هول من أهوال القيمة جزع فيقول له عمله : يا حبيبي ما عليك من هذا
شيء ، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم
كذب بياته واتبع هواه ، وأنت كنت عبداً مطيناً لولاك ، متبعاً لنبيك تاركاً
لهواك فما عليك اليوم من هم ولا حزن حتى تدخل الجنة *

العمل، السوء و هيأته

وإذا كان العبد خاطئاً وعاصياً لذي الجلال ومات على غير توبة
وانتقال ، فإذا خرج المغدور المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذي
عمل في دار الدنيا وكان قد صحبه في قبره ، فإذا نظر إليه العبد المغتر بربه
رأه أسود فظيعاً فلا يمر على هول ولا نار ولا شيء من هموم القيمة إلا قال له
عمله : يا عدو الله هذا كله لك وأنت المرادي ، وأنشدوا :

أي يوم يكون يوم النشور
يوم فيه الجزاء جنةً عدن
لماطيم ومن عصى في سعير
يوم فيه يفوز أهلُ القبور

(۱) کروپها : شدائیدها .

راقب الله في جميع الأمور
 خاب من قد عصى وفاز مطیع
 قام في الليل لِإله ذليلاً
 ليس يخلو من خوفه للقدير
 خاف من عظيم يوم هول شديد
 شدة الهول من عذاب الزفير
 ف الله الله عباد الله ، عشر المربيدين انتبهوا من هذا المنام ، واهجروا
 الفواحش والآثام ، وارجعوا إلى طاعة الملك العلام ، من قبل أن يأتي يوم
 تشقق السماء فيه بالغمam *

إخراج الأرض ما فيها

قال الله تعالى ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾^(١) يعني ما فيها من الموتى
 والكنوز^(٢) ، وما أودعها من أعمال العباد ومن مخبأة أسرارهم^(٣) من أعمال
 الطاعة وأعمال العصيان . فيأمر الله تعالى أن تخرج أعمال العباد وذلك أن
 العبد إذا خرج من قبره يجد عمله على شفیر قبره^(٤) ، فإن كان عمله صالحًا
 وجده نوراً يستره ويحجبه ، يستر عورته من أعين الناس ويحجبه عن النيران
 التي تسوق الناس إلى أرض القيمة ، وإن كان عملاً سيئاً وجده ظلمة سوداء
 تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهواه يوم القيمة *

هذا كله في النفحـة الثانية ، وبين النفحـة الأولى والثانية أربعون سنة ،
 فهو قوله ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ *

فمثل لنفسك يا مغرور وقد ترادرفت^(٥) عليك الهموم والكروب ،
 وأحاطت بك الأهوال والخطوب ، وأظهرت لك القبائح والعيوب ، وأنقلت
 ظهرك الأوزار والذنوب وأنشدوا :

(١) الزلزلة ٢ .

(٢) لأن الناس أثقال على الأرض حتى إذا ماتوا صاروا أثقالاً فيها .

(٣) ربما يكون قد قصد سرايرهم .

(٤) شفیر قبره : حرف قبره .

(٥) ترادرفت : تتابعت وتکاثرت .

وأثقلت ظهري الذنب
 فليس لي في الورى طيب
 إذا أحاطت بي الكروب
 أين مفرِّي وما أجِبْ^(١)
 فعندها تظهر العيوب
 قد سُودَت وجهي المعاصي
 أورثني ذكرها سقاماً
 يا شُؤم نفسي غداة حشري
 وصوت داع دعا بِإسمِي
 هذا كتاب الذنب^(٢) فأقرأ

ذكر أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة وملك من ملائكة العذاب واقتَّ عليها ، فإذا نظر إلى ما قدم في أيامه قال له الملك : يا عدو الله خذ عملك فاحمله على ظهرك كما كنت تلتذ به في الدنيا ولم ترافق مولاك ، وقد علمت أنه مطلع عليك ويراك ، فيأخذ العبد المسكين تلك الحزمة فيجدها على ظهره أثقل من جبال الدنيا والنار تسوقه إلى الموقف^(٣) وملك يسوقه سوقاً حشياً بالعنف والإنتحار والإغلاظ عليه ، وأخر يشهد عليه مع علم الله تعالى فيه . وأنشدوا :

وقد حشرت بائقالي وأوزاري
 من شؤم ذنب قديم العهد أو طاري
 يوم المعاد ويوم الذل والعار
 بدار عدن وأشجار وأنهار
 يُخَلدون بدار الساجد الباري
 لا يستريح من التعذيب في النار
 فأباكاوا كثيراً فقد حق البكاء لكم
 كيف احتيالي إذا جاء الحساب غداً
 وقد نظرت إلى صحفى مسودة
 وقد تجلى لهتك الستر خالقنا
 يفوز كل مطيع للعزيز غداً
 لهم نعيم خلوة لا نفاذ له
 ومن عصى في قرار النار مسكنه
 لا يستريح من التعذيب بدموع واكب جاري

(١) هذا البيت غير مستقيم الوزن ، ولو أنه قال (ولا مفر) لاستقام .
 (٢) يقصد بذلك قوله تعالى : - « وَنَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا أَفْرَا كِتَابَكَ كَفِي بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » الإسراء ١٤ .

(٣) الموقف : أي إلى مكان العرض على الله سبحانه وتعالى .
 ويوم القيامة يسحب المجرمين ملائكة غلاظ شداد لعرضهم على الله سبحانه وتعالى في موقف العرض قال تعالى : « وَتَرَى الْمُجْرَمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقْرَنِينَ فِي الْأَسْفَادِ » إبراهيم ٤٩ .

فالله الله يا أولى الألباب ، تفكروا في هول يوم الحساب ، ولا تنسوا المطالبة برد الجواب وأشفقوا على أنفسكم من أليم العذاب ، وأرجعوا إلى طاعة رب الأرباب ، وأبكوا على ما سلف من ذنوبكم بانتحاب *

مدة النفح في الصور

ذكر أن إسرائيل عليه السلام لا يقطع النساء في الصور حتى تخرج الأرض جميع ما فيها من الموتى ومما أودعها الله تعالى من شيء ، فإذا كمل العباد في الموقف وكل إنس الأرض وجنه ووحشها ودوابها وطيرها وأنعامها وهوامها حتى الذباب ؛ قطع إسرائيل النساء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الأرض غير الأرض والسموات ، ففي تبديلها قولان .

هيئة أرض الحساب

أحددهما أن الأرض التي يحاسب العباد عليها هي أرض من فضة بيضاء لا جبل فيها ولا بناء ولا بحار ولا أنهار ولا أشجار ، ما سفك عليها دم ولا عصي الله تعالى عليها يأتي بها من غامض علمه ويقول لها كوني فتكون ، وقد أضرم تحتها النيران وتكون هذه الأرض ^(١) في عظم تلك الأرض مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود *

وقد قيل : إن تبديل الأرض هدم مبانيها ، وغور مياهها ، وانقطاع أشجارها ، وتسجير بحارها ، وتسير جبالها ، وتبديل السماء ، وتكوين شمسها وقمرها ، وانكدار نجومها ، وتعطيل أفلاكها ، وتشققها . وهذه تبديل الأرض والسموات والله أعلم بحقيقة ذلك *

(١) وتسمى أرض المحشر أيضاً بالساهرة ، والعرض تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة بمعنى ذات سهر لأنها يسهر فيها خوفاً منها ، وسميت أيضاً بالساهرة لأن الذين يعيشون يوم القيمة فيها لا ينامون على طول المكث والانتظار للحساب ، وهذه الأرض البيضاء العفراء الصفراء ليس فيها علم لأحد ولم توطأ من قبل .

كيف يقف الناس في المحسن^(١)

فإذا قطع إسرافيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر إلى السماء ولا يرتدى إليها طرفه ولا يدرى أحد من يقف بجواره لا رجل ولا امرأة ولا يدرى الأخ بأخيه ولا الوالد بولده ولا الأم بابنها . كل إنسان منهم مشغول بما هو فيه من عظيم الأهوال ، وكل واحد منهم يفكر فيما قد جاء به من العصيان ، وفترط فيه من الطاعة والتسبيان ، فالكل ينظر إلى ما ينزل به الأمر من السماء من شقاوة أو سعادة *

مقدار زمان الحشر

ويقال والله أعلم : إن الوقوف يكون مقدار ثلاثة عشر سنة من سنين الدنيا
لا خبر يتزّل ولا خبر يصعد . قد كثر الزحام فلا تسمع إلا همس الأقدام
حياري نادمون فيما فرطوا فيه من استزلال القدم ، يومئذ لا ينفع البكاء ولا
الندم . وأنشدوا :

ليس في الدنيا لمن آ
إنما يفرح بالذن
إنما الدنيا متاع
فتذكر هول يوم

من بالبعث سرور
يا جهول أو كفور
كلُّ ما فيها غرور
السماء فيه تمور^(٤)

بكاء النبي من أحوال القيامة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خوْفَنِي جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ أَبْكَانِي فَقَلَّتْ لَهُ حَبِيبِي جَبَرِيلُ أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِي مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأْخِرُ؟ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ لَتَشَاهِدُنَّ مِنَ الْأَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا

(١) وهنا أيضاً سقطت علامة الاستفهام .

٢) تمور : تموج .

ينسيك المغفرة ، فبكى رسول الله ﷺ حتى بلت دموعه لحيته » فإذا كان رسول الله ﷺ يبكي من هول يوم الحساب وقد أمنه الجبار من أليم العذاب ، ووعده بالجنة وحسن المآب ، فكيف بأمثالنا المساكين ؟ وكيف بمن ترك الحق والصواب ، وخالف السنة والكتاب ، وأطاع الشيطان وأفني عمره في معصية الملك الوهاب ؟ وقد قيل في قوله تعالى : « كلاً إذا دُكَّتُ الأرض دكاً ^(١) هو تحريكها ، وقيل دكاً إذا دهاها * »

معنى دك الأرض وانشقاقها

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين ، دكاً دكاً وصفاً صفاً ؟ فقال : تدكك الأرض دكاً بعد دك ، أي تحرك مرة بعد أخرى حتى لا يبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر . قوله صفاً صفاً ، تأتي الملائكة صفاً بعد صف كل ملك قد شغل بنفسه لعظم ما يرى من ظهور الأهوال . فإذا كثر زلزال الأرض ^(٢) فحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ^(٣) حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الأرض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر شديد ^(٤) من بين قديم وجديد ، فيما له من يوم ما أهله ومن بلاء ما أطله ، ومن جبار ما أعدله . قد أفنى العباد بالحمام ^(٥) فلا يرى أحد من الأنام . فإذا استوى الأولون والآخرون في أرض القيمة أمر الله تبارك وتعالي السموات أن تنشق فتشق كل سماء وتنقطع مثل قطع السحاب ، وقيل كما يتطايرقطن بين يدي القطانين إذا ندفعه *

فمثل لنفسك صوت إنشقاها في سمعك ، وكيف يثبت له فؤادك ، ويستقر لفظاعة هوله قدمك ، فقدم في أيام حياتك ما يقيك تلك الأهوال لأن

(١) الفجر ٢١ .

(٢) لعله يريد كل قصر (مشيد) .

(٣) الحمام : الموت .

الخلق في أهواك يوم القيمة على قدر أعمالهم في الدنيا من خير وشر ، فمن عمل صالحاً وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم آمنه مولاه من جميع أهواه وكرويه ، ومن لم يقدم في دنياه عملاً صالحاً لأنراه لقيته صعاب الخطوب ، وترادفت عليه الهموم والكروب ، فيندم حين لا تنفعه الندامة إذا حل في أهواك القيمة *

الأمن والخوف

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى إذا خافني عبدي في الدنيا آمنته يوم القيمة وإذا آمنتني في الدنيا أخفته يوم القيمة » فإذا إنشقت السموات بلغت القلوب الحناجر ، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل في الظواهر والسرائر ، فإذا انشقت السماوات عظمت المصائب ، وكثرت النوايب ، وندم العبد على ما فرط في الدنيا وضيع من الثواب والرغائب *

فإذا إنشقت السماوات عظمت الرزيات^(١) ، وكثرت الآفات ، وظهر العذاب وحلت العقوبات ، وأظهر الله مخبآت السريرات ، وندم العبد المغرور على ما أذنب في الأيام والأوقات ، وما جنى في الشهور والساعات *

فإذا انشقت السماوات كثرت الأحزان ، وبرزت النيران ، وأزلفت الجنان^(٢) ، وندم العاصي على ما عمل من العصيان ، وعلى ما فرط^(٣) فيه من طاعة الرحمن فانتبهوا لهذه الأهواك يا معاشر الأخوان ، يا أهل الإسلام والإيمان ، فإن الهول والله عظيم ، والخطب كبير جسيم *

ملائكة سماء الدنيا

فإذا انشقت السماوات وتقطعت ونزلت الملائكة بأجمعها ، فإذا نزلت

(١) الرزيات : والرزايا المصائب .

(٢) الجنان : الجنة .

(٣) فرط في الطاعة : ضيعها .

ملائكة سماء الدنيا فزع منهم أهل الأرض وظنوا أنهم قد أمر فيهم بأمر ،
فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا لا تجزعوا منا فلانا نخاف من الذي تخافون ،
وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الأرض إنسها وجنتها وأنعامها وطيرها
ووحشها وجميع خلق براها وبحراها سبعين ضعفاً ، فتبقى العباد يموج بعضهم
في بعض *

ملائكة السماء الثانية

ثم تنزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عدداً وأعظم خلقاً من اجتمع
في الأرض سبعين ضعفاً ، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا وجميع من في
الأرض فيقولون لهم لا تجزعوا نحن مشغولون بأنفسنا ونخاف مما تخافون
منه . فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم ، ويكون
أهل كل سماء أكثر وأعظم من سبقهم سبعين ضعفاً . وكان أهل كل سماء
في صف واحد على حدة كل واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم ما يرى وما
يبدوه . وأنشدوا :

يا غافلين أفيقوا قبل بعشكم
وقبل يؤخذ بالأقدام واللحم
لا ينطقون بلا بكم ولا صمم
والله طالبهم بالحلل والحرم
وعذ الإله من التعذيب والنقم
لا ينطقون بلا روح من الزخم
وكل نفسٍ لدى العبار شاحصة^(٢)

الجبابرة في الحشر كالذر

روي أن الجبابرة يحشرون يوم القيمة على صورة الذر^(٣) أصغر الناس

(١) بالأصل (عرا).

(٢) شاحصة : فاتحة عينيها لا تطرف.

(٣) الذر : صغار النمل.

خلة لتجبرهم على العباد في الدنيا قد صارت العزة للغنى الحميد ، ولزمت
الذلة كل جبار عنيد ، وشيطان مرید قد ترافق عليهم الهموم والأهوال ،
وظهرت لهم العقوبات والأنكال ، وندم كل مذنب بطال ، فحيثذا لا حيلة
لمحтал (في يوم لا يبع فيه ولا خلال) شعر :

مقام المذنبين غداً عسير
إذا ما النار قربها القدير
وقد نصب الصراط لكي تجوازوا
فلا ينجو الكبير ولا الصغير
وقد نسفت جبال الأرض نفسها
ويُبَسِّت البحور فلا بحير
ويرزت الجحيم لكل عبد على أهل المعاد لها زفير^(١)

عباد الله تفكروا واعتبروا ، وابكوا وتباكوا^(٢) ، واستعدوا لليوم الثقيل ،
والهول الكبير ، والخطب الجليل ، والعذاب الشديد الطويل *

حديث في أحوال يوم القيمة

ذكر في بعض الأخبار عن النبي المصطفى المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله
الأخيار دوام اختلاف الليل والنهار أنه قال : « لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ مائَةُ أَلْفٍ هُولٌ كُلٌّ
هُولٌ أَعْظَمُ مِنَ الْمَوْتِ مائَةُ أَلْفٍ مَرَّةٌ » فاندم يا مسكين على ما صنعت
وفات ، وأصلح بالتنوية النصوح ما هو آت ، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من
الله ليس للظالمين من نصير ، ولا للعاصي من مجير ، ولا لأحد من ملجا ولا
نكير *

شدة الحر والظل

فإذا تكامل أهل السموات ، وأهل الحجب والسرادقات ، وحملة

(١) الآيات من بحر الوافر ولكن البيت الأخير غير مستقيم الوزن ولعله لو قال (وقد دنت الجحيم
بكل كرب) لاستقام .

(٢) لا يناسب هنا قوله (وتباكوا) فإن حذفها أولى من ذكرها بعد قوله (وابكوا) .

العرش والكرسي وجميع أهل الأرض في عرصة القيمة^(١) وازدحمت الخلافات واختلفت الأقدام ، وشخصت الأحداق وتطاولت الأعناق ، وانثنت من شدة العطش ، واجتمع زحام الخلافات وأنفاسهم وشدة حر الشمس وضيق البأس ، ارتفع العرق على وجه الأرض حتى يعلو على الأبدان ويعم العباد على قدر منازلهم ورتبتهم التي أنزلتهم عليها أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا ، وقد زيد في حر الشمس ما يتضاعف - قيل حر عشر سنين - ولا ظل يومئذ إلا ظل العرش فلا يصيب منه عبد ولا أمة إلا على قدر عمله ، فكم بين مستظل ناعم بظل العرش وبين صاح باد بحر الشمس !؟

مطر الرحمة

وقد قيل : إن الله تبارك وتعالى يمطر يوم القيمة الغيث^(٢) على طائفة من عباده وترمي جهنم شررها على طائفة أخرى ، فكم من مستريح ببرد ماء الأمطار وبين ملتهب بحر شرر النار ؟ فمن قطع عمره في الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن ، خلصه مولاه من جميع الهموم والأحزان *

ترهيب من أهوال الحشر

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد نقلعت من أصولها وصارت مثل السراب ، وتقطعت السموات وتطايرت مثل قطع السحاب ، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول في أليم العذاب ، وقد صارت العزة لذي البطش الشديد ، ولزمت الذلة^(٣) كل جبار عنيد ، ثم رجعت السماء كالمهل^(٤) وهو دردي الزيت الذي يجلس في قعر الإناء قيل ترجع السماء كالدهن الرقيق

(١) عرصة القيمة : جمعها عرصات وهي ساحة القيمة .

(٢) الغيث : المطر .

(٣) في الأصل : (ولزمت العزة) وهو خطأ .

(٤) المهل : القبح والصدىق ، وقيل هو النحاس المذاب .

وترجع الجبال كالعهن المنفوش وهو أضعف ما يكون من الصوف وتصير
الخالائق كالفراش وهو البعض وقيل كالجراد المتشر إذا خرجت عليه الشمس
لا يأخذ بجهة واحدة . كذلك الخلق يموج بعضهم في بعض لكل أمرٍ
منهم يومئذ شأن يغنىه . قد اجتمعت القيامة بأهوالها ووضعت الحوامل
أحملها ، وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ، وشهد على الأمم
بأعمالها . وشاب الوليد ، وحضر الوعيد ، وعظم الهول الشديد ،
وذلَّ كلُّ متكبر وجبار عنيد . قد خضعت الرقاب لرب الأرباب^(١) ، وخاب كلُّ
كفار كذاب ، واشتد الهول وعظم العذاب ، فتفكروا فيما تسمعون يا معشر
الأحباب ، وانظروا لأنفسكم يا جماعة الأخوان والأصحاب ، واستعدوا لأهوال
القيامة يا أولى العقول والألباب . وأنشدوا :

مثل لقلبك أيها المغورو يوم القيمة والسماء تمور
قد كُورت^(٢) شمس النهار وأضفت^(٣) حرًا على روس^(٤) العباد تقرور
فرأيتها مثل السحاب تسير
وتبدلت بعد الضياء كدور^(٥)
خللت الديار فما بها معمور^(٦)
وتقول للأملاك أين نسير
وعجائبًا قد أحضرت وأمور
خوف الحساب وقلبة مذعور
إذا الجنين بأمه متعلق

(١) أكثر ابن الجوزي من هذه القولة (رب الأرباب) ونحن لا نوافق على ذلك لسد ذريعة الشرك عند العوام والبسطاء فقد يتوهمن أن هناك أرباباً صغيرة أو أخرى .

(٢) كورت الشمس : قال قنادة ذهب ضوؤها .

(٣) أضفت : أي ازدادت ضعفاً .

(٤) روس : يقصد بها رؤوس ووردت هكذا للتخفيف لضرورة الوزن .

(٥) لم يلتزم ابن الجوزي في أشعاره بالوزن أو الموسيقى الشعرية مما يبين لنا أنه لم يكن ممارساً للشعر عن موهبة ، وإنما هذه تعتبرها خطرات ذهن ، لأن فيها من السطحية والسلذاجة الشعرية ما أربأ به عليها وهو الفقيه العالم الإمام الفذ عبقرى زمانه وعملاق عصره .

(٦) ربما قصد بها (معمر) وتجوز (معمور) أيضاً .

هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنب دهور؟؟

جهنم في المحشر

إذا اشتد الفرق ، وسال العرق ، أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم
أعادنا الله وإياكم منها وزحزحنا وإياكم عنها برحمته ، فيؤتي بها وأهوالها
وأنكالها وسلامتها وأغلالها ، وقد اشتد جحيمها وغلا حميماً وكثراً زقومها
وغضب زبانيتها وعظم سُمّ حياتها وعقاربها واسودت جبالها وهاجت بحارها
وتنن غسلينها^(١) وغلى سموها وقد اجتمعت مما خلق الله فيها من عظيم بلاطها ،
فأبرزت للخلائق وهم ينظرون إليها من مسيرة خمسة مائة عام *

وصف جهنم

قال الله تعالى : « وبرزت الجحيم لمن يرى » فيراها الخلائق كلها
وهي تغاط على العباد^(٢) ، وتغضب لغضب الجبار جل جلاله وتتغيط
وتتسعر ، عليها سبعون ألف زمام من حديد قد تعلق بكل زمام سبعون ألف
ملك من ملائكة النار يحبسونها عن الخلائق وهي تريد أن تنفلت من أيديهم
وستأتي على أهل الموقف والملائكة التي يحبسونها وجوههم مثل الجمر
وأعينهم مثل البرق الخاطف ؛ فإذا تكلم أحدهم تناثرت النار من فيه ، يبد كل
واحد منهم أربعة من حديد من نار فيها إثنان سبعون ألف رأس من نار كأمثال
الجبال الراسيات العظام ورؤوسها كرؤوس الأفاعي وهي أخف في يدي
الملك من الريشة وأعينهم زرق ووجوههم كلحة قد خلقوا من نار السموم
فتريد جهنم أن تنفلت من أيدي الملائكة من غضب الجبار جل جلاله *

هذا كلّه قاله الضحاك عن الأئمة عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهم .

(١) الغسلين : ما إنغسل من لحوم أهل النار ودمائهم .

(٢) ولذلك تغير وجه النبي ﷺ عندما نزل عليه قوله تعالى : « وجيء يومئذ بجهنم » ،

بطش جهنم

فإذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى جاءت بالهول الأكبر والفزع
الأعظم فيخرج من نفسها وهي شديدة ويسمع من جوفها دوي سلاسل
الحديد . فإذا قربت من الخلائق سمعوا لها شيئاً ورأوا لها حريقاً ، فإذا
نظرت في أهل المعاصي ثارت وفارت وأرادت أن تثب عليهم فاغتاظت
وتمسحت إليهم^(١) وأرادت أن تأتي على جميع الخلائق وتريد أن تنفلت من
أيدي الخزان فتهرب الخلائق فلا يجدون منها ولا مكاناً يستغيثون إليه ،
ومنادي ينادي (يا عشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار
السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)^(٢) أي بحججه ، ثم ترجع
جهنم بسلطانها على خزانها لشدة غضب الجبار على من عصى الله وخالف
رسوله ، فإذا انفلتت من أيدي الزبانية أرادت أن تقض على كل من في
الموقف فيعرض لها صلوات الله وسلامه عليه محمد الرسول وكل نبي يومئذ
بنفسه مشغول *

رد الرسول جهنم عن الخلائق

فيأخذ محمد عليه السلام بزمامها ، ويقبض على خطامها ، فيردها على عقبها
وهو عليه السلام يقول لها : كفي عن أمتي ، فتخمد من نوره عليه السلام وتناديه أيها النبي
المكرم والرسول المشرف معظم ، خل سبلي من يديك ، مما جعل الله لي
ولا لغيري من سلطان عليك فیناديه الملك الجليل الجبار ، هذا محمد
حبيبي سيد الأبرار ، ووزير الأخيار ، فالطاعة لمن له الوسيلة والشفاعة
ف عند ذلك تضع جهنم رأسها^(٣) خاضعة كالحة كليلة^(٤) تحت سكون وخمود

(١) كذا بالأصل ولعل هذا تحرير عن حمحمت أي طلبهم .

(٢) الرحمن ٣٣ ، والسلطان هنا هو سلطان العلم .

(٣) هذه كلها أمور غبية ولكنها يقينية مع اختلاف التصور لها من شخص لأخر .

(٤) كليلة : أي مكرودة متعبة .

بإذن الملك المعبد ، لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب الحوض المورود ، والمقام الم محمود ، واللواء المعقود ، والكرم والجود ، وإقامة الحقائق والحدود . ولو تركها خاتم النبفين ، وسيد المرسلين ، لأهلكت الخلائق أجمعين ، غضباً لغضب رب العالمين . أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين *

جهنم وزفيرها

وقيل إن جهنم أعاذنا الله منها ، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها ، إذا نظرت إلى الكفار والمنافقين والفجار ، وأصحاب الخطايا والأوزار ، زفرت زفرة فترمي شرراً على رؤوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورمل البر ، فتقع على رؤوس الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخرين . فلو كانت الدنيا باقية لأنهارت جبالها ، وجفت أنهارها ، وبيست^(١) عيونها وأنهارها ، من شدة حر جهنم ، ولو كان ثم موت لمات الخلق كلهم *

الزفرة الثانية

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى فلا تبقى دمعة في عين إلا قطرت ويغلب بياض العين على سوادها ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ولا يسأل أحد إلا نفسه البر والفاجر *

الزفرة الثالثة

ثم تزفر الثالثة وهي أعظم من الأولى والثانية فلا يقى ملك مقرب ولانبي مرسل ولا ولی ولا صديق إلا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم وجميع المرسلين إلا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبفين فإنه لا

(١) بيست : أي جفت .

يُسأَلُ عَنْ هُولِ النَّارِ قَدْ خَلَصَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْوَالِهَا *

الزفرا الرابعة

ثُمَّ تَرْفُرُ الرَّابِعَةُ وَهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ فَتَلْقَى الزِّبَانِيَّةَ عَلَى
وَجْهِهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَرْفُرُ الْخَلَاثَةَ كُلَّهُمْ هَارِبِينَ ، وَيَتَعَلَّقُ جَبَرِيلُ وَمِيكَائِيلُ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِسَاقِ الْعَرْشِ وَكُلُّ مَلَكٍ يَنْادِي نَفْسِي نَفْسِي لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ
غَيْرَهَا . وَيَقُولُ أَيْضًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَبِّنَا نَجَنَّى مِنْ
عِذَابِكَ لَمَا يَرَوْنَ مِنْ حَرْمَتِهِ وَجَلَّاتِهِ قَدْرَهِ وَعَظِيمٌ مَنْزَلُهُ عِنْدَ رَبِّهِ فَإِذَا هَرَبَ
الْخَلَاثَةُ وَجَهَنَّمَ تَرِيدُ أَنْ تَأْتِي عَلَيْهِمْ وَقَدْ غَلَّ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَيَقْلِبُ بَعْضَهَا
عَلَى بَعْضٍ وَلَا يَقْنِي غَلٌ وَلَا سُرْبَالٌ وَلَا سُلْسَلَةٌ وَلَا قِيدٌ وَلَا حَيَّةٌ وَلَا عَقْرَبٌ إِلَّا
أَلْقَتِ الْكُلُّ عَلَى مَنْتَهَا *^(١) .

بِمَاذَا تَخْمَدُ النَّارُ

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْبِلُ إِلَيْهَا مُحَمَّدٌ رَبِّنَا وَيَلْقَيْ يَدَهُ فِي زَمامِهَا وَيَلْوَحُ إِلَيْهَا بِحَلَةِ
خَضْرَاءِ فَتَخْمَدُ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ الْمَبَارَكِ وَهُوَ رَبُّنَا يَضْرِعُ إِلَى الْعَلِيِّ الْمَجِيدِ وَهُوَ
يَقُولُ : يَا سَلَامٌ سَلَامٌ أَمْتِي مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ . وَأَنْشَدُوا .

الدَّمْعُ فِي خَدِّ مَنْ عَصَى حَسْنَ حَسْبَ الْفَتَنِ مِنْ دَمْوعِ الْحَزَنِ
يَا مَنْ شَكَى حَافِظَاهُ حَلْوَتِهِ لَمَا خَلَا وَالْعَبَادُ مَا فَطَنَ
فَدَ كَانَ رَبِّي عَلَيْكَ مَطْلِعًا وَأَنْتَ لَاهِي الْفَؤَادُ مُفْتَنَ
لَمْ تَهْتَكِ السُّرُّ إِذَا خَلَوْتَ بِهِ وَلَا انْفَضَتْ مِنْ عَطَائِهِ الْمَنَنَ
النَّارُ تَسْعَى إِلَى الْعَصَاهَةِ غَدًا لَمْ يَعْلَمِ الْمَذَنِبُونَ مَا وَسَنَ^(٢)
يَا قَوْمَ الْعَجَبِ مِنَ الْقُلُوبِ الَّتِي بَلَيْتَ بِالْعَبَادِ ، وَغَفَلْتَ عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ

(١) مَنْتَهَا : الْمَنَنُ هُوَ الصَّلْبُ وَمَنْتَهَا ظَهَرُهَا .

(٢) هَذِهِ الْأَبِيَّاتُ كُلُّهَا غَيْرُ مُسْتَقِبِّمَةِ الْوَزْنِ .

المعاد^(١) ، وتمادت على معصية الرب الكريم الججاد *

يا أخي كان المراد بهذا كله غيرنا . ليبعثن العبار الذليل والحقير ،
ويسأله عن الفتيل والنمير ، وعن الذرة والقطمير ، وعن القليل والكثير ، في
اليوم المهول العبوس العسير ، الذي يشيب من فطاعة هوله الطفل الصغير ،
رفق الله بنا وبكم في ذلك اليوم إنه على ما يشاء قادر .

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها : الله تعالى
يقول لك الطاعة فتقول وعز الله وعظم جلاله لأنتقمن اليوم ممن لم يعمل
بطاعة الله واستعن بنعمته على معصيته . ثم تقول : يا جبريل هل خلق الله
خلقًا يعذبني به ؟ فيقول جبريل : لا ما خلقت الله إلى إلا نعمة لمن عصاه .
فتقول جهنم عند ذلك : الحمد لله الذي جعلني نعمة لمن عصاه ولم يجعل
من خلقه من ينتقم مني . عند ذاك والله تعظم الخطوب^(٢) ، وتظهر القبائح
والعيوب ، ويندم أهل المعاصي والذنوب . وأنشدوا :

ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور

فإنا لله وإنا إليه راجعون على من باع نفسه في سوق الخسران ، وترك
العز ورضي بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران ، وبارز بالخطايا الملك
الديان .

من أسباب غفران الذنوب

حكي عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال : حضرت سنة من السنين
الوقوف بعرفات فإذا بضجة الناس ، فتذكرت يوم القيمة وذكرت رحمة الله

(١) يوم المعاد : يوم القيمة .

(٢) الخطوب : جمع خطب وهي المصائب .

فأردت أن أحلف أن الله قد غفر لكل من في الجمع فذكرت أنني فيه
فأسكت . وأنشدوا :

يا كثيرون الذنوب أقصر قليلاً قد بلغت المدى من الإسراف
فإذا اشتد بالخلافة الهمع ؛ وكثير منهم الخوف والجزع ، وبلغت
القلوب الحناجر ، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر ، نادي الملك الرحمن
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . فإذا سمعت الخلافة هذا
النداء طمع كل منهم فيه . فيقول سبحانه ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين﴾ فعند ذلك ييأس من الرحمن جميع الكفار والمنافقين والفجars ،
ويطمع فيها من آمن بالواحد القهار ، واتبع سنة محمد المختار . عند ذلك
نشر الدواعين ، وتوضع الموازين وتنطايير الصحف في الألف^(١) فكل أمرء
بما اكتسب معترف ، فندم الظالم ، وخسر الأثم ، وظهرت في الصحف
الفضائح ، وكثير الخجل واشتد الوجل ويدت الفضائح ، وشهدت على كل
أمرء حفظه والجوارح . وأنشدوا :

طال والله بالذنوب اشتغالي
ليت شعري إذا أتيت فريداً
والدواوين قد نشرن وجئنا
ما اعتذاري وما أقوال لربي
أورثني الذنوب دار هموم
يا عظيم الجلال مالي عذر
غير أن الرجاء فيك مكين
ونفضل على عبيد^(٣) مسيء

(١) كذا بالأصل وربما تكون محرفة عن الموقف.

(٢) يقصد بالسغالى أي دركات النار السفلى ولكن اختيار اللفظ غير موفق لاداء المعنى .

(٣) نو أنه قال (وتفضل على منيб مسي) لاستقام الوزن .

هذا يوم الدين

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : «إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين نادى منادٍ هذا يوم الدين ، هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون» فانظر لنفسك يا مسكون ، يا ضعيف الإيمان واليقين ، يا من يقول إنه من المؤمنين المصدقين . وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين ، التاركين لسنن سيد المرسلين وخاتم النبئين . ما أجراك أن تكون عند الله من الكاذبين ، لو خفت من عذاب يوم الدين ، لعملت بالقرآن المبين ، ولو كنت من المؤمنين المصدقين ، لأطعت رب الأولين والآخرين . فسل مولاك أن يفرج عنك ما قد نزل بك من داء الذنوب ، وهتك سترك من القبائح والعيوب . وأنشدوا :

يا طبيب الذنوب والأثام
هل دواء أبرا به^(١) من سقامي ؟
إن داء الذنوب أضعف جسمي
ومشيبٌ موكلٌ بحمامي
قد تغذيت مديتي^(٢) بالحرام
وشفائي أعيَا الأطباء إني
وركبت الذنوب سراً وجهرأ
وكلامي يزيدُ فرخَ كلامي^(٣)
كيف بالطبع أن يعالج سقمي
واغتراري وشقوتني واجترامي
في فكاكِي من الذنوب العظام
أيها الناس قد علمتم ذنبي
وابتاعدُ من محلِ الكرام
وأنا أرغب الدعاء فجدوا
وكلامي يزيدُ فرخَ كلامي^(٤)
واشتياقي إلى الطواف شديد
وإلى يشرب يحرز فؤادي
فيها الناس قد علمتم ذنبي
فسلوا الله في الوصول^(٥) فاني
ذو اشتياق لحج بيت حرام
فلعل الإله يغفر جرمي
ويفك المثان عبداً ضعيفاً

(١) أبرا به : أشفى به .

(٢) لو قال (فترة) لاستقام الوزن .

(٣) الأولى كلامه بالألفاظ والثانية جمع كلام أي جرح .

(٤) لو قال محل (ذو الجلال) (الرحيم) لاستقام البيت .

(٥) الغرام : الشر الشديد الدائم وقد وضعنا (المثان) محل كلمة (ذو الجلال) ليستقيم الوزن .

موعظة كعب الأحبار

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكتعب : يا كعب خوفنا . فاطرق برأسه ثم رفع رأسه وعيناه تذرفان دموعاً فقال : يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده أن جهنم لتزفر زفرا فتقطع السلاسل التي بأيدي الزبانية الذين يمسكونها بها حتى تفيض على أهل الجمع وتلقي الزبانية على وجوههم وينهزم مالك خازنها من بين يديها ، فلو كان لكل آدمي عمل مائة ألف نبي ومائة ألف صديق ومائة ألف شهيد ، لحقر عنده ولظن أنه لا ينجو منها . فعند ذلك يعرض لها النبي ﷺ وقد أشرقت القيمة من نور وجهه فيأخذ بزمامها ويقول لها : كفى عن أمتي ، كفى عن أمتي ، ثلثاً . فتقول له : يا أيها النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم ، ما جعل الله لي عليك ولا على أمتك من سبيل . فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الأهوال العظام بالنبي عليه الصلاة والسلام فيقول : يا رسول الله أنقذني من عذاب الله . فيقول له ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت ؟ فيقول له العبد المذنب : يا رسول الله غلت على شعوتي . فيقول ﷺ : لا شقة على أحد من أمتي ، ولا على من قال في الدنيا مخلصاً لا إله إلا الله محمد رسول الله . فيشفع له إلى الله تعالى فيشفع فيه^(١) . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذي الأيدي
شفيع الناس في يوم التنادي
إذا نشر الخلاائق من قبور
عراء يبتغون ندا المنادي
وقربت الجحيم لمن يراها
فيما لله من خوف العباد
وقد زفت جهنم فاستكانوا
سقوطاً كالفراش وكالجراد
وقد بلغت حناجرهم قلوب
وقد سخروا بأبصارِ حداد

(١) أجمع أهل العلم وجمهور الفقهاء والسلف أجمعون على أن رسول الله ﷺ سيشفع في أهل الكبار من أمته ، وسيخرج من النار أهل الكبار جميعاً من الموحدين ، ولن يخلد في النار إلا من حبه القرآن من المشركين والكافار .

راجع حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم .

فيما جبار عفواً منك فالطف
ويا رحمن رفقاً بالعباد
ونودوا للصراط ألا هلموا
فهذا ويحكم يوم المعاد
تسوّلُكم إلّي سوق عنف
مقامٌ من زبانية شدادٍ
ألا يا عشرَ الإسلامِ هبوا
من الإغفال في غمر الرقاد^(١)

حديث في الترهيب

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كل عين باكية يوم القيمة إلا عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

قدموا عباد الله في اليسر من الأيام ، ما يقيكم الأهوال العظام ، والخطوب الجسام ، والزلزال والطوم ، والعذاب الغرام ، فإن العمر يسير ، والأجل قصير ، والزاد قليل ، والهول جليل ، والعذاب طويلاً ، واليوم مهول ثقيل . فإننا لله وإننا إليه راجعون على من قطع أيامه في العصيان ، واستبدل الجنة بالنيران ، والربح بالخسران ، وترك العز ورضي بالهوان ، وعوض عن الزيادة النقصان ، ففكر فيما تسمع أيها الإنسان ، وأنا وأنت وكلنا ذلك الإنسان وأنشدوا :

مقام المذنبين غداً ذليلٌ وقدر الطائعين غداً جليلٌ
إذا مدد الصراط على جحيمٍ تصوّل على العصاة وتستطيلُ
ونادي مالكا خذ من عصاني فإني اليوم لست لهم أقيل^(٢)

سجود جهنم

ذكر في بعض الأخبار أن جهنم أعادنا الله منها ، وزحزحنا برحمته

(١) بذلك يشرح قول النبي ﷺ (الناس نیام حتى إذا ماتوا انتبهوا) .

(٢) هذا من أجمل ما روى ابن الجوزي من شعر مستقيم البناء والوزن .

عنها ، تستأذن يوم القيمة في السجود فیأذن لها فتسجد ما شاء الله من ذلك ثم
يقال لها ارفعي رأسك فترفع رأسها وهي تقول : الحمد لله الذي خلقني ليتقم
بِي مِنْ عَصَاهُ ، وَلَمْ يَجْعَلْ شَيْئاً مِنْ خَلْقِهِ يَتَقَمَّبِهِ مِنِّي *

إلهي قد اشتد بلائي وأحمدت ناري ، وغلا حميبي وزقومي ، وكثـر
نتني وغسلبني وأكل بعضـي بعضـاً . إلهي عجل علي بأهلي فوعزتكـ
لأنتقمنـ لكـ منـ عصاكـ واتـبعـ هـواـ وجـحدـ آيـاتـكـ وكـذـبـ رسـلـكـ وـجـعـلـ معـكـ
إـلـهـاـ غـيرـكـ لـا إـلـهـ إـلـاـ أـنـتـ . فـتـنـادـيـ نـداءـ يـسـمـعـهـ أـهـلـ المـوـقـفـ جـمـيعـاـ ثـمـ تـفـاظـ
عـلـىـ أـهـلـ الـمـعـاـصـيـ قـتـرـمـيـ بـشـرـ كـعـدـ النـجـومـ فـيـ السـمـاءـ وـزـبـدـ الـبـحـرـ وـرـمـلـ الـبـرـ
وـبـنـاتـ الـأـرـضـ عـلـىـ رـعـوـسـ الـخـلـاثـقـ فـيـقـعـ عـلـىـ رـؤـوسـ الـعـصـاـةـ فـمـنـ كـانـ لـهـ
عـمـلـ صـالـحـ صـارـ حـجـابـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ شـرـ جـهـنـمـ ، وـمـنـ لـمـ يـكـنـ لـهـ عمرـ صـالـحـ
صـارـ رـأـسـهـ غـرـضاـ لـشـرـ جـهـنـمـ أـعـاذـنـ اللـهـ مـنـهـ وـزـحـزـحـنـاـ عـنـهـ بـرـحـمـتـهـ^(١) . يا ربـ
الـعـالـمـينـ آـمـيـنـ *

(١) وهذا مصدق لقوله تعالى : - ﴿فَمَنْ زَحَّرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ آل
عمران ١٨٥ .

٣ - مجلس في ذكر الميزان والصراط

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾^(١) يوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً ^(٢) الآية عباد الله ما لقلوبكم لا تخشع ، وما لأذانكم لا تسمع ، وما للدعائكم لا يسمع ، وما لعيونكم لا تدمع ، وما لبطونكم من السحت ^(٣) والحرام لا تشبع ، وما لعملكم المحمود لا يرفع إخواني من شغل نفسه بخدمه المعبد المحمود؟ من خاف من ورود الناس وبثس الورد والمورود؟ *

إفتخار الوحوش علىبني آدم

ذكر في بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيمة فتخر ساجدة فيقال لها ما هذا يوم السجود ، فتقول إنما سجدنا شكرأ الله الذي لم يجعلنا من ولد آدم وجعلنا من يشهد فضائح بن آدم *

فأله الله يا إخواني إقبلوا النصيحة ، قبل يوم الخجل والفضيحة *

فإذا كان يوم القيمة وجاءت جهنم بأهوالها يضرب الصراط على متنها

(١) القسط : العدل .

(٢) الأنبياء ٤٧ .

(٣) السحت : الحرام .

طوله خمسة أئم ، وقد قيل طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا ،
أرق من الشعر ، وأحد من الموسى ، وقيل أحد من السيف وأخر من الجمر .
وقد قيل إنه شرة من جهن جاذن جهن يمدّها على متن جهن عليه
حسك وكلايلب قد تعلق بكل كلوب منها عدد نجوم السماء من الزبانية لو أن
واحداً منهم أذن الله له أن يتنفس في الدنيا لأحرقها بإنسها وجنتها وجميع ما ذرأ
الله فيها ولأذاب جبالها وجفف بحارها *

صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهن فلا يجوز يومئذ إلا من كان له
نور ، ولا يكون النور يومئذ إلا من الأعمال الصالحة ، فمن عمل عملاً صالحاً
نجاه من النار ، وجاز إلى دار الراحة والقرار . ومن لم يقدم في الدنيا عملاً
صالحاً حجب عن النظر إلى وجه الجبار ، وهو في دار الندامة والبوار . في
دار عذابها سموم وشرابها حميم^(١) وظللها لا بارد ولا كريم ، وطعمها الزقوم^(٢)
يتردى والله في دار عذابها أليم ، ومسكناها جحيم ، وساكنها أبداً في العذاب
مقيم يتردى والله في نار قعرها بعيد ، وعذابها شديد ، وشرابها صديد ،
ومقامها حديد ، وما هي من الظالمين ببعيد . وأشدوا :

أما آن يا آخ أن تستفيقا وأن تتناسى الحمى والعقيقا
وقد فصلك الشيب في عارضي سك وبيان مساويك فيه بروقا
وركب أتاههم وقد عرضوا على أتباع المنايا طروقاً^(٣)
أدارت عليهم كؤوس الحمام صبوحاً (تلزمهم) أو غبوقاً^(٤)
وما زال فيهم غراب الحما م فيسمعهم للمنايا نعيقا

(١) الحميم : الماء الحار ومشتق منه الحمى .

(٢) الزقوم : إسم طعام للعرب فيه تمر وزبد .

(٣) ألفاظ هذا البيت قلقة مضطربة لم تبين مراد ابن الجوزي منها لعدم دقته في صناعة الشعر .

(٤) الصبح : السقيا في الصباح . والغبوق : الاستسقاء في المساء .

روحني أعاد الفسيحات ضيقاً
 عساك تجوز الصراط الدقيقاً
 تُ وتلقى الحوامل وعداً صدوقاً
 لها عنق تترامي حريقاً
 تقطع أمعاءهم والعروقاً
 لتسمع إلا البكا والشهيقاً
 ت تخال مباسمهن البروقاً
 من فمشتاقة تتلقى مشوقاً
 لقد فاز من كان للمصطفى بدار المقام يوماً رفيقاً
 ويحجل في عرصات القصو
 إلا فازجر النفس عن غيّها
 مقام به تذهب المرضعاً
 وتبز للناس نارُ الجحيم
 شرائبهم المهل في قعرها
 إذا طقت فوقهم لم يكن
 بذلك خير أم القاصراً
 قصرن على حب أزواجها
 لقد فاز من كان للمصطفى

حسن العمل والصراط

فمثل لنفسك يا مسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين ،
 وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، ورأيت الباطلين في ظلمات
 البطالات وغمرات الجهالات . فالله الله يا جماعة الضعفاء ، يا من قطع عمره
 في الخلاف والجفاء ، خذوا لأنفسكم بالإحتياط ، واحذروا الأهوال الصعبة
 عند جواز الصراط . لأن الصراط لا يجوزه أثم ، ولا ينجو منه ظالم .
 والصراط حق رقيق ، لا ينجو منه من خالف التحقيق ، وترك السنة ومنهاج
 الطريق الصراط طويل بعيد ؛ لا يجوز إلا من أخذ نفسه بالحزن الشديد ،
 واستقام على طاعة الولي الحميد . الصراط مهول مخوف^(١) ، لا يجوزه إلا
 من أغاث الملهوف ، وأطاع الرحيم الرؤوف الصراط صعب مهول ، لا يجوزه
 إلا من اتبع سنة محمد الرسول ، وأطاع ربا لا يحول ولا يزول . الصراط كثير
 الربانية^(٢) لا يجوزه إلا من أطاع مولاه في الفانية ، وراقب الله في السرّ
 والعلانية .

(١) ، (٢) لم يوفق ابن الجوزي في ترابط المترادفات التي أوردها ، حيث يظهر فيها جلياً تكلفه
 في الأسلوب واهتمامه بالفواصل أكثر من اهتمامه بالألفاظ ومعانيها ، ولو أنه تجاوز عن السجع
 لكان أوفق له .

وذكر في بعض الأخبار أنه لا يجوز الصراط العبد والأمة إلا من بعد نشر
الدواوين ، ووضع الموازين *

الموازين يوم القيمة

ذكر أن لكل إنسان ميزاناً يوزن به عمله فمن عمل عملاً سيئاً خفت
موازيته وهو في النار وقد قيل : إن الميزان هو منصوب بين يدي عرش
الرحمن يوزن به أعمال العباد *

وكان الحسن رضي الله عنه يقول : لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من
خير وشر ، واستدل على ذلك بقوله تعالى « ونضع الموازن القسط »^(١) ليوم
القيمة الآية . وأما قوله تعالى « وأما من ثقلت موازيته » « وأمامن خفت
موازيته » فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله « ثقلت » و « خفت » فقوله
« ثقلت » بقول لا إله إلا الله بالإخلاص ، و « خفت » من الحسنات
بالشرك والنفاق والرياء والسمعة . لأن العبد قد يقول : لا إله إلا الله على
معصية ويقول لا إله إلا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم ، فإنما ذلك نفاق
لأن النبي ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً رجع ميزانه ونجا من النار
ودخل الجنة » فقيل يا رسول الله وما إخلاصها ؟ فقال : « أن تزحزح حكم عما
حرّم الله عليكم » .

وزن الأعمال

ذكر في بعض الأخبار أنه يقدم عبد يوم القيمة للحساب فيخرج له تسعة
وتسعون سجلاً ^(٢) مملوءة بالسيئات فتوضع في كفة الميزان فيشتدهم العبد
وكربه فيقول الجبار جل جلاله : لعبني عندي ذخيرة ادخرتها له ، فيأمر الله

(١) القسط : العدل .

(٢) السجل : الصحيفة .

تبارك وتعالى أن يخرج له رقعة صغيرة فيها مكتوب ، مات فلان وهو يشهد
ويقول لا إله إلا الله مخلصاً *

كلمة التوحيد

فيقول الله تعالى ضعوها في ميزان عبدي فتوضع في ميزانه فتميل
الميزان بها وترجح على جميع سيناته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك
وتعالى به إلى الجنة وأنسدوا :

أعددت الله حين القاء أشهد أن لا إله إلا الله
أقولها لـ إله خالصة يرحمني في القيمة الله
لعل يوم الحساب أنج بها يوم العقوبة يوم زاد بلواه
يوم يفوز على الأشهاد قائلها ويخسر الجاحدون نعماء
فهي لدار الخلود قائدة ومن عصي فالجحيم^(١) مأواه
من قالها لـ إله مخلصة فهو الذي قد أتاها تقواه
وهو الذي في الخلد مسكنه الله قد خصه فيها وأرضاه
قد فاز عبد يكون ذاكرها بدار عدن جوار مولاه
يحظى بدار الخلود قائلها طوبى لمن قالها وطوبى
من كان عند الممات قائلها فاز بدنياه وأخراء

فالله لله عباد الله ارغعوا إلى مولاكم أن يثبتكم^(٢) على الكلمة المباركة
الحقيقة في اللسان الثقيل في الميزان ، المزينة للديوان ، بها يرضى الملك
الرحمن ، وبها يسخط اللعين الشيطان ، وبها ينجو العبد المذنب من
النيران ، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والأمان .

(١) الجحيم : جهنم .

(٢) وهذا معنى قوله تعالى : - « بثت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ،
ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » إبراهيم ٢٧ .

فضل الصدقة

ذكر أن العبد إذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال الدنيا فإذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلا وجه الله تعالى ، ولم يطلب بها جزاء من مخلوق ولا رباء ولا سمعة ولا محمدة ولا شكر ، فإن تلك الصدقة تتوضع في الميزان بأمر الملك الخالق فترجع على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال وأنشدوا :

يا جامع المال يرجو أن يدوم له كُلُّ ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذى قد قال إذ حضرت وفاته ثُلُثٌ مالي للمساكين
واعلموا عباد الله أن الميزان إذا نصب للعبد فهو من أعظم الأهوال يوم القيمة ، لأن العبد إذا نظر إلى الميزان انخلع فؤاده وكثُرَت خطوبه ، وعظمت كرويه فلا تهدأ روعة العبد حتى يرى أيشقل ميزانه أم يخف ، فإن ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف ميزانه فقد خسر خسراً مبيناً ، ولقي من العذاب أمراً عظيماً *

شفاعة الرسول ^(١)

ذكر في الأخبار أن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروهم ، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم ، ووزنت أوزارهم وذنباتهم ، وضاقت حيلهم ، وتغيرت أحوالهم ، فعند ذلك يأتّهم النبي الشفيع محمد ﷺ ، فإذا نظر إلى أمته قد تحيروا عند الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم ، فتأمره الله تعالى أن ينظر إلى موازين أمته فينظر ﷺ إليها فترجح موازينهم من نظره ونور وجهه ﷺ *

ذكر أن الميزان بيده جبريل عليه السلام وله كفتان أحدهما بالشرق

(١) أسلينا كثيراً في بيان شفاعة النبي ﷺ في موقف القيمة في كتابنا (مواقف يوم القيمة) فليراجعه وليتذمّره من شاء .

والأخرى بالمغرب ، وأن الذرة والخردلة والحبة من أعمال العباد من الخير والشر لتوضع في الكفة فتتميل بها بقدرة الله تعالى ، فالله أعلم بحقيقة ذلك . فلا يحقرن أحدكم حسنة يعملاها وإن صغرت في عينه فربما ثقلت الميزان ، ولا يحقرن أحدكم سيئة يعملاها وإن صغرت فربما خفت الميزان . لأن الذنب الصغير في عين محترقه يأتي يوم القيمة وهو في الميزان أعظم من الجبال الرواسي *

ما يثقل الميزان

قال الله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً »^(١) الآية . روى أبو هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ . « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » وقيل جاء رجل إلى رسول الله ﷺ . فقال . يا رسول الله جئتك تعلمني علمًا يدخلني الجنة وينجني من النار . فقال له النبي ﷺ . « ألا أدلك على كلمتين ثقيلتين في الميزان ، خفيفتين على اللسان ، ترضيان الرحمن ؟ وتسخطان الشيطان ، تقول سبحان الله والحمد لله فإنهما المقربتان يقربان من الجنة ، ويعيadan من النار » فكل من زعم أن الميزان ليس هو حق ، فقد رد على الله في كتابه ، وعلى رسوله ﷺ في سنته *

الرأس في الخير والرأس في الشر

روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال . يؤتى يوم القيمة بالميزان فتوضع بين يدي الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الخير ^(٢) يدعوه إليه ويأمر به دعى باسمه ، ثم يقرب من الميزان

(١) الأنبياء ٤٧ .

(٢) له رأس في الخير : له يد وسبق .

فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا ، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الأمة حسنة واحدة غفر له جميع ذنبه وإن كثرت ذنبه *

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة . « يا عائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحدة لأدخله بها الجنة »^(١) فقالت يا رسول الله فماذا يصنع بأعمال العباد ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب » وإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الشر يأمر به ويدعو إليه دعي بإسمه فقدم إلى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته على حسناته ولو كانت سيئاته واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لأن الله تعالى أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة^(٢) ، ويأمر بهم ذات الشمال إلى النار . فقال أصحابه رضي الله عنهم : يا رسول الله أما كانوا مسلمين ؟ فقال ﷺ : « كانوا يصلون كما تصلون ، ويصومون كما تصومون ، ويزكون كما تزكون ، ويقومون من الليل برهة ، ولكن كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا عليه كالذئاب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة ، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فاحرى أن لا يؤثر في الميزان ، لأن الحسنات لا تنفع ولا تشغل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لأنه تعالى لا يقبل إلا ما كان لوجهه خالصاً ». فالله الله عباد الله إذا عملتم عملاً فاخلصوا لله فإن الله لا ينفعكم ولا يتقبل منكم إلا ما كان لوجهه خالصاً . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الله باعه يوم الحساب لدى نشر الدواوين
فلا يرد بفعال البر أجمعها إلا الحساب وتقيل الموازيين

(١) وهنا يجب أن يتتبه الناس إلى أن العبادة شيء وأن قبولها شيء آخر وأهم شيء نضرع به إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منها .

(٢) وهذا مصدق لقوله ﷺ : - « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الرزق مثل أوزار من اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً .

فقدموا عباد الله للميزان بلزوم طاعة الرحمن .. قدموا للموازين بطاعتكم
سلطان السلاطين .

إخواني وأعظم مصيبة وحسرة من خفت موازيته من الحسنات ، وأمر به
إلى العذاب والعقوبات . والويل ثم الويل^(١) لمن خفت موازيته من صالح
الأعمال ، وغضب عليه ذو الجود والإفضال ، وأمر به إلى العذاب والنكال ،
وإلى السلسل والأغلال *

وزن أعمال العباد

يا إخواني فإذا وزنت أعمال العباد ، وخف من خف وثقل من ثقل ؛
أمروا أن يمضوا إلى الصراط فيجيء كل إنسان إلى الصراط فيقحم الصراط
فمن الناس من يضع عليه قدمه ، فينزل من أول قدم يضعها فيهوي في النار ،
ومن الناس من يمشي القليل منه ويزل في النار ، ومنهم من يجوزه كالبرق
الخاطف ، ومنهم من يجوزه كالريح الهبوب ، ومنهم من يجوزه كالطير
السريع في طيرانه ، ومنهم من يهرون^(٢) ، ومنهم من يكون كالضعف إذا
مشى ، ومنهم من يكون كالمبطون^(٣) الذي يمشي على يديه ورجليه ، ومن
الناس من يأتي إلى الصراط فتخرج النار فتأخذه فهوبي به . كل هذا على قدر
أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم ، على قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها ،
وعلى قدر تثقيل الموازين وتحفيتها . فإذا أتي العبد من أمة محمد ﷺ إلى
الصراط فمن كان من أهل الذنب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط
بقي متخيلاً لا يقدر على الجواز . في بينما هم في شدة الفزع من هول الصراط
* إذ أقبل محمد ﷺ

(١) الويل : مثل كلمة ويع ، وقيل ويع كلمة رحمة ، وويل كلمة عذاب ، وقيل هما يعني واحد .

(٢) راجع حاوي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ، وكتابنا (مواقف يوم القيمة) .

(٣) المبطون : المريض بيته ، كالممعد المريض بمعدته ، والمحموم العليل بالحمى والممود السقيم بالقلب .

نور الرسول على الصراط

فإذا نظر صلوات الله وسلامه عليه إليهم كساهم نور وجهه ﷺ ما يجوزهم الصراط ، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى ﷺ على قدر صلاته عليه في الدنيا ، فيستيق العباد في الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذي أخذوا من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه ﷺ زاد الله تبارك وتعالى في النور في وجه العبيب محمد ﷺ فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم عليه مبلغة إليه *

فضل الصلاة على النبي

قال النبي ﷺ : « أنجاكم من أهواك يوم القيمة ومواطنها أكثركم على صلاة وأولاكم بشفاعتي أكثركم على صلاة » فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر المذنبين ، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين ، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، وجعلنا بالصلاحة عليه من الأمرين من عقابه^(١) ، والفاوزين برحمته من عذابه ، إنه منعم كريم . وأنشدوا :

الآن بأحمد ذي المعالي
إذا مُدَّ الصراط على جهنم
إذا كان النبي لنا شفيعاً
ولو كانت خطایانا جساماً
لجزنا في الصراط^(٤) بغير حزن
شفع الناس في يوم السؤال
تصول على العباد باستطال^(٢)
ستنجوا من سلاسلها الطوال
تشبه^(٣) بالثقال من الجبال
إلى دار الخلود مع الجلال

روي عن النبي ﷺ أنه قال . « يمر الناس على الصراط فالزَّالون

(١) أي من عقاب الله .

(٢) هذا البيت غير مستقيم الوزن ، وكلمة باستطال غير مؤدية للمعنى الذي قصده منها ولو أنه قال في الشطر الثاني (تصول على الخلاص بالوابد) لاستقام .

(٣) تشبه : الأصل تتشبه وحذفت التاء للتخفيف .

(٤) قوله لجزنا في الصراط غلط لأن الفعل جاز فعل متعد وليس لازماً تقول جاز الصراط وليس جاز في الصراط .

والزالات كثير وأكثر ما تزل النساء » ذكر أن الصراط عليه زبانية ينظرون إلى وجوه العباد فمن رأوا في وجهه نوراً ترکوه أن يتحول ويجوز ، ومن لم يروا في وجهه نوراً كيکبکوه في النار ، ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح *

جسور جهنم

روى بعض العلماء عن التابعين وعن بعض الصحابة أنهم قالوا : إن جهنم أعادنا الله منها عليها سبعة جسور وهي القنطرة^(١) ، ثلاثة دون الرب سبحانه وتعالى ، الرابعة الوسطى عليها الرب جل جلاله لأحد ولا كيف تسليناً وإيماناً وتصديقاً *

القنطرة الأولى

والصراط أحد من السيف فيقول الله تبارك وتعالى حين يبلغون القنطرة الأولى : وقفوهم إنهم مسؤولون ، ما لكم لا تناصرُون ، فيحبسون فيحاسبون على الصلاة فمن وجدت صلاته تامة نجا من تلك القنطرة ومن لم توجد له صلاة تامة هو في النار فينجو من نجا وبذلك من هلك .

القنطرة الثانية

ثم يحبسون على القنطرة الثانية فيحاسبون على الأمانة وهي أمانة الخالق وأمانة الخلق وإذا أراد الله بعده خيراً جعل الغنى في قلبه وجعله أميناً لله وأعانته على أداء الأمانات التي افترض عليه جل جلاله من الوضوء والاغتسال والصلاوة والصيام والزكاة وإعطاء كل ذي حق حقه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله فذلك العبد الذي ألهمه الله تعالى رشده ، وبصره عيوب نفسه وجعل غناه في قلبه *

(١) هذه مسائل وقضايا غب يجب ألا توقف عندها كثيراً وألا تتعب العقل والتفكير في نقاشها والاسلم ألا نؤول ألا نعمل ، فيوم القيمة سنرى كل شيء مما أخفاه الله عنا رحمة بنا .

تأدية الأمانة وتضييعها وإذا أراد بعده شرًا جعل فقره بين عينيه وفي قلبه وكسّله عن إداء الأمانات من المفترض الذي افترض عليه وعلى جميع عباده ، وغَيْب عنه رُشْدَه ، وسُلْطَه عليه الشيطان فزين له سوء عمله وحَبَّب إليه عيوبه^(١) . فإذا كان العبد كذلك فلا يبالي عما قال ولا عما قيل فيه ، ولا يكون همه إلا في دنياه وإصلاحها ولا يبالي بتلافي ذنبه فلذلك العبد الذي قد سخط عليه مولاه وأبعده عن أبواب الخير كلها ، وقربه من أبواب الشر كلها . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

تضييع الأمانة

ذكر في بعض الأخبار أنه يؤتى بمضييع الأمانة فيقال له أدي ما ضييعت فيقول : يا رب ذهبت عني الدنيا فمن أين أؤديها ؟ فيخلق له مثلها في قعر جهنم أعادنا الله منها فيقال أنزل إليها وأخرجها إلى صاحبها ، فينزل العبد المسكين إليها فيرفعها على كتفه فهي أثقل من جبال الدنيا كلها ، فإذا صار الشقي المسكين إلى أعلى جهنم وقعت من كتفه إلى قعر جهنم ، فيقال له انزل إليها فينزل مرة أخرى ويرفعها ، فإذا صار إلى أعلى جهنم وقعت منه ، فلا يزال هذا عذابه إلى ما شاء الله تعالى من ذلك . هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم . وهذا العبد والله أعلم الذي ضييع أمانات الناس . وأنشدوا :

خرجت من الدنيا وقد حُنْتَ أهلَها
وصرت إلى النيران بالوزير والإثم
وطالبني الجبار بالصدق والوفا
وبيان لأهل الجمع ما كان من جرمي^(٣)
أمانة رب العرش والذكر والحكم
وقيل لكل الخلق هذا مضييع

(١) مصداقاً لقوله تعالى : - ﴿ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾

التمل ٢٤ .

(٢) الأنفال ٢٧ .

(٣) الجرم : من الجريمة وهو الإثم والذنب .

القنطرة الثالثة

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهي أدنى من الرب جل جلاله - بلا تكيف ولا تحديد - فيحاسبون على صلة الرحم كيف وصلوها *

صلة الرحم

ولم قطعوها والرحم^(١) يومئذ تنادي اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه . فينجو من نجا ويهلك من هلك *

القنطرة الرابعة

ثم يمرون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجو من نجا ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لأن الله تعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين فقال جل إسمه عز وجهه ﴿أَنَا شَاكِرٌ لِي بِلِوَالْدِيْكَ إِلَيْيَ الْمُصِيرِ﴾^(٢) فالله تعالى يقول في بعض كتبه المنزلة *

شكر الوالدين

أَرْضِ الَّذِيْكَ فَإِنْ رَضَائِي فِي رِضَا الَّوَالِدِينِ وَسُخْطَيْ فِي سُخْطَ الَّوَالِدِينِ ، فَلَوْ أَنْ عَبْدًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ أَلْفِ صَدِيقٍ وَكَانَ عَاقِلًا لِوَالِدِيهِ مَا نَظَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ وَكَانَ مَصِيرَهُ إِلَى النَّارِ وَمَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ أَوْ أَمَةً مُسْلِمَةً ضَحَّكَ فِي وَجْهِ وَالِدِيهِ أَوْ أَحْدَهُمَا إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الذَّنْبِ وَالْخَطَايَا وَكَانَ مَصِيرَهُ إِلَى الْجَنَّةِ . وَأَنْشَدُوا :

الوالدان إلى شكر الإله وصول^(٣) **والوالدان إلى دار السلام سبيل**

(١) الرحم : القرابة .

(٢) لقمان ١٤ .

(٣) البيان من بحر البسيط وهو غير مستقيمي الوزن .

صل والديك ولا تقطع حبالهما ليجزيئك في دار البقاء جليل

القنطرة الخامسة

ثم يحبسون على القنطرة الخامسة فيحاسبون على حفظ اللسان من الغيبة والنميمة وشهادة الزور فينجو من حفظ لسانه ويهلل من سرح لسانه بما لا يعنيه لأنه ليس من جوارح العبد أشد ذنبًا من اللسان ، لأن كلمة يتكلّم بها العبد أو الأمة تكون سبباً لدخول النار *

ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحًا ودواه ، وجعلهما بجواره فإذا تكلّم كتبها في اللوح ويقول لنفسه : هكذا أثبّتها عليك الملك بأمر الملك ، فإذا غربت الشمس وصلّى صلاة المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأ ويبكي ويقول في بكائه ونحبيه وتقريره لنفسه : يا نفس كأنني بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط ، يا نفس تراك بأي كلمة من هذه تدخليني النار ؟ فلا يزال يبكي حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه ، فإذا أفاق مما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقطراس وهو يقول متضرعاً : يا الله عفواً ورفقاً ولطفاً بعذبك . فلم يزل هذا دأبه حتى مات ، فرأاه بعض الصالحين في المنام في حالة حسنة فسألته عما لقي من الله تعالى فقال : ما لقي من الكريم إلا الكرم ، جعل محاسبتي لنفسي في الدنيا بدلًا عن الحساب في الآخرة ، وجعل دموعي التي بكيت في الدنيا أنها رأينا يوم العطش الأكبر ، وتفضل الكريم على بدخول الجنة وبجواز الصراط ، ومن علي بالفضيلة العظيمة والزيارة الكبرى إلى وجهه الكريم *

كلمة الشر وعدابها

وقد روی عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الرجل ليتكلّم بالكلمة فينزل بها

في النار بعد ما بين المشرق والمغرب ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعده خيراً
أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره »^(١) .

قيل مر رجل على رجل فسلم عليه ، فقال له الرجل الذي سلم عليه :
يا أخي لو كشفت لك عن حالي ما سلمت عليّ ! فقال له الرجل الذي سلم
عليه : يا أخي لو كشفت لي عيوبك لكان في عيوبك ما يشغلني عن جميع
عيوبك . فجلس كل منهما يبكي في ناحية حتى بل كل واحد منهما الأرض
بدموعه ثم تفرقا *

شهادة الزور

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من شهد شهادة زور على ذمي أو
مسلم أو من كان من الناس ، علق بلسانه في الدرك الأسفل من جهنم »^(٢) *

وفي بعض الأخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى ،
وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة في شهادة الزور ، وبكل حرف كتب فيها
شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة . ولو أن شاهد الزور جاء
يوم القيمة بعمل سبعين نبياً ما نظر الله إليه . وكذلك صاحب الغيبة والنسمة
لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة .
وأنشدوا :

إذا ازدحم العباد لكي يجوزوا تساقط كل جبار أثيم
بقعر النار ليس لهم مغى ولا للعاشي يوماً من حميم

(١) لو عرف الناس ذلك ووعوه لأنقلوا أنفسهم من شر مستطير ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا أراد الله بعده خيراً استعمله ، قالوا : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يهؤه لعمل صالح قبل المرت) اللهم نسألك الهدى والنجاة من النار .

(٢) لأن الشهادة الزور فيها ظلم للنفس وقد نزع الله سبحانه وتعالى عن الظلم وحرمه بين عباده ، ورد هذا في الحديث القدسي حيث قال : عبادي لا تظالموا . . . الحديث المعروف . ولذلك قيل في المثل السيار (شاهدك قاتلوك) .

من التعذيب في قعر الجحيم
فيالله من هول عظيم
من العصيان للرب الرحيم
ومن يطع الإله فسوف ينجو
إذا نصب الصراط على جحيم
ألا يا معاشر الإسلام توبوا

إخواني أطيعوا الله في السر والإعلان ، واعملوا بالسنة والقرآن ،
واتركوا الأوزار والعصيان ، واحذرؤا من هول الصراط المنصوب على سموه
النيران *

القنطرة السادسة

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار ، فينجو
من حفظ جاره وأكرم ضيفه ، وبهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه *

إكرام الضيف

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال ، وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له . فما أنفق على الضيف في الخمر أو مما لا يرضي الله تعالى به فإن ذلك الضيف يأتي يوم القيمة يتعلق هذا بهذا ويُلعن لهذا ، ثم يأتيان إلى الصراط وكل واحد منهمما يلوم صاحبه ويقول له لعنك الله الذي ساعدتني على الإنفاق في غير الله ، ثم يقال لهما جوزوا الصراط ففي أول قدم يضعان على الصراط يهويان في النار *

البركة مع الضيف

وقال رسول الله ﷺ : « الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخلت معه ألف بركة وألف رحمة ، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمره » *

وعن ابن عباس رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال : « درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من ألف دينار ينفقها في سبيل الله ، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله تعالى يوم القيمة بألف كرامة وخلصه من النار وأدخله الجنة »^(١) .

وقد جاء في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يقول لها : « يا عائشة لا تتكلفي للضيف فتمليه^(٢) » وإنما أراد ﷺ مداومتها على إكرام الضيف * *

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا علي إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قد منّ عليك إذ بعثه إليك ليغفر لك ذنبك بذلك » *

ينزل الضيف برزقه

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس لا تكرهوا الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه ، وإذا رحل رحل بذنب أهل المنزل »^(٣) *

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه : ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله تبارك وتعالي إلى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به بأربعين يوماً ملكاً على صورة طائر ينادي يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم في يوم كذا وكذا والخلف من الله من باب كذا وكذا فتقول الملائكة الذين وُكلوا بأهل الدار . وبعد الخلف ما يكون ؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتاباً فيه مكتوب ،

(١) فربما يكون الضيف رجلاً صالحًا فيدعوك بالخير فتقبل دعوه .

(٢) ولذلك فقد قيل أن غاية الجود بذلك الموجود ، فإن التكلف في إطعام الضيف يكون مدعاه للملل والسآمة ، وهذا التكلف ليس من السنة في شيء .

(٣) لويعرف الناس ذلك لتوادوا وترحموا واتصلت مودتهم ، لنيل الدرجات العلي .

قد غفر الله لأهل المنزل ولو كانوا في ألف *

وفي حديث آخر أنه قال : ما من عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفاً
لوجه الله الكريم إلا نظر الله إليهم إن كانوا جماعة ، فإن كان الضيف من أهل
الجنة وكان ربُّ المنزل من أهل النار ، جعله الله تعالى من أهل الجنة بإكرامه
ضيوفه *

وفي حديث آخر ، إن الضيف ورب المنزل - وأرباب المنزل إن كانوا
جماعه - يأتون الصراط فیأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع
من البرق اللامع ، فإن لم يكن فيهم من له عمل يجوز به الصراط أمر الله
الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز الصراط ولو كانوا مائة
ألف *

إطعام الطعام

إطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه ، مخلوف ومسلوف ومتلوف ،
فالمخلوف الذي يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يتطلب به جزاء
من مخلوف ، والمسلوف الذي تضيفه مرة ويضيفك أخرى . والمتلوف كل ما
كان إطعامه على المعاصي . والمخلوف والمسلوف فيماهما الأجر إلا أن
المخلوف أعظم أجراً ، والمتلوف هو حسرةً وندامةً يوم القيمة . وأنشدوا :

يا مُكرِّم الضيف للرحمٍ خالقنا عند الصراط ستلقى الخير موفورا

أكِيرم ضيوفك كي ترجو الجواز غالباً على الصراط وترجو الخلد^(١) مجبورا

حفظ الجار

وأما حفظ الجار فإن العبد أو الأمة يسأل عن حفظه ، فمن حفظ جاره

(١) الخلد : الجنة لأن نعيها دائم .

جاز الصراط ونجا من العذاب الأليم ، وصار إلى جنة الخلد ودار النعيم *
روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات
سبعين وجاره جوعان ، أو بات ريان وجاره عطشان»^(١) ومن كرامة حفظ الجار
أن توقيته من الغفلات تلهمه إلى الطاعات ، وتأمره بإقامة الصلوات *

تعلق الجار بالجار

ذكر في بعض الأخبار أن الجار يتعلّق بجاره يوم القيمة فيقول : يا رب
جاري هذا خاني في الدنيا . فيقول الله تبارك وتعالى : لم خنت جارك ؟
فيقول عزتك وجلالك ما خنته لا في مال ولا في أهل وأنت أعلم بذلك .
فيقول له جاره : ما فعلت ذلك ولكن رأيتني على المعاصي فلم تزجنني عنها
فيؤمر به وبصاحبه إلى النار ولا يغفر الله لهما . وما من عبد مسلم أو أمّة
مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر إلا جوزه الله تبارك وتعالى
على الصراط قبل العباد بخمسينات عام^(٢) *

الوصية بحفظ الجار

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «لقد أوصاني ربِّي ليلة أسرى بي بحفظ
الجار حتى ظنت أنه سبوره » وبعض العلماء يرى شفاعة الجار . فكل من
حفظ الجيران ، فقد أطاع الرحمن ، وأسخط الشيطان ، وعمل بالسنة
والقرآن . روي أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعن يوم القيمة في
سبعين من جيرانهما ويجزوانهم على الصراط . عباد الله من حفظ الجار نجا
من النار ، وجاز الصراط إلى دار القرار ، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة

(١) ولذلك قيل إن سبب ابتلاء يعقوب في يوسف ألم . - أعد وليمة . - ترك جاراً له لم يطعم
قبات جائعاً ، فثار الله أن يجعل ليعقوب الجزاء في الدنيا فكانت فجيئته في يوسف .

(٢) وهذا فيه نظر ، والله أعلم .

والكتاب ، وأطاع الملك الوهاب ، وأسخط الشيطان اللعين الكذاب ، وما من جار يلقى جاره المسلم فيسلم عليه إلا غفر الله لجاره ولو كان له ألف جار . حفظ الجار قربة ووسيلة ، ودرجة عند الله وفضيلة . وأنشدوا :

يا حافظ الجار ترجو أن تناول به عفو الإله وعفو الله مذكور^(١)
الجار يشفع للجيран كلهم يوم الحساب وذنب الجار مغفور

القنطرة السابعة

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيسألون عن الصدق ، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الأبرار *

الصدق والكذب

ومن كذب فقد خالف الكتاب والسنة ، وقد حرم نعيم الجنة *
روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا كذب المؤمن كذبة من غير عذر
تباعد منه الملكان مسيرة سنة من نتن ما جاء به ، وكتب الله تبارك وتعالى عليه
بكذبة ثمانين خطيئة أقلها كمن يزني بأمه »^(٢) .

كذبة المؤمن بثمانين خطيئة

وإذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيه شيء متن حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون ألف ملك ، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحد . الكذب نفاق ، والكذب من الكبائر ، وإذا استحل العبد الكذب فقد استحل المحارم^(٣) كلها وإذا لم يستحل العبد

(١) مذكور : إسم مفعول من ذاكر عمل محل إسم الفاعل : أي حافل ممتلىء .

(٢) لأن الكذب من آيات المنافق والمنافق في الدرك الأسفل من النار .

(٣) استحل المحارم : انتهك الحرمات .

الكذب لم يقدر أن يباشر شيئاً من محارم الله ، وأن الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مائة عام - يعني على الصراط - ومن صدق عمل بكتاب الله واتبع سنة رسول الله والصادق أسرع جوازاً على الصراط وأسرع الناس دخولاً الجنة . والكافر في أول قدم يضعها على الصراط يهوي في النار ، فلا ينجو من الجسر السابع - وهو أصعبها - إلا من صدق وبذلك من كذب جعلنا الله وإياكم برحمته ممن صدق فنجا وأنشدوا :

أصدق يريك^(١) إله العرش جنته يوم المعاد ولا تلوع بتكذيب
إن الصدوق لدى الرحمن متزلاً دار الخلود بلا موتٍ وتعذيبٍ
يُومُ الجزاء على متن الصراط إلى دار النعيم بلا حزن وتكئيب^(٢)

ذكر في بعض الأخبار أن الصادق يجوز على الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله فالله عباد الله كانوا من الصادقين ، ولا تكونوا من الكاذبين ، وتأسوا بخاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

أجمعين *

نجاة الصادقين

ذكر في بعض الأخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهوله يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار ، يتلقاً^(٣) مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة . قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده إن أحدهم مسكنه في الجنة أدل منه لمسكته الذي كان في الدنيا» يا لها من كرامة ، ويا لها من نعمة ، ويا لها من ميّة ، ويا لها من فرحة . فقدموا عباد الله في اليسير من الأوقات ، والقليل من الساعات ، ما يُجُوزُكم الصراط ، ويقيكم الآفات . الصراط على متن جهنم ممدود ، لا يجوزه إلا من

(١) يريك وردت في الأصل (بربك) وهو خطأ .

(٢) في الأصل وتبكيت وهذا خطأ تحريف لأن القافية بائية .

(٣) يتلقاً : يقتضي بعضهم من البعض .

خاف من أهواك اليوم الموعود ، وأطاع الملك المعبد ، الغفور الودود *

الصلوة تجوز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام في ليلة من لياليها يصلي عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد ﷺ عشر مرات ثم يقول : سبحان من كان ولا مكان ، سبحان الموجود بكل حين وأوان ، سبحان المعبد في كل أوان ، سبحان المُسَبِّح بكل لسان ، سبحان المنجي من الهمم ، سبحان خالق الأرضين والسموات ، جُوْزَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى على الصراط أسرع من البرق الخاطف ، ولا يؤذيه حر النار ويمضي إلى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين ، ويشفعه الله تعالى في سبعين من أهله وجيرانه . وهي أفضل ما يصام من الشهر وهي يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يمر الناس على الصراط فالزائلون ^(١) والزالات كثير وأكثر ما ينزل النساء ، وجريل عليه السلام آخذ بمحجزتي ^(٢) إذا عصفت الريح بأمتى فصاحوا يا محمداه فلولا أن جريل عليه السلام آخذ بمحجزتي لا غشت أمتى ، فينادون جوازاً فلا يجوزه ظالم ^(٣) ، فيبقون متغيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائي لهم فيقول جوزوا على الصراط بعفوكي فيجوزوا » اللهم أغفر لنا جميعاً برحمتك . وأنشدوا :

لو علم الخلق ما يراد بهم وأيما مسودة غدا يرددوا
ما استعدبوا لذة الحياة ولا طاب لهم عيش إذا رقدوا

(١) في الأصل (فالزائلون والزالات) وهو خطأ واضح .

(٢) الحجزة : مقعد الإزار .

(٣) ولا تنفع الشفاعة في ظالم أو مشرك لقوله تعالى « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع »
غافر ١٨ .

خوفاً من العَرْضِ والصِّرَاطِ عَلَى نَارٍ تَلَظُّى وَحْرَهَا يَقْدُ
وَالنَّاسُ فِي هُولٍ مُوقَفٌ عَسِيرٌ
قد عَانَوا هُوَلَهُ الَّذِي وَعَدُوا
يَا لَكَ مِنْ مَوْقِفٍ يَفْوَزُ بِهِ قَوْمٌ هُمْ لِلْجَنَانِ
قد وَفَدُوا مَعَ النَّبِيِّ قَدْ اصْطَفَاهُ خَالِقُنَا صَلَى عَلَيْهِ الْمَهِيمُنُ الصَّمَدُ^(١)

عِبَادُ اللَّهِ اشْتَرَوُ أَنْفُسَكُمْ مِنْ مُوَلَّاكُمْ بِالْيُسُورِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَبِالْقَلِيلِ مِنَ الْأَفْعَالِ ، وَبِالْطَّيْبِ مِنَ الْأَقْوَالِ ، مِنْ قَبْلِ حِبْسَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ لِشَدَّةِ
الْأَهْوَالِ ، يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خَلَالٌ ، بَيْنَ يَدِيِّ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ *

كيفية الجواز على الصراط

ذُكِرَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ النَّاسَ يُنَقَّسِمُونَ فِي جَوَازِ الصِّرَاطِ سَبْعَةَ أَقْسَامٍ ، فَيُجَوزُ أَوْلُ قَسْمٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ كَطْرَفَةِ عَيْنٍ ، وَالثَّانِي كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَالثَّالِثُ كَالرَّبِيعِ الْعَاصِفِ ، وَالثَّارِبُ كَالْطَّيْرِ الْمَيْجَدِ ، وَالثَّالِثُ كَالْخَيْلِ فِي جَرِيَّهَا ، وَالثَّالِثُ كَالْمَاعِشِ ، وَالثَّالِثُ كَالْمَهْرُولِ *

أقسام الناجين على الصراط

فَإِنَّ الْقَسْمَ الْأَوَّلَ فَهُمْ أَصْحَابُ الصَّدَقَاتِ وَقَوْمُ اللَّيْلِ وَالْعُلَمَاءِ
يَقْدِمُونَ عَلَيْهِمْ^(٢).

(١) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ جَمِيعًا غَيْرُ مُسْتَقِيمَةِ الْوِزْنِ وَإِنَّا نَرَى الْعُبْرَةَ بِمَرَادِ مَعَانِيهَا وَوَعْظَهَا .

(٢) لَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ .

قَالَ تَعَالَى : - « وَوَرَثَ سَلِيمَانَ دَاؤِدَ » النَّعْلَمُ ١٦ ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ (نَحْنُ الْأَنْبِيَاءُ لَا نُورَثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدْقَةً) .

وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ) .

وَنَحْنُ لَا نَرَى أَيْ تَعَارُضَ بَيْنَ هَذِهِ النَّصِّ الْقَرآنِيِّ وَبَيْنَ الْأَحَادِيَّةِ أَوْ بَيْنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَإِنَّ الْمَقْصُودَ (مِيرَاثُ الْعِلْمِ) فَالْعُلَمَاءُ وَرَثُوا الْعِلْمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَوَرَثَ سَلِيمَانَ عِلْمَ دَاؤِدَ .

والقسم الثاني هم الذين استقاموا على أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدواها في أوقاتها .

والقسم الثالث هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم .

والقسم الرابع هم الذين وصلوا أرحامهم وطلبو بصلتها رضاء مولاهم *

روي عن النبي ﷺ أنه أوصى عند موته بصلة الرحم ، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلا جعله الله تعالى يوم القيمة على الصراط كالذى يمشي في رياض الجنة ، ولا يرى من أهوال الصراط شيئاً ، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم *

والقسم الخامس هم الذين غضوا أبصارهم عن محارم الله ، وصانوا فروجهم عن الفواحش ، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن ، وحجبوهن ولاطفوهن ورفقوها بهن كما قال ﷺ *

حديث في العناية بالنساء

« النساء ودائع الأحرار ، ولا يعزهن إلا عزيز ، ولا يذلهن إلا ذليل ، والدليل عند الله في النار »^(١) وكذلك المرأة إذا عزّت زوجها وأطاعتة فيما يرضي الله تعالى .

والقسم السادس هم الذين تجنبوا الربا والحرام ، وتجنبوا المخيانة في المكيال والميزان . وقد قال رسول الله ﷺ « كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار » *

أكل الربا

وقد ذكر أن آكل الربا يأتي الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم

(١) سمعت ذلك قيل غير رضي الله عنه (يزوج ابنته للرجل المؤمن ، إن أحبتها أكرمها فإن كرمها لا يغسلها) .

وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يداه من الربا ثعباناً من نار يخطفه من على الصراط ويهدى به في قعر جهنم مع اليهود ، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ما جنى .

والقسم السابع هم الذين بروا الوالدين وبروا الأزواج وبروا العجيران وبروا الإخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم في الله لومة لائم وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وأشدوا :

أطّمِعُ بِالنَّجَاةِ^(١) وَكَيْفَ تَنْجُو وَلَسْتُ عَلَى نِجَاتِكَ بِالْحَرِيصِ
وَلَوْ فِي نِيلِهَا أَعْمَلْتُ حَرَصًا لَنْلَتِ الْفُوزُ بِالشَّمْنِ الرَّحِيمِ
وَلَكُنِي أَرَاكَ تَرِيدُ عَزًا وَحَالُكَ حَالٌ مُمْتَهِنٌ نَفِيسٌ
وَلَيْسَ لِمَنْ تَعْرَضُ لِلْمَعَاصِي - هَدِيتُ - عَنِ الْضَّلَالِهِ مِنْ مَحِيصٍ

المتصدقين سراً وعلانية

يا أحبائي إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقاً كثيراً نساء ورجالاً قد سبقوهم إلى الجنة فيقولون من هؤلاء الذين سبقونا؟ فتقول لهم الملائكة : هؤلاء الرجال الذين تصدقوا في السر ابتغاء وجه الله ، وتصدقوا في العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله ، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين . وهؤلاء النساء^(٢) اللواتي أطعن أزواجاهم ، وحفظن فروجهن ، وحفظن استهانهن عن أذى الزوج وعن أذى العجiran ، وتصدقن في السر والإعلان ، تسبق هذه

(١) الصواب أن يقول (أطّمِعُ بِالنَّجَاةِ) لأن الباء لم تؤدِّ معنى (في) ولكن بعض النحاة يجوزون ذلك إذ أن حروف الجر عندهم تعلم عمل بعضها البعض ما لم يخلُّ المعنى ، ولما كان الشعر حريراً على دقة البناء اللغوي .

ورصانة التركيب فإنني أراها مستهجة .

(٢) وردت في الأصل : النساء الذين ترون لأزواجاهم وحفظ فروجهن ... الخ .

الزمرة^(١) جميع الناس إلى الصراط وجوازه بخمسمائة عام . ومن كان من إخوانهم من أهل الذنب جازوا في شفاعتهم ، فإذا جازت أول زمرة من الأولين السابقين ، وزمرة المتأخرین يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فترى فيبقى بالقدم الأخرى ، فيركب الصراط على بطنه والنار تصيبه على قدر

* ذنبه

آخر من يبقى على الصراط

فلا يزال يحبو ويتدرج ويكي ويضرع إلى الله تعالى حتى يجوز ، فإذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواه وأهواه أهل النار وعواه^(٢) أهل النار في النار فيقول : سبحان الذي خلصني منك ونجاني من أهواه النار . في بينما هو ينظر إلى الصراط ويقول هذا القول يبعث الله تعالى إليه بلطشه ملائكة من ملائكته فيأتيه فياخذ بيده ويقول له : قم يا عبد الله فينطلق إلى غدير^(٣) من ماء على باب الجنة فيقول له الملك اغتسل من هذه الماء واشرب منه ، فيغسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلة التمام ، وتعود رائحته كرائحة أهل الجنة ولو نه كألوان أهل الجنة ، ثم ينطلق به إلى قرب جهنم فيقول له قف هاهنا حتى يأتيك إذن من ربك ، فينظر إلى أهل النار ويسمع عواههم كعواء الكلب يستغيثون من شدة العذاب ، فإذا سمع العبد أهل النار وما هم فيه بكى وقال : يا رب أصرف وجهي عن أهل النار حتى لا أنظر إليهم ولا أسمع صوتهم ولا أسألك غير هذا ، فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار إلى أهل الجنة ، فينظر إلى ناحية أهل الجنة فيرى بينه وبين باب الجنة روضة خضراء ما رأى أحد قط مثلها ،

(١) الزمرة : الجماعة من الناس .

(٢) العواه : صباح الكلب والذئب ، قال الشاعر :
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

(٣) الغدير : قطعة من الماء يغادرها السيل .

ثم ينظر إلى باب الجنة وجماله وعرضه مسيرة أربعين يوماً للطير المسرع والله أعلم من أي الأعوام ، يقول يا رب قد أحسنت إلى الإحسان كله جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وأدنتني من باب الجنة هذه الروضة أسألك أن تبلغني إليها ولا أسائلك غير ذلك فبأيده ذلك الملك فيقول له يا ابن آدم ما أكذبك ألسنت قد عزمت أنك لا تسأل غير هذا المقام ؟ فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها^(١) .

باب الجنة

فينظر إلى باب الجنة وإلى بهجة تلك القصور وأطراها من الجندي^(٢) الأخضر ، وحصاؤها من الياقوت الأحمر فيستنشق نسيم طيب الكافور والمسك ويسمع حسن تغريد الأطيار وخرير تلك الأنهر وما لا تصفه السنة الواصفين ولا يخطر ببال المتفكرين ، فإذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرف فيقول : يا مولاي لقد أنعمت عليّ نعمًا أكمل النعم جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وصرفت وجهي عن أهل النار حتى لا أراهم ، ولكن أسائلك يا سيدى ومولاي أن تدخلني الجنة فاجعل هذا الباب بيني وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيسهم^(٣) ولا أرى عذابهم ؟ فبأيده ذلك الملك فيقول له ابن آدم ما أكذبك ألسنت قد زعمت أنك لا تسأل غير ما قد سألت ، فيقول وعزتك يا رب لا سألك غيره . فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه وعن شماله مسيرة سنة ، فلا يري إلا الشجر المثمر ما رأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمي ولا جنـي ، فينظر إلى أدنى شجرة فيرى عندها روضة فيها شجرة أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلو ما رأى قط آدمي ولا جنـي ولا خطر على قلب بشر ، وثمرها ألين من الزبد وأحلا من العسل ، فيقول

(١) قال تعالى : - « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » آل عمران ١٨٥ .

(٢) الجنـل : الحجارة الكـبرـاء ، والـحـصـاء : الحـصـى الصـغـير .

(٣) الحـيسـ : الصـوتـ الخـافتـ الخـفـيـ .

العبد يا رب لقد أنعمت على عبدك وفضلت نجيتني من النار وأدخلتني الجنة
وأعطيتني وأرضيتي ، وإنما يبني وبين هذه الروضة قليل فبلغني إليها فوعزتك
لا سألتك غيرها . فيأتيه ذلك الملك فيقول له : يا ابن آدم ما أكذبك ألسنت
قد زعمت أنك لا تسأل غير ما سألت ؟ يا ابن آدم أين ما أقسمت به أما
تستحي من الله ؟ *

منازل الجنة

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فإذا هو بقصر من لؤلؤة
بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر إليه ، فيقول يا رب أسألك هذا
المنزل ولا أسألك غيره . فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له يا ابن آدم
ما أكذبك ألسنت قد زعمت أنك لا تسأل غير ما أنت فيه ؟ فينظر بين يديه
إذا بمنزل كائناً المنزل الأول والثاني وجميع ما خلق^(١) ورآه حلماً فيسأله
فيعطي فلا يزال كذلك حتى يعطي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ، فلو نزل في أدنى قصر من قصور الجن والإنس لكان عنده
من الكراسي ما يجلسون ويكتئون عليها ، ولكان عنده من الموائد ما يفضل
عنه ، ولكان عندهم من الطعام والشراب ما يأكلون ، وإذا أكلوا وشربوا لم
ينقص من الطعام والشراب إلا بقدر ما أصاب رجل واحد ^{﴿وَمَا عندَ اللَّهِ خَيْرٌ}
وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ^{﴿هُمْ}

^(٢) وأشدوا :

مقام المتقين غداً جليلُ يطيب لهم مع الحور^(٣) المقيلُ
 وأنوارٌ عليهم مشرقاتٌ إذا ناداهم الملك الجليلُ

(١) كذا بالأصل ولعله وجمع ما خلفه بتشديد اللام أي ما الوي وجهه عنه وتركه وراء ظهره .

(٢) القصص : ٦٠ .

(٣) الحور : جمع حوراء وهي من اشتد بياض عينيها واشتد سوادها .

فائدة للمجواز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن العبد أو الأمة إذا ذكر الصراط وهو له وصعيته ورقته وطوله وبعد مسافته ، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، ويسلم عن كل ركعتين ، فإذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبي ﷺ وشرف وكرم مائة مرة ثم قال : سبحان الله من خلق ما شاء وقضى بما شاء والحمد لله على كل شيء ثلاث مرات ، ثم يقول : اللهم جوّزني الصراط ونجني من هوله الله لا إله إلا أنت لا شريك لك وصلّى الله على سيدنا محمد وآلـه . فمن صلى هذه الصلاة وقال هذا القول جوّزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله مع أول زمرة تمر إلى الجنة . فاغتنموا رحمة الله هذا الثواب ، وتحصنوا به من أليم العذاب ، يا أولي العقول والألباب^(١) لأن الصراط حاد رقيق ، وطريقه أبعد الطريق يا له من طريق ، ما يعين على جوازه أخ ولا صديق ، إلا عمل صالح ورب رفيق .

واعلموا وفقنا الله ولما يأكم أن العمر يذهب ، والدنيا تفنى وتخرب ، والنفس تموت والمرد إلى الحي الذي لا يموت . فاستعدوا بكثرة الأنوار ، وبالصلاوة وفعل الخير في الليل والنهار ، وبالطاعة للنبي السيد المختار ، وبالعمل بكتاب الملك الواحد القهار ، وأبكوا على هول الصراط المنصوب على متن النار ، يسرّه الله لنا وهو نهانه علينا آمين رب العالمين إنه قريب مجيب .

شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد إذا جاوز الصراط وخلص ذكر في ذلك الموقف أياه وأبتاعه وإنحولنه وجيرانه فعند ذلك يسأل الصديق في صديقه ، والوالد في

(١) الألباب : جمع لب وهو العقل .

ولده ، والجار في جاره ، والرجل في زوجته ، والمرأة في زوجها ، والإمام في جماعته التي كان يصلب بها ، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومتزنته عند ربِّه .

روى قتادة عن الحسن البصري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له بعض أهله يا رسول الله هل يفكر الرجل يوم القيمة في حميمه؟ فقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد أحداً ، عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف ، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا ، وعند الصحف حتى ينظر أبيميته يأخذ الصحيفة أم بشماليه » فهذه ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيبه ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ لِكُلِّ امْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ ﴾^(١) هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الأهوال^(٢) العظام أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته ، وبهونها علينا بمنه ولطفه . وأنشدوا :

بكثت على هول الصراط وذكره
وكيف يطيق الصبر من كان عاصياً
ولخالق كلخلق في السر والجهير
ومن يك ذا خوف شديد لهوله
فليس لمن يبكي لهول صراطه
فيما له من هولٍ فظيع يجوزه
عبد الله تفكروا في هول الصراط الرقيق البعيد ، وأشفقوا من الهول
العظيم الشديد ، وأطاعوا العجبار الولي الحميد *

٣٧ عبس (١)

(٢) ولذلك ورد قوله تعالى : - ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْأَلُونَ ﴾ الطور ٢٥ وذلك بعد النفحـة الأولى وهي نفحة الصبح والإفـاء ، ثم يقول الحق تبارك وتعالـى : - ﴿ فَلَا أَنْسَابٌ بَيْنِ يَوْمَنْدٍ وَلَا يَسْأَلُونَ ﴾ المؤمنون ١٠١ .

وهذه عند العرض على الله سبحانه وتعالى حيث تخشع الأصوات للرحمٰن فلا تسمع إلا حمساً

لا تقبل صلاة شراب الخمر

ذكر أن شراب الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية فتهوي بهم إلى عين الخبال ، وهي قبح أهل النار ، فيسوقون بكل كأس شربوا من الخمر في الدنيا شربة من الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لأحرقت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن . والأصل في شارب الخمر أنه يخطف من على الصراط لأنه ليس في وجهه نور لأن النور لا يكون إلا من العمل الصالح وشارب الخمر ليس له عمل صالح ، والأصل فيه أن الأعمال كلها لا تقبل إلا من صلٍ ، لأن الصلاة هي رأس الأعمال ، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة ما دام مصراً على شرب الخمر فإذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله ، فيأتي إلى الصراط ووجهه أسود ، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لا يتركوا أن يجوز إلا من له نور ومن ليس له نور أن يكبوه في النار إلا من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى .

التوبة من الخمر وثوابها

يا إخواني أعلموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيمة أفضل وأكثر نوراً على الصراط وأسرع جوازاً من لم يشربها^(١) فالله يا معاشر المؤذنين ، توبوا إلى مولاكم أسرع الحاسبين ، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين *

فضل المؤذنين

ذكر في بعض الأخبار أن المؤذنين إذا أتوا إلى الصراط يجدون نجائب من نور مسرجة بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط ،

(١) لأن المصيبة الكبرى في الخمر الإدمان عليها ، ومن العسير والمتعذر الإقلاع عنها لأن ذلك يحتاج مجاهدة طويلة للنفس ، فلو أفلحت المجاهدة في سبيل مرضاعة الله كان فوزاً عظيماً .

ويشفع كل واحد منهم عند جواز الصراط في أربعين ألفاً كلهم قد استوجبوا النار ، ويجوز في نور المؤذن ألف رجل وألف امرأة وفي حديث آخر : أن المؤذن إذا جاء إلى الصراط سبقه نور الآذان ونور لا إله إلا الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذي يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، فيجوز الصراط في نور المؤذن أربعون ألفاً من ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة في أرض قفراة^(١) أو موضع ليس فيه جماعة ، فقام فأذن ثم أقام فصلى إلا وأم من جنود الأرض ما لا يحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى ، ويكتب الله له بعدهم حسناً ، ويمحو بعدهم سيئات ، ويرفع له بعدهم في الجنة درجات ، لودخل في أدنى درجة من درجاته الجن والإنس لوسعتهم ، ولكان فيها من الفرش والأسرة والموائد والطعام والشراب والخدم ما يفضل عنهم وإن لم يؤذن واقتصر على الإقامة وحدها لم يصل خلفه إلا ملكاً للذان يكتبهن عمله » وفي حديث آخر « إذا أذن العبد المسلم في فلة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك وتعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين ، أحد طرفي الصف بالشرق والآخر بالمغرب ، فإذا فرغ من صلاته ودعا أمنوا على دعائه ويكتب الله تبارك وتعالى له بعدهم حسناً ، ويمحو عنه جل وعلا بعدهم سيئات ، ويرفع له تعالى بعدهم درجات ، كل درجة أعظم من الدنيا سبعون ألف مرة ، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فإذا جاء يوم القيمة إلى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صلوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدي أهله وبأيدي إخوانه الذين صحبوه وأحبوه في الله فيفرقون عليهم من تلك الأنوار ويجوزونهم الصراط في شفاعته

(١) قفراة : أي مقفرة ، صحراء .

ويمضون معه إلى الجنة ولا يرون من هول الصراط ولا من حره ولا صعوبته
شيئاً » *

فضل العلماء

ذكر في بعض الأخبار أن العلماء إذا أتوا إلى الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم ويد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضيء له مسيرة خمسةأئمة عام ، وتحت لواء العالم كل من اقتدى بعلمه وكل^(١) من أحبه في الله ومناد ينادي هؤلاء أحباء الله ، هؤلاء أولياء الله ، هؤلاء الذين خلقو الأنبياء ، هؤلاء الذين علموا عباد الله ، هؤلاء الذين دعوا إلى الله ، هؤلاء الذين حفظوا حدود الله ، هؤلاء مصابيح الدجى ، هؤلاء أئمة الهدى . فإذا دنوا من الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج في السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الأرض السابعة السفلی ، ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلقة بين السماء والأرض لغطى نورها نور الشمس ، ولمات الخلاائق كلهم عشقًا إلى رؤيتها ، ولملائك الأرض والبحار من رائحة المسك ، وينزل على رأس كل واحد منهم غمامه من نور تقيه من حرّ شرّ جهنم ومن حرّ الشمس . وأنشدوا :

عفو إله وعفو الله موجود
إن الصراط على النيران ممدود
وعفوه عند أهل الجهل مفقود
وأنت عند إله العرش محمود
وأنت بين عباد الله مسعود

يا طالب العلم ترجو أن تنال به
أطلب بعلمك وجه الله خالقنا
عفو إله لأهل العلم نائلهم
فأحرص هديت على التعليم مجتهدا
فاعمل بعلم رسول الله سيدنا

(١) ورد في الأصل (وكان) وهو تحريف .

وقد ورد في الحديث الشريف :- « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم إلى من يخالل » .

واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملاً بلا علم . قال الله تبارك وتعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(١) فالعلماء قد أثبت لهم الجبار الخشية والتقوى . قال الله تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين »^(٢) ومن لا يعلم لا يتقى ، وكيف يتقى من لا يدرى ما يتقى^(٣) . وقد قال رسول الله ﷺ : « تعلموا العلم فإن تعلمتم لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، به يعرف به الله ويعبد ، وبه يحمد الله ويُوحَّد » هو إمام العمل والعمل تابعه ، يرفع الله بالعلم أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدي بهم ويستهني إلى رأيهم . فقد بين رسول الله ﷺ أن العبادة لا تكون إلا بالعلم لقوله ﷺ « به يعرف الله ويعبد » ويستوفي ذكر فضل العلم في قول الله تبارك وتعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » والمقصود في هذا الموضوع ذكر الصراط والجواز عليه .

فضل حملة القرآن^(٤)

ذكر في بعض الأخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيمة على كثبان من مسك أسود وأنوار وجههم تغشى بالأبصار فإذا أتوا إلى الصراط تلقتهم الملائكة الذين وُكّلوا بحملة القرآن فتأخذن بأيديهم وتضع التيجان على رؤوسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيلاً من نور الجنة عليه سرج من المسك الأذفر والعنبر الأشهب أجمها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز في شفاعة كل واحد مائة ألف من قد استوجب النار ، ومناد ينادي : هؤلاء أحباب الله ، هؤلاء أولياء الله الذين قرءوا كتاب

(١) فاطر . ٢٨

(٢) المائدة . ٢٧

(٣) في الأصل (من لا يتقى) وهذا خطأ .

(٤) نوقشت رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين جامعة الأزهر للشيخ محمود النقراشي السيد علي وكانت في تحقيق كتاب (أخلاق حملة القرآن وأخلاق العلماء للأجرى) وهي ذات نفع عظيم ، وحصل بها الباحث على درجة العالمية (الدكتوراه) بمرتبة الشرف .

الله وعملوا به فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . وهم أهل الله وهم أحبّاب الله من أحبّهم في الدنيا أحبّه الله ، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولا هم ولا حزن ولا غم . وهذا إذا عملوا بالقرآن ، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وأمنوا بمحكمه ووقفوا عند متشابهه ، وسارعوا إليه ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾^(١) ﴿أولئك الذين هدى الله بهداهم اقتده﴾^(٢) أولئك أولياء الله الصالحون ، أولئك الذين رضي الله عنهم ووقفُهم وهداهم وآتاهم تقواهم .

من لم يعمل بالقرآن

وأما حامل القرآن إذا لم ي العمل به فإنه يأتي إلى الصراط فستقبله الزبانية بمقامع الحديد وأرذاب النار وتسود وجوههم على قدر ما ضيّعوا من العلم ، فمن تعلم علمًا للتجبر والتباهة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب عليه الرشا والبراطيل ، وكتمه ولم ينصح به عباد الله ، وطلب به الرياسة وصحبة الملوك ، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دوز الظلمة وأهل الجور وحكم به بغير العدل ألم بليام من نار جهنم وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط^(٣) . ثم يكون العلم للعامل نوراً وفرحة وسروراً وجنة وحبوراً ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألوبيتهم على روؤسهم منشورة ، وقلوبهم مما بشروا به من الفوز بالجنان مسروقة وأنوارهم تسعي بين أيديهم وبأيامهم ، والملائكة تنادي أدخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون ، وأنت في ظلمك حيران ، أيقنت بالحلول في سموات النيران ، إلا أن يتداركك بعفوه الملك الدينان . وقد أخذ الملك بيده وهو ينادي عليك ولجام النار في فمك لو كان

(١) المجادلة ٤٤ . (٢) الأنعام ٩٠ .

(٣) ورد عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجة أنه قال : (من تعلم العلم ليجادل به العلماء أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله جهنم) .

ذلك اللجام في الدنيا لأحرقها من مشرقها إلى مغاربها وينادي عليك هذا الذي
ضيق حدود الله ، هذا الذي خالف أوامر الله ، هذا الذي بدأ عهداً الله ،
وخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأثر حب الدنيا على ما عند هؤلاء .

يا مسكين أخذت على العلم أجرة وبطيلًا^(١) ، واشترىت به ثمناً
قليلًا ، ولم ترقي مونى كريماً جليلًا وتركت وراءك يوماً هائلاً ثقيلاً ،
وخسرت يا مغورو ملكاً كبيراً دائمًا جزيلاً .

فسبة حملة القرآن

ذكر في بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : « الزبانية أسرع إلى فسبة
حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان والنيران ، فيقولون ويبدأ بنا قبل عبدة
الأوثان والنيران ؟ فتقول لهم الملائكة ليس من يعلم كمن لا يعلم » وفي
حديث آخر « إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا إلى حملة
القرآن الفساق أخذوهم وزجوا في أقفائهم وألقواهم في جهنم أو يعذب الله
تعالى عنهم . اللهم أعف عنّا وعن جميع إخواننا المسلمين ، واجعل القرآن
حجّة لنا ولا تجعله حجّة علينا يا أرحم الراحمين . وأنشدوا :

عُظِّمَتْ مصيَّةُ حامِلِ القراءَنِ إِنْ كَانَ ملْجَاهُ إِلَى النَّيْرَانِ^(٢)
فَهُوَ الْجَزَاءُ لِمَنْ عَصَى رَبَّ الْعَالَمَاتِ دَارَ العَذَابَ وَمَوْقِفَ الْخَسْرَانِ
عُظِّمَتْ خسَارَتُهُ وَجَلَّ مصائبُهُ عَنْدَ الصَّرَاطِ بِظُلْمَةٍ وَهَوَانِ
يَا رَبُّ عَفْوًا عَنْ قَبِيحِ فَعَالِنَا أَنْتَ الدَّلِيلُ لِجَنَّةِ الرَّضْوَانِ

فاقتوا الله عشر أهل القرآن في كتابه ، وأشفقوا من أليم عذابه ،
واعملوا بالقرآن وارغبوا في جزيل ثوابه ، لأن القرآن هو لكم وهو عليكم إن
تعملوا به ويل وثبور ﴿فَلَا تَغُرُّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّنَّكُمْ بِالْغُرُورِ﴾^(٣) *

(١) وهو السحت الذي يترتب عليه ظلم وجور .

(٢) لأن القرآن حجّة عليه .

(٣) لقمان ٣٣ .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « عرضت عليَّ الذنوب كلها فلم أر فيها ذنبًا أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه ». ومعنى تاركه تارك العمل به ، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الأنبياء » وإذا غضب حامل القرآن يقول له القرآن أما تستحي أنا معك وأنت تغضب ، اقتد بي تنجو وأكرمني بالطاعة أنجيك من الأهوال وأجُوزك الصراط وأدخلك الجنة *

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآننبي ولا ملك ولا غيره » فإنما الله وإنما إليه راجعون على من لا يعمل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان ، وعصي مولاه وأطاع الشيطان ، لقد ضل ضلالاً بعيداً ، وتبعوا عذاباً شديداً . وبقي من الخير فريداً وحيداً . فيما لها من مصيبة ما أعظمها ، ومن حسرة ما أدوتها *

ما خلف الصراط

روى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خلف الصراط جسر عليه الأمانة ، وجسر عليه الرب جل جلاله ، وجسر عليه الرحمة » فيما أيها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والأثار المشكلات ، سُلِّمَ الأمور لباريها ، وأنترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها ، وعليك بخوبية نفسك ، واعمل ليوم رمسك^(١) وذلك الجسر عليه السؤال ، ذلك الوقت يقول الله جل جلاله وتقديست أسماؤه ، عبدي عملت كذا في يوم كذا ؟ فيقول العبد نعم يا رب فلا يزال الرب جل جلاله يعرف العبد والعبد يعترف ويقول نعم حتى يقول العبد : لإرسالك بي إلى النار أهون علي من هذا التوبيخ . فيقول له جل وتعالى يا عبدي يعني إذا كنت عملت ذلك وكنت عليك شهيداً وملائكتي

(١) الرمس : القبر .

وأرضي ، ولكن سترت عليك بحلمي وجودي ، يا عبدي أنا سرتها في الدنيا
عليك وأنا أغفرها اليوم لك . غفر الله لنا أجمعين ، وأمساكنا برحمته مسلمين
تائبين على السنة والجماعة على شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأن محمداً رسول الله ﷺ *

٤ - مجلس في قوله سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه ﴿وعلی الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾^(١)

هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله ﴿وعلی الأعراف رجال﴾ هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحيبوا على الأعراف ، والأعراف هي مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهي الجسور بعضها أصعب من بعض ، وبعضها أشد سوءاً من بعض ، وبعضها أكثر ارتفاعاً من بعض ، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التي افترضها الله عليه في الدنيا . فنسأل الله التوفيق في الدنيا والتسهيل في الآخرة في تلك المقامات .

سؤال العباد يوم القيمة

فأول ما يسأل عنه العبد الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الأمانة ، ثم بر الوالدين ، ثم حفظ اللسان ، ثم حفظ الجار ، ثم صلة الرحم ، وكذلك جميع ما أمر الله عز وجل به وجميع ما نهى عنه ، فكل من

(١) الأعراف : سور بين الجنة والنار وقد سمي بذلك لأن العباد عنده يعرفون بعضهم بعضًا وهم يعرفون من في الجنة ومن في النار ، والقرآن الكريم يقول ﴿وعلی الأعراف رجال﴾ وهم من إستوت وتعادلت سيئاتهم مع حسناتهم فلم يدخلوا الجنة ولم يدخلوا النار وهم يطمعون في دخول الجنة ولكن يقول بعض المفسرين إنهم ملائكة ، فكيف ذلك والقرآن يقول أنهم رجال؟؟؟

جاء إلى جسر من جسور الصراط سهل عن عبادته فإن أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الإيمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الإيمان لأن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله ، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط . فمن أراد مولاه أن يعذبه أتم له النور في بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه في بعضه^(١) والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم ، لو أن قطرة من ظلمة الصراط وضعت في الدنيا لا ظلم مشرق الدنيا ومغاربها ولمات الخلق من شدة الظلمة ، وإنما حبس الله تعالى هؤلاء القوم على أعراف الصراط ليُبيّن لأهل الجنة والملائكة والجن والإنس ولجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد ﷺ ، لو يظهر فخره وجاهه وقدره وحرمته عند ربنا جل جلاله وذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر العباد بمضون على الصراط منصوب على متن جهنم ، وتأتي الخلاق إلى الصراط المؤمنون والكافرون^(٢) ، فاما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبآيمانهم أي عن آيمانهم .

ظلمات الكفر والمعصية

واما الكافرون فإنهم يمضون في ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التي عملوا في حال الكفر في دار الدنيا فإذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهودون^(٣) في النار فتختطفهم الملائكة بالكلايلب فتلقيهم في قعر جهنم ، فإذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون في آثارهم يتبعونهم وينادونهم أنظرونا نقطس من نوركم فتشي في ضوثكم ، فيقال ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً . وهو قوله تعالى : « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم »^(٤) وذلك أنهم كانوا في الدنيا إذا لقوا الدين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا

(١). في بعضه : لم تأت بالأصل وزادها الأستاذ عثمان خليل في نسخه .

(٢) يهودون : من هو أي يسقطون .

(٣) النساء ١٤٢ .

لهم إيمان بالستهم واعتقدوا الكفر بقلوبهم ، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم ، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا في نورهم قالوا للمؤمنين أنظروا نفتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، فيظنون أن وراءهم نوراً يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم سردار^(١) فيظنون أن في السردار نوراً يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم ، فإذا رأى المؤمنون المنافقين قد تساقطوا وتهافتوا في النار فرعوا مما حل بالمنافقين ، فعند ذلك يقال لهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وهذا العذاب الذي فرعته منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالقوها كتابه ، فعند ذلك يضرب بينهم بسور له باب *

السور الحاجز بين الجنة والنار

والسور هو الحائط له باب إلى الجنة وهو حائط بين الجنة والنار ، باطن ذلك الحائط فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب - يعني جهنم - والباطن فيه الرحمة - يعني الجنة - فإذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجو^(٢) عليهم ولم يلتفتوا إليهم ، ورأوه في حال السلامة والفوز . فيقول لهم المنافقون ألم نكن معكم في الدنيا على التوحيد وكنا نصلی معكم ؟ فيقول لهم المؤمنون . بلی ولكنکم فتنتم أنفسکم - أي عذبتم - وأحرقتم أنفسکم بالنار بخلافکم لرسول الله ﷺ وقولکم بالستکم ما ليس في قلوبکم ، وتکذیبکم بقاء الله تبارک وتعالی ، وكذبتم بهذا اليوم وتریصتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين الدوائر ، وغرتکم الأماني حتى جاء أمر الله ، وغرکم بالله الغرور فيما فعلتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فالیوم لا يؤخذ منکم فدية ولا من الذين کفروا - يعني لا يؤخذ من کافر ولا منافق فداء *

(١) في الأصل : شراب وهو خطأ .

(٢) العروج : الإرتقاء ومنه المراج .

صفة المنافق

فالكافر هو الذي كفر في السر والإعلان ، والمنافق الذي كفر في السر وأمن في الإعلان وأمن بمسانده وكفر بقلبه ، قوله مأواكم النار ، أي مرجعكم إليها ومستقركم فيها ، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت وتم على النفاق ، فإذا رجعوا وراءهم ليتمسوا النور^(١) رأوا سردايا^(٢) فيدخلون ذلك السردايا ويظنون أن النور فيه فيهجم بهم على أبواب جهنم فتختطفهم الملائكة بالكلاليب فتقذفهم في جهنم حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم ، ثم يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزونه ، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهاوا إلى الدرك الأسفل من النار فيتهي بهم إلى جب^(٣) يقال له جب الحزن في ذلك الجب بئر يقال لها الهبوب فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار *

بئر الهبوب

على تلك البئر صخرة من كبريت في تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها ، فتأكل تلك النار التي تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين ، فيؤتي بالمنافقين فيلقون في تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبداً ، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوماً غيرها ، فلا يخرجون من تلك البئر أبداً ، فذلك قوله عز وجل : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً »^(٤) قوله « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم »^(٥) يعني بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً . وأما المؤمنون الذين

(١) في الأصل : النار وهو خطأ فتدبر .

(٢) في الأصل : سردايا وهو خطأ وصححه عثمان خليل (سردايا) وهذا صح .

(٣) الجب : البئر التي تبني بالحجارة .

(٤) النساء ١٤٥ .

(٥) النساء ١٤٢ .

استوت حسناهم وسيثاهم فإنهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط ، وهو أعلى الجسور من الصراط وهي الأعراف ، وهي المواقع المرتفعة وأحدها عرف ، وتسمى النشر من الأرض وهو الموضع المرتفع عرفاً ، ومنها عرف الديك *

أهل الأعراف

فإذا صار على تلك المواقع من الصراط نقص نورهم ويقروا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمة ، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم في الدنيا ، فمن الناس من يكون له من النور ما يضيء على الصراط مسيرة مائة عام ، ومنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة سنة ، وما يضيء مسيرة شهر ، ومسيرة جمعة ، ومسيرة يوم ، ومسيرة ساعة ، ومن الناس من يعطى من النور ما يضيء له موضع قدميه . على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم في الدنيا ، فيستبقون في الجواز على قدر أنوارهم التي معهم فمن كان له نور كثير جاز في السعة ، ومن كان له نور قليل جاز في الضيق ، على قدر ما أعطى الله لكل عبد ، فإذا ثبت أصحاب الأعراف على أنامل أرجلهم في ذلك ولا ينظرون إلى موضع أقدامهم من شدة الظلمة .، والظلمة هي شدة سواد جهنم أعادنا الله وإياكم منها وسهل لجميعنا شدائدها وظلمتها ، وثبت على الصراط أقدامنا بمنه وفضله . والصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة وأحر من الجمر ، عليه من الحسك^(١) والكلاليب أكثر من عدد الإنس والجن قد تعلق بكل كلوب من الزبانية عدد نجوم السماء إذا تكلم واحد منهم تناثر النار من فيه ، لو أن واحداً منهم بصر في البحر الراخرا لجفتها ، وإذا تكلم واحداً منهم فزع صاحبه منه ، ولو سمع أهل الدنيا صوت واحد يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجنتها وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فيها من براها وبحراها من

(١) الحسك : الشوك ، والحسك ما يعمل على مثاله من الحديد للحرب .

فطاعة كلامه ، ومن شدة صوته . وإذا صاح مالك^(١) خازن جهنم على خزنة جهنم يغشى عليهم من شدة صوته . والصراط مع دفته ورقته يضطرب كما تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفة ، فإذا ثبت القوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون في النار ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا صرَّفْتُ أَبْصَارَهُمْ تَلَقَّأَ أَصْحَابُ النَّارِ قَالُوا رَبُّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) وهم يستغيثون ويضرعون إلى مولاهم جل جلاله ويسألونه النجاة من النار ومن هول ما هم فيه من صعوبة الصراط ، فيمكثون كذلك ما شاء الله تبارك وتعالى مغمومين مكرهين محزونين لا يدرؤن أينجون أم يهلكون !! مع كل إنسان منهم حافظه اللذان كانوا يكتبهما عليه عمله في الدنيا ، بينما هم كذلك إذ يلقى الله تبارك وتعالى ذكرهم في قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم ، فيقول بعضهم البعض يا ليت شعرنا ما فعل إخواننا من أهل الأعراف ؟ فيقولون ما لنا علم بما صنعوا ولكننا نسأل الحفظة ومن معهم حتى يخبرونا ما فعلوا فينادون من قصورهم يا عشر الملائكة الذين مع أصحاب الأعراف ما فعل إخواننا من أصحاب الأعراف ؟ *

شفاعة أهل الجنة في أصحاب الأعراف

فيقول الملائكة : يا عشر أهل الجنة أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون بدخولها قد قل نورهم وطفئ سراجهم ويقووا على أطراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى : ﴿وَنَادَاهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٣) يعني نادت الملائكة أصحاب الجنة ﴿أَنْ سَلَامًا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾^(٤) .

(١) وهو الملك الموكيل بالنار .

(٢) الأعراف ٤٧ .

(٣) ، (٤) الأعراف ٤٦ .

حياة آدم

فبعد ذلك يلبس أهل الجنة الحل والحلل ويضعون التيجان على رؤوسهم ثم يمضون بأجمعهم حتى يأتوا آدم^(١) عليه الصلاة والسلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم يا أبانا أنت الذي خلقك الله بيده ونفع فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنته ، إن ناساً من ولدك محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فأشعف لهم عند ديان يوم الدين فيقول آدم عليه السلام : لست هنالك أنا الذي عصيت ربِّي وأكلت من الشجرة فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم يا بني بنوح الذي حمله الله في الفلك *

حياة نوح

فيأتون نوحاً عليه السلام فينادون بأجمعهم يا نوح فيشرف عليهم من قصره فينظر إلى جماعتهم فيقول لهم نوح : يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له يا نوح أنت الذي حملك الله في الفلك إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فأشعف لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم نوح لست هنالك أنا الذي خاطبتك ربِّي فيما ليس لي به علم فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً^(٢) ، ولكن عليكم بإبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً ، وجعل النار عليه برداً وسلاماً ، فيأتون إبراهيم عليه السلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم يا إبراهيم أنت الذي اتخاذك الله خليلاً إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فأشعف لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم لست هنالك ، أنا الذي

(١) للإستفهام به في هذا الموقف الرهيب .

(٢) لقوله تعالى لنوح : ﴿ لَا تَسْأَلِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ هود ٤٦ .

كذبت كذبتي - وقيل ثلاث - فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونجبه *

حياة موسى

فيأتون موسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له يا موسى أنت الذي كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقاً يسراً في الأرض وأراك العجائب من قدرته ، إن ناساً من إخواننا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم موسى : لست هنا لك أنا الذي وكرت الرجل فقتلته فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بعيسى بن مريم العذراء البتو(١) البكر .

حياة عيسى

فيأتون عيسى وهو عليه في قصره فينادونه بأجمعهم يا عيسى ، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم ، وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له يا عيسى أنت الذي خلقت الله من غير بشر وأنت الذي جعلك الله آية للناس ، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتو ، إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لست هنالك أنا الذي زعمت النصارى أني قلت لهم اتخاذوني وأمي إلهين من دون الله فأستحي منه أن أسأله شيئاً ولكن عليكم بالذي كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم ، عليكم به فهو إمام المتدين ، وسيد العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد عليه *

(١) البتو : العذراء المنقطعة عن الزواج للعبادة .

شفاعة محمد

فيأتون النبي ﷺ وهو في قصره خير قصور الجنة ، فيقفون^(١) حول القصر والقصر قد أشرف^(٢) نوره وبهجهة على جميع قصور أهل الجنة ، فينادون بأجمعهم يا محمد يا أبا القاسم يا أحمد يا سيد العالمين يا إمام المتقين يا خاتم النبيين ، فيشرف عليهم ﷺ من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلها ، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له أنت الذي جعلك الله خاتم النبيين وسيد العالمين وإمام المتقين ، إن ناساً من أمتك على الصراط محبوسون قل نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين *

دخوله جنة عدن

فيقول النبي ﷺ أنالها ، فيلبس صلوات الله وسلامه عليه الحلبي والحلل ويضع على رأسه (التاج)^(٣) صلوات الله وسلامه عليه ، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهي إلى باب جنة عدن فيستفتح فيقال من هذا ؟ قال ﷺ فأقول أنا أحمد فيفتح لي ، فإذا خلف السرداق^(٤) ملك يتسلأ نور فيهولني ما أرى منه فيؤنسني ويمسحني فيقول يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك ، ثم أمضي فأنتهى إلى سرداق ثان فاستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لي ، فإذا خلف سرداق ملك عظيم أعظم خلقاً وأشد نوراً من الذي رأيت فيهولني ما رأيت من عظمته ، فيؤنسني ويمسحني ويقول يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك فلا أزال أمشي في عظم الملائكة وبعضهم أشد نوراً من بعض حتى

(١) ورد في الأصل (فيقولون) وهو خطأ .

(٢) تصلح أشرف وأشرق .

(٣) (التاج) ساقطة من الأصل وأضافها عثمان خليل في نسخته .

(٤) السرداق : الخيم التي تضرب على البيوت في الحفلات والمأتم .

أنتهي إلى السرداق السابع فأستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول أنا أَحْمَدُ فيفتح لي فإذا خلف السرداق جبريل عليه الصلاة والسلام فيقول مرحباً بهذا الصوت لقد كنت إليه مشتاقاً فامضي حتى أنتهي إلى الحجب فترتفع الحجب فيتجلّى لي ربُ العالمين جل جلاله وعظمت قدرته فإذا نظرت إليه خررت له ساجداً فأحمده بتحميد ما حمده بمثله ملک من حملة العرش ولا من حملة الكرسي ولا نبي مرسلي حيثنى في ذلك المكان ، حتى يقول الكروبيون والروحانيون وأصحاب السرادقات ، إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع .

سجوده بين يدي الله تعالى

فيقول الجبار جل جلاله وعظمت قدرته يا أَحْمَدُ ارفع رأسك وسل تعط واسفع تشفع ، قال رسول الله ﷺ : فارفع رأسك من السجود فإذا نظرت إلى ربِي جل جلاله خررت ساجداً وأحمده وأثنى عليه بمثل ما حمدته به في المرة الأولى ، فأفعل ذلك ثلاث مرات وربِي جل جلاله يقول لي في كل مرة ارفع رأسك وسل تعط واسفع تشفع ، فأقول يا رب إن ناساً من أمتي محبوسون على الصراط قل نورهم وطفي سراجهم فأتهم لهم نورهم وأضي سراجهم وهم الذين يقولون عند ذلك ﴿رَبِّنَا أَتَمَّ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) حتى تمضي كما مضى إخواننا إلى الجنة ، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيتاؤن بالنور من جنة عدن ، ثم يغمّسون غمساً فيحيي الله نورهم ويضي سراجهم ، ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم فيقولون لهم ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُ لَا يَنْالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ادْخُلُوهُ الْجَنَّةَ لَا خُوفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٢) وذلك أن أهل جهنم لما نظروا إلى أصحاب الأعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض : والله ما حبسوا هؤلاء إلا ليدخلوا معنا في جهنم ، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة ﴿أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُ لَا يَنْالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ﴾ ثم تقبل الملائكة على أصحاب الأعراف .

(١) التحرير . ٨ .

(٢) للأعراف ٤٩ .

جاه المصطفى العظيم

فيقولون لهم ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾^(١) أي لا تحزنون ولا تموتون في الجنة أبداً ، فيمضون والنور الذي جاءتهم به الملائكة في جنة عدن يسمى بين أيديهم ورأيمازفهم حتى يجوزوا الصراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنازلهم وإخوانهم ونبيهم محمد ﷺ ، وإنما جسهم الجبار جل جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاه محمد ﷺ وفضله وحرمه ودرجته ومتزلجه ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة ﷺ صلاة تشرف بها عقباه ، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه أمين يا رب العالمين صلاة دائمة متلهي الآباد طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد ، صلاة تعجينا بها من حرّ جهنم ويس المصير ، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين أمين يا رب العالمين *

(١) الأعراف . ٤٩

٥ - مجلس في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَحْاجِدُ عَنْ نَفْسِهَا﴾

(وفي حساب الملائكة والرُّسل واللوح المحفوظ)

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « تقف للعرض الأكبر بين يدي رب العالمين فيغرقون^(١) على قدر أعمالهم » .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة يا بني آدم انصتوا فطالما نصت لكم وفي رواية أخرى فقد نصت لكم من يوم خلقتم إلى يوم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم ، فأنظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، احشروا على عبادي فوعزتي وجلاي لا يجوزني ظلم ظالم . فكيف بك يا مسكيين يا مغزور يا تارك الحق والصواب ، يا مخالف السنة والكتاب ، يا ظالماً لنفسه يا غافلاً عن الحساب يا من بذل نفسه لأليم العذاب ، يا من تمادى في معصية رب الأرباب ، ونسى الجنة وحسن المآب . وأنشدوا :

إلى كم لا تفيق من التصابي وهذا العمر يؤذن بالذهب

(١) يغرقون في العرق .

ويرضى بالقليل المرء حظاً
فَيَقْدِمُ أَغْرِيَ الدُّنْيَا أَنَاسًا
تَمْنَى هُمْ غَرَورًا بِاطِّلَاتٍ
كَأَنَّكَ لَا تَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ
خَلَقْتَ مِنَ التَّرَابِ وَعَنْ قَرِيبٍ
وَتَحِيَا بَعْدَ مَوْتِكَ كَيْ تَجَازِي
فَإِنَّكَ تَكَبُّرْ مَسِيءٌ بِقَبْعَهُ فَعَلَّ
وَإِنْ كُنْتَ الَّذِي قَدَّمْتَ خَيْرًا

ويزهد في الكثيرون من الشوائب
كما غر المحبين^(١) بالشراب
وتخدعهم بأمالٍ كاذبة
جنائز تستحدث إلى الخراب
ستلحق - غير شيك - بالتراب
بما قدّمت في يوم الحساب
فحسبك بالعقاب مع العذاب
جزيت به غالباً حُسْنَ المآب

تبكيت الله تعالى للجبابرة

ذكر في بعض الأخبار أن الجبار جل جلاله إذا اجتمع الأولون والآخرون في عرصة القيامة نادى سبحانه وتعالى ، أين الجبابرة وأبناء الجبابرة ؟ أين الملوك وأبناء الملوك قسمت^(٢) الجبابرة بسلطاني ، وأفنيت الملوك بعظمتي *

ذكر في الخبر أن الجبابرة يحشرون يوم القيمة على صور الذر أصغر الخلائق خلقةً لتجبرهم على العباد ، والجبابرة هم الذين تجبروا على الخلق وعن إتباع سنة رسول الله ﷺ . وقيل الجبابرة هم الذين جبروا المساكين والضعفاء على ما لم يطقو وهذا الإسم قد اشتراك فيه الخالق والمخلوق ، فالخالق جل جلاله هو جبار على الحقيقة *

تفسير الجبار

وتفسير الجبار في حق الله تعالى الذي جبر عباده على ما أراد ، وقيل

(١) كذا وردت بالأصل ولو أنه قال : - (كما غر الصوادي بالسراب) لكان أصح . والأبيات جيدة المعنى من بحر الوافر .

(٢) قسمت : من قسم أي كسر .

الذي يجبر عن ظلم العباد إن الله تعالى جل إسمه لا ينسب إليه الظلم لأن حد الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، لأن الدنيا والآخرة ملك الله تعالى ، والجبار من العباد هو الظالم الذي يضع الشيء في غير موضعه، يأخذ ما ليس له بحق ويرده إلى ما قد ملكه الله تبارك وتعالى ، وإذا قضى الله تعالى على عبده بقضاء فهو له خيراً . لقول رسول الله ﷺ : « لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذي قضاه الله عليه أوله خير له من الذي أراد لنفسه » وقال رسول الله ﷺ : « في قضاء الله تعالى خيراً إلا قضاء النار »^(١) وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه ، وهو يفعل ما يريد لا شريك له في ملكه . ثم ينادي الجليل جل جلاله ﷺ يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ^(٢) فإذا سمع الخلق هذا النداء رفعوا رؤوسهم وطمعوا كلهم في هذا النداء وقالوا كلهم نحن عباد الله ، ثم ينادي ثانية ﴿ الذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين ﴾^(٣) فعنده ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلماً ، فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون ، ثم ينادي ثالثة ﴿ الذين آمنوا و كانوا يتقوون ﴾^(٤) أي كانوا يتقوون الكبائر - فينكسر أهل الكبائر من أهل التوحيد رؤوسهم ويرفع رؤوسهم سائر أهل التوحيد الذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبية نصوحاً *

فكيف بك يا مغدور يا مسكون قد ارتكبت الكبائر والصغرى ، وعصيت مولاك في الخفيات والظواهر ، وأيقتنت أنك مسئول يوم تبلى السرائر ، ولاقي من العقوبة على ذلك الحظ الجزيل الوافر . وأنشدوا :

(١) ورؤيه الناس لإبتلاءاتهم في الدنيا على أنها شرٌ وبيّل هذه نظرة ضيقة للأمور وتقديرنا للأشياء غير تقدير الله سبحانه وتعالى ، فقد يكون الإبتلاء من الله جل شأنه زيادة لكرامة الإنسان عنده .

(٢) الزخرف ٦٨ .

(٣) للزخرف ٦٩ .

(٤) يورس ٦٣ .

عصيت الله ألوان المعاصي كأني لست أون بالقصاص
فمالـي لا أنوح على ذنبـي وأبكي يوم يؤخذ بالنواصـي

نصيحة

فانظر لنفسك يا مسكين يا ضعيف الإيمان واليقين قبل حلول الندم ،
وزوال النعم ، ونزول النقم ، حيث لا ينفع الدم . فاستعد للسؤال ، وتهياً
للجدال ، قال الله الكبير المتعال ﴿ يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها
وتُؤْتَى كل نفسٍ ما عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُون ﴾^(١) *

السائق والشهيد

فإذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل
الأديان ، نشرت الدواوين ووضعت الموازين ، وجيء بالنبيين ، ونصبت
المنابر بالأنبياء والرسل فيجلس كل نبي على منبره وأمهاته قد أحدق به ،
ونصبت الكراسي للصديقين والشهداء ﴿ وجاءت كل نفسٍ معها سائقٌ
وشهيد ﴾^(٢) سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، فالناس ينقسمون في السياقة
على قسمين ؛ قسم تسوقه الملائكة بير واكرام ، ورق^(٣) وإجلال ، وتومنهم
وتهدي روعاتهم كلما نظر العبد إلى من يُعذب أو ينكـل يقول له سائقه من
الملائكة : يا عبد الله ما أنت مثل هذا ، هذا عصى الله وأنت أطعـه . والقسم
الثاني يساقون بالإنتهاـر والسطوة والإـغلاـظ ، يسوقه سائقه وهو يروعه ويقول له
يا عدو الله هذا الحساب سوف تدرـي ، كلما نظر المـسـكـين إلى من يُعذـبـ أو
ينـكـل^(٤) قال له سائقـه : الساعة تكونـتـ مثلـهـ ،ـ هذاـ عـصـىـ اللهـ وأـنتـ

(١) التحلـ ١١١ .

(٢) ق ٢١ .

(٣) كذا بالأصل والصح ورقة .

(٤) ينكـلـ :ـ منـ النـكـالـ أيـ الشـهـيدـ والإـهـانـةـ .

عصيتك ، أما علمت يا عدو الله أن الحساب والحسن أمامك ؟ وأنشدوا :

كأني بفسي قد بلغت مدى عمري
وطلبني من لا أقوم بدفعه
وفاز بعمرائي أنا من فشنتوا
وأغفلني من كان يُبدي محبتى
فلم يسع لي منهم صديق بدعوة
وأصحي لبيتي ساكن مبهج به
فيما شقوتي إن لم يجذب نجاته
فقد اثقلت ظهي ذنب لوانها

وأنكرت ما قد كنت أعرف من دهري
وحوّلت من داري إلى ظلمة القبر
يأسادهم ما كنت أجمع من أمري
فأخليصه ودي ويغمّره برأي
إذا ما جرى يوماً بحضرته ذكري
وفي اللحد بيتي لا أقوم إلى الحشر
إلهي ولم يجر برحمته فكري
على ظهر طور^(١) أثقلته في الوزر^(٢)

فما أعظم مصيتك ، وما أطول حسرتك إن لم يعف عنكم مولاكم
وجعل النار مأواكم ، فاغتنموا التجارة في دار الفناء والذهب ، يجازيكم بها
مولاكم عند مناقشة الحساب ، فالحساب عظيم عسير ، والهول والله جليل
كبير ، والنقد مميز بصير ، واليوم عبوس قمطير *

اللوح المحفوظ

ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ونشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، وأحضرت الأنبياء بأسمائها ، وحضر الصديقيون والشهداء ، وحشر حوش الأرض ، وهوامها وطيورها وأنعامها ، وسكن جبالها وبحارها .

ينادي منادٍ من قبل العرش أين اللوح المحفوظ ؟^(٣) فيؤتي باللوح

(١) الطور : الجبل العظيم الأشم .

(٢) الوزر : والجمع الأوزار وهي الخطايا والأثام .

(٣) هذه من النبيات التي لا بد من الإيمان بها والا تتعجب العقل في تصور شكلياتها كما وضحت لك عزيزي القارئ آنفا ولكن المؤلف - رحمة الله - بخياله البديع يصور لنا ما يجول بخاطره من مشاهد وصور .

المحفوظ فيوقف بين يدي الجبار جل جلاله خاصعاً ذليلاً ، فيقول له تبارك وتعالى ما صنعت بالوحي الذي أنزلت فيك ؟ واللوح من درة بيضاء ، صفحاته من ياقوته حمراء ، عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تبارك وتعالى فيه في كل يوم ثلاثة وستين نظرة ، فيخلق في كل نظرة ، ويحيي ويميت ويعزُّ ويذل ، ويرفع أقواماً ويفعل بهم الخير ويسوفهم بفضله ، ويختفي أقواماً ويصدهم عن منهاج الهدى بعلمه ، لا يسأل عمما يفعل فهم يسألون يوم القيمة لأنهم ما قدروا الله حقَّ قدره ولا عبدوه حقَّ عبادته ، لأنَّه جل جلاله أجل وأعظم من أن يُؤْفَى في العبادة والطاعة والمعرفة حقَّه ، ما قدر على هذا نبِيٌّ مرسلاً ولا ملك مقربٌ ، فسبحان من لا سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . قال فيقف اللوح بين يدي الجبار جل جلاله وعظمة قدرته فيقول له أيها اللوح المحفوظ ما صنعت بالذي أنزلته فيك ؟ فيقول اللوح المحفوظ سيدِي ومولاي بلغته عبْدك ميكائيل *

رسالة ميكائيل

ينادي أين ميكائيل فيؤتي به بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وهو ملك عظيم له ستة عشر ألف جناح لو نشر منها جناحاً واحداً في الدنيا لما وسعته ، فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى خاصعاً ذليلاً قد بلغت نفسه إلى حجرته فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الجبار جل جلاله ، فيقول الله له ما صنعت بالوحي الذي بلغ إليك اللوح المحفوظ ، وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق في علمي أنني أسألك اليوم عبادي وجميع خلقي وأستشهد بعضهم على بعض ، فيقول ميكائيل : يا رب بلغني اللوح المحفوظ وبلغته عبْدك إسرافيل وأنت أعلم *

رسالة إسرافيل

فيراً اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له ، ثم ينادي أين إسرافيل ؟ فيؤتي به بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وهو ملك عظيم له جناح بالشرق وجناح بالغرب ورجلاه تحت

تخوم الأرض السابعة السفلی والعرش على رأسه فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاصعاً ذليلاً قد ذهلت نفسه وتغير لونه ، وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطككت ركبته ، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الله تبارك وتعالى . فيقول له الجبار جل جلاله : ما صنعت بالوحي الذي بلغك ميكائيل ، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا علامُ الغيوب . فيقول إسرافيل عليه السلام نعم يا سيدى ومولاي قد بلغني وأنت أعلم وقد بلغته عبدي جبريل (عليه السلام) ، فييرا ميكائيل بشهادة إسرافيل عليهما السلام *

رسالة جبريل

ثم ينادي أين جبريل ؟ فيؤتي بجبريل ﷺ وقد تغير لونه وتبليّل ثيَّبه وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطككت ركبته ، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هي تدخل ولا هي تخرج جزاً وخوفاً من الجبار جل جلاله^(١) ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا جبريل ما صنعت بالوحي الذي بلغك عبدي إسرافيل وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول جبريل عليه السلام نعم يا سيدى ومولاي بلغني وبلغته نبيك نوح عليه السلام وأنت أعلم . فييرا إسرافيل بشهادة جبريل *

شهادة نوح

فيؤتي بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدي الجبار جل جلاله وقد ذهبت نفسه وتغيّر لونه وقد مات فرعاً وخوفاً من الجبار جل جلاله ، فيقول الجبار جل جلاله : يا نوح ما صنعت بالوحي الذي بلغك عبدي جبريل (عليه

(١) هذا رعب وفزع الملائكة من رب العزة جل شأنه فما بالك عزيزى القارئ من أحوالنا نحن البشر الضعفاء العصاة الغافلين ، نسأل الله أن يغسل عثراتنا وأن يهدينا سواء السبيل .

السلام) وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام نعم يا سيدى ومولاي قد بلغنى عبادك جبريل (عليه السلام) وقد بلغته قومي وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك . فيقول الله تبارك وتعالى : صدقت أنا أعلم من جميع خلقي ولكن قد سبق في علمي أن أسأل جميع خلقي وأستشهاد بعضهم على بعض وأنا الحاكم العجبار الذى لا أجور في حكمي . ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم ما صنعتم بالوحي الذى بلغكم نوح (عليه السلام) وهل بلغكم وهل تشهدون له بالتبليغ ؟ فيقول قوم نوح : ربنا ما جاءنا من نذير ولا رأيناه يوماً قط ولا سمعنا به ولا بلغ إلينا رسالة ، فإذا سمع نوح عليه السلام كلام قومه ذهبت نفسه وود لو ابتلعته الأرض ، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحده قومه حياة من الله تبارك وتعالى ، فيقول الله تبارك وتعالى : « يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك قد بلغت قومك الرسالة ؟ فينظر نوح عليه السلام في الموقف يميناً وشمالاً ومشرياً ومغارياً يتضح ويتبصر من بين سائر الأنبياء والمرسلين ، وبين كراسى الشهداء والصديقين ، فلا يرى في المنابر أعلى ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى ، من من

* * *

جاء الرسول الأعظم

ولا يرى في الأنبياء أحسن وجهًا من وجه محمد ﷺ ، ولا يرى نوح في الكراسي أنور ولا أحسن من كراسى أمة محمد ﷺ ، ولا يرى أبيه ولا أنور ولا أحسن من كرسي أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولا يرى في الوجوه أحسن وجهًا من وجوه أمة محمد ﷺ ، ولا يرى في الصديقين والشهداء أحسن ولا أبيه ولا أنور من وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه *

فضل أبي بكر الصديق

فيفقول له نوح : قد أصبت من يشهد لي يا مولاي وسيدي ، فيقول الله تبارك وتعالى : وهو أعلم - من يشهد لك يا نوح ؟ فيقول نوح عليه السلام :

يشهد لي محمد ﷺ وأمته بأنني قد بلغت قومي الرسالة ، فينادي منادٍ أين النبي الأمي العربي التهامي ؟ أين أحمد أين سيد العالمين ، أين خاتم النبّيين والمرسلين ، أين إمام المتقين ؟ فعند ذلك يقوم محمد ﷺ ، وعند ذلك يرفع أهل الجمع رؤوسهم إذا رأوا رسول الله ﷺ فيمضي صلوات الله عليه حتى ينتهي إلى ربه عز وجل ، فيقول له ربه يا أَحْمَدَ - ونوح قائم ينظر - ما تقول^(۱) هل بلغ نوح الرسالة إلى قومه ؟ فيقوم محمد ﷺ : نعم يا سيدي ومولاي قد بلغ وأقام يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عاماً . فيقول الجبار جل جلاله : صدقت يا أَحْمَدَ . فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه : ثم يقول الله تعالى : يا محمد هلم أمتاك إلى الحساب والشهادة ، في بينما الخلاق في الموقف إذ يموج بعضهم في بعض ويفزعون فزععة عظيمة ، فتجمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد ﷺ يميناً وشمالاً فلا يرون النبي محمد ﷺ ، والأمم قد أحذقت بأنبيائها وينظر الأنبياء والأمم إلى منبر رسول الله ﷺ حالياً *

منبر الرسول والمحشر

فيقول بعضهم لبعض : لمن هذا المنبر الذي لا يرى في الموقف مثله لحسنه وجماله ، ولا يرى أنور منه ولا أعلى ولا أبهى منه ، ونراه حالياً ولا نرى له صاحباً ؟ في بينما هم ينظرون إلى منبر النبي ﷺ إذ ينادي المنادي ، إلا أن هذا المنبر منبر محمد ﷺ ، وأن محمداً ﷺ ينادي ربه في المذنبين من أمته يشع لهم إلى الله تعالى . في بينما هذه الأمة وقوف مغمومون محزونون بما يأتني النبي ﷺ من عند ربه عز وجل ، إذ يخرج إليهم صلوات الله وسلامه عليه من عند ربه جل جلاله حتى ينتهي إليهم فيقوم بينهم فيرتفعون رؤوسهم وينظرون إليه ، فإذا رأهم صلوات الله وسلامه عليه أرسل عينيه بالبكاء ، فإذا نظروا (تجد كلّ نفسٍ ما عَمِلَتْ من خَيْرٍ مُّحَضِّراً) الآية . ذلك يوم مهول عبوس

(۱) في الأصل : ما يقول محمد ﷺ ، وقد ورد كثيراً عند الكلام المسند إلى الله تعالى ، جبريل =

يُوْمٌ تُشَبِّهُ فِيهِ الرُّؤُوسُ ، وَتَذَهَّلُ فِيهِ النُّفُوسُ ، وَتَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ،
وَتَقْدِمُ كُلُّ أُمَّةٍ عَلَى مَا قَدَّمَتْ ، وَتَذَهَّلُ كُلُّ مَرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ يَجِدُ وَاللَّهُ كُلُّ
عَبْدٍ وَأُمَّةً مَا عَمِلَ وَقَدَمَ مِنْ خَيْرٍ ثَوَابًا وَنَعِيْمًا ، وَسَرُورًا مَقِيمًا ، وَرَبًا كَرِيمًا ،
رَؤُوفًا بِعِبَادِهِ رَحِيمًا . وَيَجِدُ كُلُّ عَبْدٍ وَأُمَّةً مَا عَمِلَ مِنْ شَرٍّ خَزِيًّا جَسِيمًا ، وَنَارًا
وَجَحِيمًا ، وَعَذَابًا مَقِيمًا ، وَنَكَالًا أَلِيمًا ، وَرَبًا غَضِيبًا عَظِيمًا ﴿يُوْمٌ تَجِدُ كُلُّ
نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾^(١) .

الثواب والعقاب

يَجِدُ الطَّائِعُ الثَّوَابَ ، وَيَجِدُ الْفَاسِقُ الْعَذَابَ ، يَجِدُ الْمُؤْمِنُ لِذَهَبِ
الْوَصَالِ ، بِالنَّظَرِ إِلَى الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ، فِي دَارِ الْخَلْدِ^(٢) وَالْجَلَالِ ، وَيَجِدُ
الْكَافِرُ الْعَذَابَ وَالنَّكَالَ ، وَالسَّلاسِلَ وَالْأَغْلَالَ ، وَالْجَحِيمَ وَالْخَيَالَ ، وَفَطَاعَةَ
الْأَهْوَالِ ، يُوْمٌ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ، يَجِدُ الْمُؤْمِنُ النَّعِيمَ وَالْكَرَامَةَ ،
وَالْأَمْنَ فِي الْقِيَامَةِ ، وَالْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ ، وَالْحَلُولَ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ ، وَيَجِدُ
الْكَافِرُ الْخَزِيَّ وَالنَّدَاءَ ، وَالْعَذَابَ وَالْمَلَامَةَ ﴿يُوْمٌ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾
يَجِدُ الْمُؤْمِنُ الدَّرَجَاتِ ، وَيَجِدُ الْكَافِرُ الْعَقُوبَاتِ ، يَجِدُ الْمُؤْمِنُ السَّرُورَ ،
وَيَجِدُ الْفَاجِرُ الشَّبُورَ ، يَجِدُ الْمُؤْمِنُ النَّعِيمَ وَالْخَلُودَ ، وَيَجِدُ الْفَاجِرُ عَذَابًا غَيْرَ
مَرْدُودٍ ، وَيَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَا قَدَمَ مِنِ الْإِحْسَانِ ، فِي درَجَاتِ الْجَنَانِ فِي جَوَارِ
الرَّحْمَنِ ، مَعَ الْخَيْرَاتِ الْحَسَانِ ، وَيَجِدُ الْفَاجِرُ مَا عَمِلَ مِنِ الْعَصَيَانِ فِي
سَمُومِ النَّيْرانِ ، فِي جَوَارِ الشَّيْطَانِ ، مَعَ الذُّلِّ وَالْهُوَانِ . يُوْمٌ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا
عَمِلَتْ ، فِي يَوْمٍ هَائلٍ عَظِيمٍ ، يُوْمٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْغَمْوُمَ وَتَعْظُمُ فِيهِ الْهَمْوُمُ ، وَيَفْصِلُ
الرَّبُّ بَيْنَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَيُ الْقَيْسُونَ ﴿يُوْمٌ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ يُوْمٌ تَسْدِمُ عَلَى
الْقَبَائِحِ ، وَتَتَأْسِفُ عَنْدِ مَعَايِنَةِ الْفَضَائِحِ ، وَتَوْجِدُ الْأَعْمَالَ فِي الصَّحَافَاتِ

= عليه السلام ، ميكائيل عليه السلام محمد عليه السلام ، وذلك في الغالب زيادات من النسخ على الأصل كما جرت العادة ، عند ذكر هذه الأسماء . راجع شرح عثمان خليل .

(١) آل عمران ٣٠ .

(٢) دار الخلد : الجنة ، ومن أسماء الجنة أيضًا ، دار السلام ، دار المقام .

الصحائح . يوم تجد كُلُّ نفس يوم يندم الظالم ويُخسر الأثم ، ويكون الجبار جل جلاله في ذلك اليوم العدل الحاكم ، ذلك يوم الندامة والحسرة ، والأهوال والعبرة . وأنشدوا :

يا واحداً صمدأً بغير قرين
ارحم ضراعة عبدك المسكين
واعطف على إذا وقفت مُرُوعاً
حيران بين يديك يوم الدين^(١)
يا حسرتي بين العباد إذا هُمو
خافوا الحساب فخف عنهم دوني
ما حيلتي في يوم ^(٢) نشر صحيفتي
إذ قيل لي خُذها بغير يمين
ما حيلتي عند الحساب وهوله
إذ قصرت بي قُوتني ويفني
لا حيلة عندي ولا ^(لي) موئل^(٣)
إن خانني طبعي وحسن ظنوني
يا رب لا ترك عبدك هالكا
وارحم بفضلك عبرني وشونني^(٤)

﴿ يوم تجد كُلُّ نفس ما عملت من خيرٍ محضراً ﴾ أي تجده حاضراً
عثيداً وتسأل عن أعمالك سؤالاً شديداً ﴿ وما عملت من سوء تود لو أن يبنيها
وبينه أمداً بعيداً ﴾ .

قيل الأمد^(٥) البعيد الذي يود من عمل سوءاً وعصي مولاه أن يكون بينه
 وبين عمله السوء كما بين المشرق والمغرب *

وقيل الأمد البعيد الغاية في البعد الذي يتمنى أنه تاب في الدنيا وتبدل
الشر بالخير حتى يتمحي عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه
إذا رأى التائبين غفر لهم بالتوبة ، ويدلت سيرتهم بالحسنات والأوبيه ، كما

(١) يوم الدين : يوم القيمة .

(٢) لفظ يوم لم ترد بالأصل زادها عثمان خليل للوزن .

(٣) لفظة (لي) لم ترد بالأصل زادها عثمان خليل أيضاً للوزن فاستقام . والقصيدة من بحر الكامل .

(٤) الشتون : الدموع .

(٥) الأمد : الغاية .

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٌ أَخْرَىٰ وَلَا يَقْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزِنُونَ﴾^(١) الآية *

فائدة التوبة

وقال رسول الله ﷺ « كل بني آدم خطأة وخير الخطأة التوابون » فإذا رأى المسكين الذي عملسوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهموم والخطوب ، وأسود وجهه من ظلمات الذنوب ، وقد غضب عليه علام الغيوب ، ورأى الذين تابوا من إخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير ، والحساب اليسير ، ولباس السندرس والحرير ، والنظر إلى وجه السميع البصير^(٢) ورأى نفسه قد خسر و خاب ، وحرّم الثواب ، ونوهش الحساب ، وحجب عن رب الأرباب ، وصار إلى أليم العذاب . يود لو كان تائباً ، ولم يكن من الرحمة خائباً ، يود لو كانسوء عنه بعيداً ، ولم يكن حاضراً عتيداً ، ولم يكن العذاب عليه شديداً . يود لو كان من التائبين ، ولم يكن من المحروميين ، يود لو كان من الأمينين ، ولم يكن من المخالفين ، يود لو كان من الطائعين ، ولم يكن من العاصمين ، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين ، يود لو كان من أهل الجنان ، ولم يكن من أهل النيران ، يود لو كان من أهل الثواب ولم يكن من أهل العقاب ، يود لو كان من أهل النعيم ، ولم يكن من أهل الجحيم ، يود لو كان من الأولياء ، ولم يكن من الأشقياء . يود لو كان من أهل الوفاق ، ولم يكن من أهل النفاق . يود لو كان من أهل الفوز بالجنة ، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة . يود لو كان سعيداً رشيداً ، ولم يكن عن الله بعيداً . لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته ، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته *

(١) الفرقان ٦٨ .

(٢) ورد في قوله تعالى : - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقالوا الزيادة هي رؤية الله سبحانه وتعالى والنظر إلى وجهه الكريم في الجنة .

عمل العبد يلزمه

ذكر في بعض الأخبار أن العبد إذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيراً كان أو شرّاً فإذا صلّى عليه ومضى إلى قبره وانصرف الناسُ عنه بقي عمله معه في قبره ولا يزال معه في قبره إلى يوم يخرج من قبره فإذا خرج خرج معه ، فإذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه ، يجد الكل مجموعاً لم ينس منه شيءٌ من الكبائر ولا من الصغائر ، ولا من الظواهر ولا من السرائر *

الحضر على التوبة

فأللله الله عشر المذنبين مثلـي أبعدوا عن عمل السوء بالتوبـة إلى الرحمن ، ولا تغرنـكم الحياة الدنيا فإنـها غرور الشـيطـان ، وأعلـمـوا أنـ الله تبارـكـ وتعـالـى يمحـو عنـكم سـيـئـاتـكم بـتركـ الذـنـوبـ والـعـزـمـ عـلـىـ التـوـبـةـ ، وـيرـحـمـكمـ يـوـمـ الحـسـابـ بـحـسـنـ الأـوـيـةـ⁽¹⁾ . يا أخـيـ يا أخـيـ يا عـسـيـ أنـ أقولـ لـكـ مـنـ كـرـمـ مـوـلـاـكـ الجـلـيلـ جـلـ جـلـالـهـ لـوـ أـنـ الذـنـوبـ التـيـ عـمـلـتـ فـيـ أـيـامـ طـغـيـانـكـ وـعـصـيـانـكـ كـانـتـ مـثـلـ جـبـالـ الدـنـيـاـ بـرـمـالـهـ وـبـحـارـهـ وـأـنـهـارـهـ ، وـتـبـتـ تـوـبـةـ وـاحـدـةـ بـصـلـقـ وـحـرـقـةـ وـنـدـامـةـ ، ليـغـفـرـهـ لـكـ مـوـلـاـكـ الـكـرـيمـ بـكـرـمـهـ وـفـضـلـهـ ، وـلـاـ تـسـأـلـ عـنـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ وـأـنـشـدـواـ :

نـهـاـكـ الطـبـيـبـ مـحـيـلاـ عـلـىـ مـطـاعـمـ لـوـ نـلـتـهـ لـمـ تـمـتـ
وـخـاطـبـكـ اللهـ جـلـ اـسـمـهـ بـتـرـكـ الذـنـوبـ التـيـ حـرـمـتـ
فـأـعـرـضـتـ عـنـ أـمـرـهـ لـاهـيـاـ وـأـمـنـتـ نـفـسـكـ ماـ خـوـفـتـ
فـأـطـمـعـتـهـ أـنـ تـنـالـ الرـضـاـ بـجـهـلـكـ فـيـ فـضـلـ مـنـ قـدـ عـصـتـ
فـمـاـذـاـ تـقـولـ إـذـاـ أـزـعـجـتـ لـتـخـرـجـ بـالـكـرـهـ فـاستـسـلـمـتـ
فـلـاـ نـدـمـ حـطـ أـوـزـارـهـ وـلـاـ تـوـبـةـ غـسـلـتـ ماـ جـنـتـ
وـأـفـرـدـ وـحـدـكـ فـيـ مـلـحـدـ بـكـتـ فـيـ نـفـسـكـ ماـ أـسـلـفـتـ

(1) الأوية : الإياب والإثابة أي الرجوع بالتوبـةـ .

ما تحويه الآية

يا أهل الذنب تدبروا هذه الآية فإن فيها بлагةً لمن تذكر ، وزجرًا لمن اعتبر ؛ وتخويفًا لمن تدبر ، ونهيًّا لمن تفكَر . فال فكرة عبادة ، وخيرٌ وزيادة . لأن مولاكِمُ الْكَرِيم قد خوفكم وهدكم وزجركم بها زجراً شديداً فقال ﴿ يَوْمَ تَجِد كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مَحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْدُ لَوْ أَنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأْ بَعِيدًا ﴾^(١) ثم قال ﴿ وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ ﴾ أي يحذركم عقابه وعذابه إذا عصيتموه ، ويجزل لكم ثوابه إذا أطعتموه ، فلا يحرقن أحدكم من الذنب شيئاً وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب ، ولا يحرقن أحدكم حسنة يعملها وإن قلت فربما كان فيه الرضا من الملك الوهاب . وأعلموا أن الذنب الذي يحرقه صاحبه يكون يوم القيمة في ميزان فاعله أثقل من جبال الأرض ، فازجر نفسك عن غيها وقدم في حياتك . ليوم فدرك . والأصل في الذنب الصغير أن يكون سبباً للدخول صاحبه في النار . إن العبد المغدور يعمل الذنب ويحرقه ولا يفكر في من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله ، فعند ذلك يغضب عليه مولاه ويقول له : عبدي حقر ذنبه واستخف بحقني ، وعزتي وجلاي لأعذبه عليه بالنار ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتنوية *

وقد قال رسول الله ﷺ « إِيَاكُمْ وَمَنْ حَرَقَتِ النَّفْسُ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا »
قال الله سبحانه ﴿ يَوْمَ تَجِد كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ﴾^(٢) الآية . وأنشدوا :

قد ذهب الحي إلى عرسه وعذب العيت في رمسيه
مرتهن النفس بأعمالها لا يأمن الإطلاق من حبيبه
لنفسه صالح أعمالها وما سوى هذا على نفسه

(١) آل عمران . ٣٠ .

(٢) آل عمران . ٣٠ .

حكاية عن أحد الصالحين

حكي أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : يا منصور مسألة ؟ وقد أمهلتك سنة كاملة ، من أعقل الناس ، ومن أجهل الناس ؟ قال فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فإذا الجواب قد حضره ، فرجع إلى عبد الملك ، فقال له عبد الملك يا منصور ما الذي رأيتك إلينا ؟ قال : يا أمير المؤمنين أعقل الناس محسن خائف وأجهل الناس مسء آمن . فبكى أمير المؤمنين حتى بلَّ ثيابه بدموعه ثم قال أحسنت والله يا منصور ثم قال له إقرأ عليًّا شيئاً من كتاب الله فهو الشفاء لما في الصدور ، وهو الدواء والنور . فقرأ أعود بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾^(١) الآية . فقال عبد الملك : قتلتني يا منصور ثم غشي عليه ، فلما أفاق قال له يا منصور ما معنى ﴿ ويحدركم الله نفسه ﴾ قال منصور عقوبته يا أمير المؤمنين . فبكى عبد الملك ثم أفاق بكى مرة أخرى ثم قال يا منصور وما معنى ﴿ رُؤوف بالعباد ﴾ قال رحيم غفار لمن تاب وأناب قال وما معنى ﴿ ما عملت من خير محضرا ﴾^(٢) قال كل صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيمة ، لم يغفر الله منها شيئاً . فبكى عبد الملك حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال :

رقه عبد الملك بن مروان

إن والله من فکر في هذه الآية وعصي مولاه بعد ذلك لقد ضلل ضلالاً بعيداً . وأنشدوا :

بكى على عظم الذنب وغزره^(٣) وما قل من يبكي لعظم سؤاله
تفكر في عظم السؤال وهو له وتندب دهراً زاد قبح فعالة

(١) (٢) آل عمران ٣٠ .

(٣) كذا بالأصل ، واضطر المؤلف للوزن إلى استعمال هذه اللفظة (غزره) .

لعلَّ إِلَهُ الْعَرْشِ يَرْحُمُ عَبْدَهُ وَيَنْحِهِ فِي الْحَسْرِ طَوْلَ وَصَالَةٍ
وَيَغْفِرُ مَا قَدْ كَانَ فِي طَوْلِ جَهَلِهِ وَيُسْكِنَهُ بِالْعَفْوِ دَارَ جَلَالَةٍ
وَإِنْ نَظَرَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ جَلَالَهُ فَذَاكَ جَسِيمٌ مِّنْ جَزِيلِ نَوَالَةٍ

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا أَعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مَّحْضَرًا﴾^(١) تَجِدُ وَاللهُ كُلُّ
نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ فِي الْأَيَّامِ ، مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْإِجْرَامِ . ذَلِكَ يَوْمُ الْمَصَابِ ،
وَيَوْمُ التَّوَابِ ، وَيَوْمُ الْعَجَابِ . يَوْمُ هَتْكِ الْأَسْتَارِ ، يَوْمُ تَسْعُرُ فِيَ النَّارِ ، يَوْمُ
يَفْوزُ فِيَ الْأَبْرَارِ ، وَيَنْدَمُ فِيَ الْفَجَارِ ، وَتَعْرُضُ الْعِبَادُ عَلَىَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .
فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ قَطْعِ عُمْرِهِ فِيَ الْأَغْفَالِ ، وَضَيْعَ أَيَّامِهِ فِيَ الْمَحَالِ ،
وَأَفْنَى شَبَابَهُ فِيَ الْضَّلَالِ ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِي كِتَابِ ذِي الْمَجْدِ وَالْجَلَالِ ، قَالَ
اللهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا أَعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مَّحْضَرًا﴾^(٢) يَقُولُ
اللهُ تَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ تَطْلُبُ مَوْعِظَةً سَاعَةً وَتَقِيمُ عَلَىَ الذَّنْبِ سَنَةً ! وَأَنْشَدُوا :

ما بَالْ قَلْبِكَ بِاللَّذَّاتِ قَدْ شَغَفَاهُ وَعَنْ فَوَاتِ صَوَابِ الْفَعْلِ مَا أَسْفَا
وَقَدْ تَرْوَعَدَهُ الْجَهَارُ خَالِقُنَا وَبِالذُّنُوبِ وَبِالْعَصَيَانِ قَدْ كَلِفَاهُ^(٣)

تَوْبِيعُ اللهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ

ذُكْرُ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي بَعْضِ كِتَبِهِ الْمُنْزَلَةِ
عَلَىَ أَنْبِيَاهِ : يَا عَبْدِي مَا الَّذِي زَهَدْتَ فِي وَرَغَبْتَ فِي غَيْرِي ؟ عَبْدِي أَنَا
أَتَقْرَبُ إِلَيْكَ وَتَهَبُّ عَنِي وَأَطْلَبُكَ وَتَفْرِمُنِي ! عَبْدِي بَسْطَتَ لَكَ غَرُورَ الدُّنْيَا
فَاشْتَغَلَتْ بِهَا عَنِي ، وَأَثْرَتْهَا عَلَيَّ وَزَهَدْتَ فِي سَعَةِ رَحْمَتِي ! أَهَكُذَا يَفْعَلُ
الْمُطْبِعُونَ بِأَرْبَابِهِمُ الْمُحْسِنِينَ إِلَيْهِمْ ؟ عَبْدِي مِنَ الَّذِي سُتُّرَ وَكَلَّا عَكَ وَحَفَظَكَ
وَوَقَاكَ ؟ هَلْ كَانَتْ لَكَ شَرْكَةٌ فِي نَفْسِكَ مَعِي ، أَمْ هَلْ كَانَتْ لَكَ قُوَّةٌ بِنَفْسِكَ
عَلَيَّ ؟ عَبْدِي مَا الَّذِي قَصَرْتُ عَنِ عِبَادَتِي ؟ مَا الَّذِي زَهَدْتَ فِي طَاعَتِي ؟ أَيْنَ

(١) آل عمران ٣٠ .

(٢) آل عمران ٣٠ .

(٣) كَلْفُ الْمُعَاصِي : أَدْمَنَ عَلَيْهَا وَتَعْلَقَ بِهَا .

أنت من هادم اللذات ، أين أنت من نواح^(١) الآباء والأمهات ، أين أنت من المُفرق بين البنين والبنات ، أين أنت من لا يستأند على أصحاب القصور ، ولا يستأنر أرباب الدور ، أين أنت من قاصم الجبارين الموكل بأرواح المخلوقين ؟ عبدي أليس قد اضمحلت آثار الماضين ، ودرست^(٢) معالم السالفين ، واتبع آثارهم الباقيون . ومن ذا الذي يقوم بخلود الدهر غيري ، ومن ذا الذي ينفع دوام الأبد غيري ، عجزت عن الخلود الجبال الرأسيات والأطواط^(٣) العاليات ، والبحار الطاميات . أنا الذي تفردت بالبقاء ، وحكمت على عبادي بالفناء ، أنا الله لا إله إلا أنا لا شريك معي في ملكي ، ولا نظير لي في حكمي ولا ضدّ لي في سلطاني . وأنشدوا :

أما والذي لا خلد إلا لوجهه ومن ليس في العز المنيع له كفر لئن كان هذا العيش مرأً مذaqueٌ لقد يجتنى من غثه الشمر الحلو

السؤال لا يدع ذرة

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة ، والخفية والسريرة ، وعن كل ما قلّ ، وما دقّ وما جلّ ، لا يغفل عن شيء ، يجد العبد ما عمل حاضراً ، ويجزي به وافراً ويسأل عمّا عمل سراً وظاهراً « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضاً »^(٤) تجد والله القليل والكثير ؛ والتغیر والذرة والقطمير . وأنشدوا :

والله لو بكتنا طول الأيام بدمع هامل سجام
وفررتنا من الأهل والأوطان إلى الجبال والأكام^(٥)

(١) في الأصل واج الأمهات ولعلها تحريف من النسخ فأصلحها عثمان خليل كما وردت هنا .

(٢) درست : من الدارس البالي ، الذي ناله العفان والغناء .

(٣) الأطواط : الجبال .

. ٣٠

(٤) آل عمران .

(٥) الأكام : جمع أكمة وهي التل المرتفع من الحصى والحجارة .

خوفاً من ذلك المقام ، لكن ذلك لنا قليلاً خوفاً من سؤال الملك العلام . فكيف ونحن لا نفيق من الغفلات ، ولا نتبه من السكرات ، ولا نخاف يوماً نجد فيه الحسنات والسيئات ، ونسائل عن المظالم والتعذيب ؛ كما قال الذي فطر الأرض والسموات « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً »^(١) .

سؤال الله تعالى للعباد

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى يخلو بعده يوم القيمة ليس بيته وبينه حجاب ويقول له : عبدي عملت كذا وكذا في يوم كذا ، أما علمت أنني مطلع عليك يا عبدي أفععلتي أهون الناظرين إليك ؟ أما استحييت مني ، أما استحييت من ملائكتي ، أما خفت من عقابي ، عبدي أرويتك من الماء البارد^(٢) وقويت جسمك ووسعتك عليك من سعة رفدي فعصيتك ! حتى أن العبد ليذوب حياة من الله ويغمره العرق حتى يكاد يموت من الفزع ، ثم يقول العبد يا رب النار أهون على من حيائي منك ومن العباد . فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيمضي العبد وهو يرد رأسه ويقول : يا رب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافاً بحقك ، وما ظنت بك إلا أن تغفر لي كما سترت علي في الدنيا ، وقد أيمنت أن عصياني ذلك لا يضرك ، وأن رحمتك لي لا تنقصك . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدي صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتي . فوعزتي وجلالي لأغفر لك اليوم ، يا ملائكتي مروا بعدي إلى الجنة . ومن العباد من يقول : يا رب العذاب على أهون من توبيخك لي ، أرسل بي إلى النار كما يفعل بالعبد الآبق^(٣) عن

(١) آل عمران ٣٠.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم : « من توقيش في الحساب عذب » وفي رواية « من توقيش الحساب هلك » . فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها ، إناك يا رسول الله دائمًا تقول : اللهم حاسبي حساباً يسيراً ، قال : إنما ذلك العرض ، فما من أحد يناقشه ربه يومئذ إلا هلك » .

(٣) الآبق : من أبقى للعبد إذا هرب .

مولاه . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدي ما وبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك
بعيني إذ عصيتني بها ، وجعلت توبيخني لك كفارة لذنوبك وقد غفرتها لك
وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين . مروا بعدي إلى الجنة . جعلنا الله وإياكم
من أهل الجنة أجمعين ، وتوفانا برحمته مسلمين ، وختم لنا عند فراق الدنيا
بحسن الخاتمة وكلمة التقوى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله
وشرف وكرم ، وحشرنا معه في المقام الأعظم ، مع أصحابه وأزواجه الكرام
أمهات المؤمنين أمين يا رب العالمين *

٦ - مجلس ثانٍ في قوله سبحانه وتعالى

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخْضِرًا﴾^(١)

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخْضِرًا﴾^(١) يجد المؤمن الحسنات في قرار الجنات ، والقصور العاليات ، والحرور والدرجات ، والنظر إلى رب الأرضين والسموات ، يجد الطائع البشري ، ويجد الفاجر النار الكبيرة ، يجد المؤمن الأمان ، مع السرور والرضوان ، ويجد الفاجر الهوان ، مع الذلة والخسران ، يجد المؤمن من الملك الجليل ، مع الثواب والتفضيل ، وأنهار السلسيل ، والنظر إلى وجه الملك الجليل ، ويجد الفاجر النوح والعويل ، والحزن الدائم الطويل ، والعذاب الشديد الثقيل ، يجد المؤمن الخلاص ، والتبجيل والإختصاص ، ويجد الفاجر العذاب وشدة القصاص . المؤمن يوم القيمة مرحوم ، والفاجر باللعنة مرجوم ، المؤمن عند الحساب مستور ، والفاجر عند السؤال مشهور . المؤمن عند الحساب يلطف ، والفاجر عند السؤال يكشف . المؤمن حسابه عتاب ، والفاجر سؤاله عذاب . المؤمن يجد من مولاه الرحمة ، والفاجر يجد من الله النعمة . المؤمن حسابه يسير ، والفاجر حسابه عسير . المؤمن يجد لباسه حرير الجنان ، والفاجر لباسه سرابيل القطران . المؤمن يجد عمله سروراً ، والفاجر يجد عمله ويلأ وثبوراً . المؤمن يجد الإتصال ،

(١) آل عمران . ٣٠

والفاجر يجد الإنفصال . المؤمن يجد الخلاص والفكاك ، والفاجر يجد الهران والهلاك . المؤمن مع محمد النبي ، والفاجر مع الشيطان الغوي . المؤمن في وجهه نصرة النعيم ، والفاجر في وجهه ظلمة الجحيم ، المؤمن في الحساب ريان ، والفاجر في الموقف عطشان . وأشدوا :

أنت المخاطب أيها الإنسان فاصنخ^(١) إلى يلح لك البرهان
أودعت ما لو قلته لك قلت لي هذا لعمرك كله هذين
فانتظر لعقلك من بيانك واعتبر إتقان صنعيه فتم الشأن^(٢)
وجزا محسنان فعلهم في حشرهم عند الإله وعنه الرضوان
هذا لعمري ظاهر لا يختفي نطق الرسول وبين الفرقان^(٣)

حكم قدسية

ذكر في بعض الحكم التي أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ عجباً لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم ، وعجبًا لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب ، وعجبًا لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان ؟ كأنك يا أخي قد قربت من العرض والحساب ، ووقفت بين يدي الملك الوهاب ، فيأمر بك إلى الجنة وحسن المآب ، أو إلى النار وأليم العذاب تفكّر في هذا كله يا مغور لعل القسوة تنجلி من قلبك ، والوقر أن يزول عن سمعك ، والغطاء أن يرتفع عن بصر قلبك ، فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . فانتظر يا أخي بنور فكرتك ، وأطلّن

(١) أصلح له: يستمع إليه.

(٢) إن الدلالة اليقينية على قدرة الله جل شأنه

(٣) الفرقان: هو القرآن الكريم، لأنه يفرق الحق من الباطل.

الموعظة على بحر عبرتك ، فلعل العين أن تدمع ، ولعل القلب أن يرق ويخشع ، فإذا جرت الدموع وخشت القلوب مُجيت الذنوب ، وبلغت المني والمرغوب ، ويسّر حسابك علام الغيوب . وأنشدوا :

تذكري المكث في التراب حتى أنادي إلى الحساب
هون كل البلاء عندي وهكذا فقد للشباب^(١)
فليت شعري وكم مقامي تحت الثرى أو متى إياي
لو كان لي عقل ما هناني نومي ولا ساع^(٢) لي شرائي
ولا ضحكت ولست أدرى مالي لدى الله من حساب

النداء بأسماء الخلائق

ذكر في بعض الأخبار أن الخلائق إذا وقفوا في أرض القيمة فيقف كل عبد وأمة إذ تادى المنادي يا مغورو على رؤوس الأولين والآخرين أين فلان بن فلان ، أو أين فلانة بنت فلان ، هلم إلى الحساب بين يدي رب العالمين ، فاستقر في سمعك يا مسكيين إنك أنت المنادي من جميع الخلق ، فقمت على قدميك قد تغير من الفزع لونك ، وانخلع من الجزء قلبك ، واضطربت من الهمم مفاصلك ، وقد سمع من كان حولك حسيس قلبك بالخفقان ، وأوصالك قد اشتدت في الطيران ، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن ، فإذا نظر الملك الموكّل بسوقك وقد تغير لونك وتحير لبك ، علم أنك أنت المنادي يا اسمه فإذا كنت من أهل النفاق ، والعصيان للملك الخلاق ، نظر على وجهك ظلمة الذنوب ، فعلم أنك عدو لعلام الغيوب ، فجمع بين ناصيتك وقدميك ، غضباً لغضب الله عليك *

(١) وقد قيل قديماً: (روائع الجنة في الشباب).

(٢) ساع: طاب ولد وسهل في الحق مجرى.

أهل الرشاد والتوفيق

قال الله تبارك وتعالى **﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَالْأَقْدَام﴾**^(١) وإن كنت من أهل الرشاد ، والتوفيق والسداد ، الذين وفوا الله
بالميعاد ، وخافوا مولاهم رب العباد ؛ أخذ بيده الملك وقادك ، يجوز بك
بالرفق ورفع الخلاق أبصارهم إليك ، وتمنا مثل ما من الله عليك ، وأنت
سائر إلى ربك ليجازيك بسعيك ، ويعدل عليك بكسبك . فلما انتهى بك
الملك إلى سلطان العظمة ، فإن كنت من أهل السير الصالح في الدنيا ستترك
جل جلاله بالنور ، وأبدى لك البشرى والسرور ، وقربك وأدناك ، وفضلك
وحبابك ، فلم يطلع على حسابك ملك ولا نبىٰ ولا رسول ، إلا الملك العجائب
الذى لا يحول ولا يزول ، فيقول لك عبدي أنت الذي كنت تسهر والعباد
نائمون ، وتصوم والعباد يشعرون ، وتبكي والعباد يضحكون ، وتحزن والعباد
يفرحون ، وتخافنى والعباد آمنون ، أنت الذي كنت تجتهد في عبادتى والعباد
بطالون ، وتتصدق والعباد يدخلون ، وتبذل المعروف بين عبادى والناس
يمعنون ..

يقول المولى جل جلاله : فوعزتى وجلاى وملکي ومجدى وكبرياتى
وعظيم سلطانى وقدرتى على جميع العباد لأؤمن روعك ، ولأبيحنك جنتى ،
ولأوسعتك مفترقى ورحمتى ، ولأعطيتك من جزيل ثوابي وحسن مآبى ما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولأبيحنك النظر إلى
وجهي ^(٢) ، ولأرفعن قدرك وجاهك ، ولأشفعنك في إخوانك وأهلك وأحبائك
وجيرانك من أهل الذنب والخطايا .

. (١) الرحمن ٤١.

(٢) إن أعظم نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها على أهل الجنة، هي النظر إلى وجهه الكريم، اللهم لا تحرمنا لله النظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم.

شفاعة العبد المؤمن

يقول المولى جل جلاله يا عبدي أخرج إلى موقف الحشر فانظر إلى من
لقيني من أهل الذنب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به إلى
الجنة بلا خوف ولا حزن ، والله تعالى أعلم . وأنشدوا :

عني إليك^(١) فما اللذات من شغلي ولا سبيل الصبا واللهو من سبلي
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه فلست منه على زيف ولا زلل^(٢)
في الحشر لي شغل عن كل مشتغل بلذة وعن الألحاظ والمقليل
هذا إطار الكرى عن مقلتي وزوى^(٣) عنى المنى وطوى المبسوط من أملي
كم ليلة بت فيها ساهرا أرقا أخشي العقاب وأخشى سرعة الأجل

قال الله تعالى « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما
عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويدركم الله نفسه والله رؤوف
بالعباد »^(٤) رؤوف والله بالمؤمنين ، ذو نعمة على الظالمين ، رؤوف بأهل
الإحسان ، ذو انتقام من أهل العصيان ، رؤوف بأهل السداد ، ذو انتقام
من أهل العناد ، يا مغرور تفك في هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية ،
ومن الزجر والتقرير نهاية ، فازجر نفسك عن هواها ، عساك تبلغها يوم
العرض منها .

حكاية عن ذي النون المصري

حكي عن ذي النون المصري بن إبراهيم الأخميمي^(٥) رحمة الله تعالى
عليه أنه قال : خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام ؛

(١) الصحيح (إليك عني) وهي إسم فعل بمعنى ابتعد عني .

(٢) زيف : الانحراف عن جادة الاستقامة والزلل : الأخطاء .

(٣) زوى : جمع وقبض .

(٤) آل عمران ٣٠ .

(٥) من قرية من قرى صعيد مصر لا تزال موجودة حتى الآن .

فلما علوت الوادي فإذا أنا بسوان قد أقبل وهو يقول ﴿وَيَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ
 يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(١) فلما قرب مني السوان إذا هو شخص ، فتأملته فإذا هو
 امرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف ، وبيدها ركرة^(٢) وبيدها الأخرى
 عكاز ، فقالت لي غير فازعة مني : من أنت ؟ فقلت لها رجل غريب ، فقالت
 يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء ، ومعين الضعفاء ، فاجعله
 أنيسك إذا استوحشت ، وهاديك إذا ضللت ، وصاحبك إذا احتجت . قال ذو
 النون : فبكين من كلامها فقالت مم بكاؤك ؟ قلت لها وقع دواوتك على دائني
 وأنا أرجو أن يكون سبباً لشفائي ، قالت فإن كنت صادقاً في مقالتك فلم
 بكين ؟ قلت لها رحمك الله والصادق لا يبكي !! قالت لا ، قلت لها لم لا
 يبكي الصادق ؟ قالت لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه ، وما كتم
 القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه . قال ذو النون :
 فبقيت والله متعجبًا من قولها فقالت لي مالك ؟ قلت أنا والله متعجب من
 قولك ، قالت وهل نسيت القرحة التي ذكرتها ؟ قال قلت لها رحمك الله إن
 رأيت أن تمني علي بالزيادة . فقالت وما أفادك الحكيم في مقامك بين يديه
 من الفوائد ما يستغني به عن طلب الزوائد ! قال قلت لها رحمك الله ما أنا
 بمستغن عن طلب الزوائد ، قالت صدقت يا مسكين حب مولاك واشتق إليه
 فإن له يوماً يذيق فيه أولياءه كأساً لا يظمئون بعده أبداً . ثم علا شهيق ثم
 قالت : يا حبيب قلبي إلى كم تخلفني في دار لا أجده فيها صادقاً بريئاً من
 الدعاوى الكاذبة يسعدني البكاء على أيام حياتي . ثم تركتني وانحدرت في
 الوادي وهي تقول : اللهم إليك لا إلى النار ، حتى غاب شخصها عن
 بصرى ، وانقطع صوتها عن سمعي . قال ذو النون : فوالله ما ذكرت كلامها
 قط إلا كدر على أحشائي وعيشي . قال ذو النون : فلقد أدبتني واستقام حالي
 مذ رأيتها . وأنشدوا :

(١) الزمر ٤٧..

(٢) الركرة : وعاء للماء من الخشب .

أريد وأنت تعلم ما مُرادي وتعلم ما تلجلج في فؤادي^(١)
ـ نهـبـ لـيـ ذـلـتـيـ وـاغـفـرـ ذـنـوبـيـ وـسـانـحـنـيـ بـهـاـ يـوـمـ التـنـادـيـ^(٢)

رجـعـ إـلـىـ الـمـوعـظـةـ

يا أخـيـ ؛ مـالـكـ لـاـ تـفـكـرـ فـيـ قـوـلـ مـوـلاـكـ الـذـيـ لـمـ يـزـلـ عـلـيـكـ شـهـيدـاـ ،
وـهـوـ يـسـمـعـكـ وـيـرـاكـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ ﴿ يـوـمـ تـجـدـ كـلـ نـفـسـ مـاـ عـمـلـتـ مـنـ خـيـرـ مـحـضـرـاـ
وـمـاـ عـمـلـتـ مـنـ سـوـءـ تـوـدـ لـوـ أـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ أـمـدـأـ بـعـيـداـ ﴾^(٣) الـآـيـةـ . أـقـرـعـ يـاـ
مـسـكـيـنـ بـهـذـاـ الـكـلـامـ بـابـ قـلـبـكـ فـعـسـاـكـ تـزـيلـ عـنـ الـأـقـفالـ ، وـتـرـدـ عـنـ الـغـيـ
وـالـمـحـالـ ، وـتـوـقـظـهـ عـنـ السـهـوـ الإـغـفـالـ ، قـالـ اللـهـ الـكـبـيرـ الـمـتـعـالـ ﴿ أـفـلـاـ يـتـدـبـرـونـ
الـقـرـآنـ أـمـ عـلـىـ قـلـوبـ أـقـفـالـهـ ﴾^(٤) ﴿ يـوـمـ تـجـدـ كـلـ نـفـسـ مـاـ عـمـلـتـ مـنـ خـيـرـ
مـحـضـرـاـ ﴾^(٥) يـوـمـ يـظـهـرـ الـخـفـيـ مـنـ أـعـمـالـكـ ، يـوـمـ تـبـكـيـ عـلـىـ قـبـحـ أـفـعـالـكـ ،
يـوـمـ يـحـزـنـ الـمـسـيـءـ مـنـ أـقـوالـكـ ، يـوـمـ تـنـوحـ عـلـىـ خـطـيـاـكـ وـضـلـالـكـ *

جـهـنـ وـشـدـتـهاـ

ذـكـرـ أـنـ الـخـلـقـ إـذـ اـجـتـمـعـواـ فـيـ الـمـوقـفـ وـضـاقـ الـمـتـسـعـ ، وـعـظـمـ الـفـزعـ ،
وـاشـتـدـ الـجـزـعـ ، وـاـخـتـلـفـ الـأـقـدـامـ ، وـكـثـرـ الـإـزـدـاحـ ، وـجـاءـتـ جـهـنـ بـالـهـوـلـ
الـأـعـظـمـ ، وـالـعـذـابـ الـمـقـيمـ الـأـلـزـمـ^(٦) وـوـقـفتـ بـيـنـ يـدـيـ الـجـبـارـ خـاصـسـةـ لـلـمـلـكـ
الـقـهـارـ ، أـمـرـ الـجـبـارـ جـلـ جـلـالـهـ أـنـ تـفـتـحـ أـبـوـابـهـ ، وـتـرـفـعـ كـلـ جـلـالـ^(٧) عـلـيـهـاـ ،

(١) تـلـجـلـجـ فـيـ فـؤـادـيـ : جـالـ فـيـ صـدـريـ .

(٢) يـوـمـ التـنـادـ : يـوـمـ الـقـيـامـةـ .

(٣) آلـ عـمـرـانـ ٣٠ .

(٤) محمدـ ٢٤

(٥) آلـ عـمـرـانـ ٣٠ .

(٦) هـكـذـاـ وـرـدـتـ فـيـ نـسـخـةـ عـثـمـانـ خـلـيـلـ وـلـمـ أـفـهـمـ لـهـ مـعـنـيـ ، وـرـبـماـ يـكـونـ الـمـقصـودـ بـهـاـ وـالـمـرـادـ
مـنـهـاـ الـعـذـابـ الـأـشـدـ مـلـازـمـةـ لـلـمـرـءـ فـهـوـ لـاـ يـفـارـقـهـ أـبـداـ ، وـلـكـنـ هـذـاـ الـاستـعمالـ غـرـيبـ .

(٧) الـجـلـالـ : الـسـتـارـ .

وهي سبعة أبواب على كل باب سبعمائة ألف جلال وهي الحجب ، ولو لا تلك الإجلال لاحتقت السموات ومن فيها والأرضون ومن عليها ، غلظ كل جلال خمسمائة عام ، فإذا فتح منها الأبواب رفعت تلك الحجب من عليها ورميـتـ النـفـطـ والـقـطـرـانـ وـحـجـارـةـ الـكـبـرـيـتـ (١) ويخرج منها عنـقـ منـ نـارـ أـسـودـ فـيـلـنـقـطـ مـنـ المـوـقـفـ كـلـ ذـهـبـ وـفـضـةـ وـيـاقـوتـةـ وـزـيـرـجـدـةـ (٢) ولـؤـلـئـةـ اـسـتـعـدـتـ زـيـنـةـ

* الدنيا

زينة الدنيا الزائلة

فيأخذ الكل ويجتمعه والجبار جل جلاله يقول لها : أتركي ما لم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار ، ومناد ينادي أصحابها هذه زيتكم التي استغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وأثترتموها (٣) على ما عند الله ولم تتبعوا سنن النبيين ، ولا سير الصالحين . ثم ينادي المنادي أتبعوا زيتكم ، فتخرج عنـقـ منـ النـارـ مـرـةـ أخـرىـ فـتـلـقـطـ أـصـحـابـهاـ إـلـاـ منـ رـحـمـ اللهـ .

صاعقة جهنم

فـعـنـدـ ذـلـكـ يـقـولـ كـلـ عـبـدـ وـأـمـةـ يـاـ لـيـتـ هـذـاـ كـلـهـ جـعـلـتـهـ فـيـ جـنـبـ اللهـ ،ـ يـاـ لـيـتـهـ لـمـ يـكـنـ مـعـيـ ،ـ يـاـ لـيـتـهـ بـعـدـ عـنـيـ ،ـ ثـمـ يـأـمـرـ اللهـ تـعـالـىـ أـنـ تـرـتـفـعـ صـاعـقـةـ مـنـ جـهـنـمـ سـوـدـاءـ فـتـسـوـدـ وـجـوـهـ أـقـوـامـ مـنـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ ،ـ وـتـعـمـيـ أـبـصـارـ قـوـمـ مـنـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ ،ـ وـتـخـتـمـ عـلـىـ أـفـوـاهـ قـوـمـ مـنـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ ،ـ فـذـلـكـ قـوـلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ «ـ يـوـمـ تـبـيـضـ وـجـوـهـ وـتـسـوـدـ وـجـوـهـ »ـ (٤)ـ يـاـ أـخـيـ يـاـ مـسـكـينـ يـاـ ضـعـيفـ

(١) ومعظم النار من مستصغر الشر.

(٢) الزيبرجة : جوهرة ثمينة.

(٣) من الإيثار : التفضيل.

(٤) آل عمران ١٠٦.

اليقين مثلي أتراك من أي الفريقين تكون؟! من الذين ابىضت وجوههم ففي رحمة الملك الرحيم ، أو من الذي اسودت وجوههم في العذاب الأليم ؟ أهل تكون من الذين ابىضت وجوههم بالرحمة ، أم من الذين اسودت وجوههم بالنقطة ؟ فكل من أسود وجهه قد أيقن بالنار ، وكل من ابىض وجهه قد أيقن أنه من أهل دار القرار ، فيا لها من فرحة ما أعظمها . ويا لها من مصيبة ما أدومها ، فإذا نزل السواد في وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجاباً بينه وبين النظر إلى وجه مولاه ، وإذا نزل البياض في وجه من أراد الله تبارك وتعالى ابىض وجهه رفع ذلك النور حجاب الذنوب الذي يحجب العبد عن النظر إلى وجه علام الغيوب .

من ابىض وجهه

وذلك أن البياض نور المغفرة ، وهو نور الرحمة ، وهو نور القرب ، وهو نور الوصال والسواد أيضاً هو سواد البعد ؛ وهو سواد الانفصال ؛ وهو سواد النكال ؛ وهو سواد النقطة ، وهو سواد الحجة قال الله تعالى ﴿ كُلُّ إِنْهَمٍ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لِمَحْجُوبِينَ ﴾^(١) فالحجاب يا مسكون يا مغرور في الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات ، ودوامك على الخطئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مَحْضَرًا ﴾^(٢) فيا معاشر المذنبين أبعدوا السوء وأبدلوه بالإحسان ، وارغبوا في نعيم الجنان وارجعوا عن الأوزار والعصيان ، فإنها تزيدكم ، من عذاب النيران . يا أخي أبعد السوء وأبغضه بغضناً شديداً ، وكن على إبعاده بالتوبة جلداً جليداً ، من قبل أن يأتي يوم تؤدُّ أن لو كان السوء عنك بعيداً ، ولم تتبع شيطاناً غرياً مريداً . وانشدوا :

يا من إليه جمِيعُ الْخَلْقَ يَتَهَلَّوْا وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى رَحْمَاهِ يَتَكَلُّ

(١) المطففين ١٥ .

(٢) آل عمران ٣٠ .

يا من نَأَى فِرَأَى مَا فِي الْغَيْبِ وَمَا
 يَا مِنْ دُنَا فَنَأَى عَنْ أَنْ تُحِيطَ بِهِ
 أَنْتَ الْمَلَادُ إِذَا مَا أَزْمَةً شَمَلتَ
 أَنْتَ الْمَنَادِيَ بِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
 أَنْتَ الْأَلَهُ وَأَنْتَ الذَّخْرُ وَالْأَمْلُ
 أَنْتَ النَّيَّاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ
 إِنَّا فَصَدَّنَاكَ وَالْأَمَالُ وَاقِعَةٌ
 فَإِنْ غَفَرْتَ فَعُنْ طَوْلِ^(۱) وَعَنْ كَرْمِ

حكاية ذي النون عن الراهب الصامت

قال ذو النون رحمه الله : ذكر لي عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحداً
 مدة أربعين سنة ، فنهضت إليه فلم أزل أنادي تحت صومعته^(۲) وأقسم أن
 يشرف علي حتى أشرف من أعلى صومعته ، فراودته على الكلام فابى علي ،
 فقلت له بالذي سكت من أجله ومن خوفه إلا أجبتني بما أسألك عنه ، فقلل
 لي قل ولا تطيل الكلام علي ، قلت له منذ كم أنت في هذا الموضوع ؟
 فقال : منذ يوم واحد ، فقلت له وكيف ذلك ؟ قال سمعت الناس يقولون أمس
 واليوم وغداً ، فاما أمس فقد فات ، وأما اليوم فلي ، وأما الغد فلا أدرى أبلغه
 أم لا ، ثم أدخل رأسه بما كلامي وهو يبكي ويقول لا صبر لي على النار .
 وأنشدوا :

أيا نفس لا صبراً على النار فاعلمي
 وكوني على خوف من النار ما عشت
 ودومي على الأحزان ما دمت حية
 عسى تذهب الأحزان عنك إذا مت^(۳)
 يقولون في طول الكلام بلاغة
 وقد علموا أن البلاغة في الصمت^(۴)

(۱) في الأصل عن (حول) ووردت هكذا في نسخة عثمان خليل وكلاهما صحيحة .

(۲) بناء صغير يسكنه راهب النصارى .

(۳) أسلوب ساذج ونبيح مهلل لشعر المؤلف رحمه الله .

(۴) وبثيراً ما يكون في السكوت السلامة .

إذا العبد لم يلعب هواه بعقله عصى ربّه وازداد مقتاً على مقتٍ

تقسيم العمر على الأعمال

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام ، يوم مضى ويوم أنتم فيه
ويوم تنتظرونـه لا تدرؤـنـ بما يأتيـكمـ من صلاح أو فساد ولعلـكمـ لا تبلغـونـهـ ،
فأصلحـواـ اليومـ الذيـ مضـىـ بالندـمـ علىـ ماـ فاتـكمـ فيهـ منـ الطـاعـةـ والإـحسـانـ ،
وـماـ اقـرـفـتـمـ فيـهـ منـ الذـنـبـ والـعـصـيـانـ ، والـيـوـمـ الذيـ مضـىـ إنـماـ تصـلـحـونـهـ فيـ
اليـوـمـ الذيـ أنتـمـ فيـهـ بـالـبـكـاءـ والـنـدـمـ ، وـذـمـ النـفـسـ معـ المـلـامـةـ . وـأـنـشـدـواـ :

حتـىـ متـىـ نـحـنـ وـالـأـيـامـ نـحـسـبـهاـ وإنـماـ نـحـنـ فـيـهاـ بـيـنـ يـوـمـيـنـ
يـوـمـ تـولـيـ وـيـوـمـ أـنـتـ تـأـمـلـهـ لـعـلهـ أـجـلـبـ الـأـيـامـ لـلـحـيـنـ⁽¹⁾

آنـسـ اللـهـ رـوـعـتـيـ وـرـوـعـتـكـمـ يـوـمـ الشـورـ ، وـآنـسـ وـحـشـتـيـ وـوـحـشـتـكـمـ فـيـ
الـقـبـورـ ، إـنـهـ عـلـىـ ذـلـكـ قـدـيرـ ، وـهـوـ عـلـيـهـ يـسـيرـ ، وـأـمـاتـنـاـ وـلـيـاـكـمـ عـلـىـ هـذـهـ
الـكـلـمـةـ ؛ شـهـادـةـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ مـحـمـدـ رـسـوـلـ اللـهـ غـيـرـ مـبـدـلـيـنـ وـلـاـ مـغـيـرـيـنـ وـلـاـ
مـبـتـدـعـيـنـ آـمـيـنـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ .

(1) الحين : الهلاك .

٧ - مجلس في قوله تعالى ﴿فَأَمَا مَنْ أُوقِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ﴾ الآية

يا أخي يا مسكين يا حيران ، من الذنوب والعصيان ، يا من تعرض لسخط الملك الديان ، يا من أقر عين عدوه الشيطان ، بتتماديه على الخذلان ، والضلال والبهتان ، والأوزار والطغيان ، يا مغorer إنك آخذ كتاباً ، ووارد حساباً ، ونازل ثواباً ، أو عذاباً . فقدم يا غافل في دار الغرور ، ما تجده في الكتاب المنشور ، من الثواب والجبور ، والفرح والسرور ، والضياء والنور ، من رحمة العزيز الغفور *

أين الكتب يوم القيمة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيمة بعث الله تبارك وتعالى ريحًا تطيرها بالأيمان وبالشمائل ^(١) ، أول حرف في الكتاب » ﴿ اقراً كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ ^(٢) ما أعدل الملك الوهاب ، إذ جعل الإنسان حسيب نفسه في قراءة الكتاب . يا مسكين

(١) الشمائل : الأخلاق . ولكن هنا المقصود بها جمع شمال .

(٢) الإسراء ١٤ .

يا مغورو إن أخذت الكتاب بالشمال فحسبك العذاب والنکال ، والمحن والأهوال ، والسلسل والأغلال ، والحميم والخبال ، واللعنـة والإنتصـال ، من ذي الجود والجلال . وإن أخذت الكتاب باليمين ، فحسبك المقام الأمين في أعلى عـلـيـين ، مع الـولـدانـ والـحـورـ العـيـنـ ، والإـتـصالـ بـرـبـ الـعـالـمـينـ ، وبـمـحمدـ خـاتـمـ النـبـيـنـ ، صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ . وإن أصررت في الدـنـيـاـ عـلـىـ جـرـمـكـ ، وـلـمـ تـبـ إـلـىـ مـوـلاـكـ عـنـ قـبـحـ ذـنـبـكـ ، فـسـوـفـ تـأـخـذـ كـتـابـكـ منـ وـرـءـ ظـهـرـكـ ، فـتـجـدـ فـيـ ماـ يـحـزـنـ قـلـبـكـ ، وـيـعـظـمـ حـزـنـكـ ، وـيـكـثـرـ كـرـبـكـ ، فـيـ مـعـشـرـ الـمـذـنـبـينـ اـعـلـمـواـ أـنـمـاـ جـعـلـ اللهـ الـدـنـيـاـ اـبـلـاءـ وـاـخـتـارـاـ ، وـأـوـجـبـ عـلـيـكـمـ فـيـهاـ حـقـوقـاـ كـبـارـاـ ، فـمـتـىـ ضـيـعـتـمـوـهاـ فـقـدـ أـوـدـعـتـمـ كـتـبـكـمـ آـثـاماـ وـأـوـزـارـاـ ، وـمـتـىـ وـفـيـتـمـ بـهـاـ فـقـدـ مـلـأـتـمـ كـتـبـكـمـ سـرـورـاـ وـأـنـوارـاـ . وـمـاـ مـنـ عـبـدـ لـاـ وـلـهـ كـتـابـ يـقـرـؤـهـ يـوـمـ الـعـرـضـ وـالـحـسـابـ ، وـإـنـمـاـ مـثـلـ النـاسـ عـنـ قـرـاءـتـهـمـ الـكـتـابـ ، كـمـثـلـ الـزـارـعـ إـنـ زـرـعـ طـيـباـ رـفـعـ خـيـثـاـ رـفـعـ خـيـثـاـ . يـاـ أـخـيـ فـكـانـكـ أـنـتـ كـتـبـتـهـ بـأـقـوـالـكـ ، وـمـلـأـتـهـ بـأـفـعـالـكـ ، وـسـوـدـتـهـ بـالـقـبـائـحـ مـنـ أـعـمـالـكـ .

وـأـنـشـدـواـ :

كـانـيـ بـنـفـسـيـ فـيـ الـقـيـامـةـ وـاقـفـ وـقـدـ فـاضـ دـمـعـيـ حـينـ أـعـطـيـ كـتابـيـاـ لـعـلـمـيـ بـأـفـعـالـيـ وـسـوـءـ مـنـاقـيـ وـأـنـ كـتـابـيـ سـوـفـ يـدـيـ الـمـسـاوـيـاـ فـيـ أـهـلـ الـذـنـوبـ مـثـلـيـ اـعـلـمـواـ أـنـ الـأـعـمـالـ قـدـ أـثـبـتـتـ عـلـيـكـمـ فـيـ الـدـيـوـانـ ، مـنـ إـلـهـانـ وـالـعـصـيـانـ ، وـالـزـيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ ، وـالـنـفـاقـ وـالـإـيمـانـ ، وـأـنـتـ غـافـلـ فـيـ سـكـرـةـ الـغـرـرـ ، وـكـتـابـكـ مـمـلـوـةـ بـالـوـيلـ وـالـثـيـورـ^(١) ، فـبـادـرـواـ إـلـىـ الصـحـافـ وـأـمـحـواـ مـاـ فـيـهـاـ مـنـ الـقـبـائـحـ ، وـمـحـصـوـاـ^(٢) مـاـ قـدـ ثـبـتـ عـلـيـكـمـ مـنـ الـفـضـائـحـ ، وـذـلـكـ باـكـتسـابـ الـحـسـنـاتـ ، كـمـاـ قـالـ رـبـ الـأـرـضـيـنـ وـالـسـمـوـاتـ^(٣) إـنـ الـحـسـنـاتـ تـذـهـبـنـ السـيـئـاتـ^(٤) .

(١) الويل : وادي في جهنم ، والثيور : الهلاك .

(٢) محصوا : من التمحص وهو الاختبار .

(٣) هود ١١٤ .

أول الناس حساباً

ذكر في بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الأمم أمة محمد ﷺ فإذا اجتمع الأولون والآخرون في أرض القيمة وقفت أمة محمد ﷺ ، فأول من يدعى منهم إلى الحساب رجل من قريش من بنى مخزوم يقال له عبد الله ابن عبد الأسد ، وله أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيهما نزلت الآياتان ﴿فَلَمَّا مَرَأَهُ كَتَبَ بِيَمِينِهِ إِلَى قَوْلِهِ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيةِ﴾ نزلت هذه الآية في عبد الله بن عبد الأسد ﴿وَلَمَّا مَرَأَهُ كَتَبَ بِشَمَائِلِهِ﴾ وهو الأسود بن عبد الأسد ، فأما عبد الله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب فيوقف بين يدي الله عز وجل ، فترعد فرائصه ، وتتفنّك أوصاله ، وتذهل نفسه من شدة الخوف من الله تعالى ، في بينما هو على أشد الأحوال من الخوف بين يدي الجبار جل جلاله إذ يأتيه ملك من عند الله تعالى ويبيده صحيحة بيضاء مختومة بخاتم الخلد ، فيقول له الملك :

كتاب الحسنات

هذا كتابك فيتناول الكتاب بيمنيه ، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أتي كتابه يروم أن يمد اليمين لأخذه فلا يقدر لأنه يجد بيمنيه وإنما علقت فيها جبال الدنيا ، فلا يطيق أن يرفعها من الثقل ، وقيل إنها تغل يده ، وقيل إنها تلصق^(١) بجسمه ، وقيل إن الملك يقول له : يا عدو الله خذ كتابك بشمالك فإنك من أصحاب الشمال ، جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين . فيتناول عبد الله أخوه الأسود كتابه بيمنيه ويقال له إقرأ ما عملت من خير وشر ولا تلوم من إلا نفسك ، فيفضل خاتم الكتاب فينشر كتابه فإذا هو مكتوب بخط أبيض ، في باطن الكتاب سينات ، وفي ظاهرة الحسنات فيقال له إقرأ سيناتك فأول

(١) الحادة ١٩ .

(٢) هذه الإختلافات لا داعي لها في نظرنا إنما علينا أن نؤمن بأن من يأخذ الكتاب بيمنيه وهذا هو الفوز العظيم ، ومن يأخذ الكتاب بشماله فذلك هو الخسران المبين .

حرف يجده في الكتاب أصغر ذنب عمله في الدنيا ، فإذا رأى ذلك الذنب ميُل
رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسال منه من العرق ما لو أن مائتين من الإبل
أكلت حمضاً^(١) والتهبت عطشاً ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد
رويت وما نقص من عرقه شيء .

كيفية السؤال

هذا كله حياء من الله عز وجل ، فيقول الجبار جل جلاله : عبدي
فيقول ليك ربّي وسعديك ، فيقول ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا ؟ فيقول
مولاي وسيدي وعزتك وجلالك إني لأعرفه ، فيقول عبدي أتذكر يوم كذا وكذا
في موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب ؟ فيقول نعم وعزتك وجلالك .
فيقول له الجبار جل جلاله عبدي إنك إذا أخفيت ذلك من الخلاائق لقد
علمت إني كنت مطلاعاً عليك ، فيقول بلّي يا سيدي ومولاي وعزتك وجلالك
لقد علمت ذلك ، فيقول له جل جلاله أما استحيت مني ؟ أما راقبتي ؟ أما
علمت أن مرجعك إليّ . والعبد في هذا التوبيخ قد علاه العرق ، وذاب من
شدة الغرق^(٢) فيقول مولاي وسيدي لأن ترسل بي إلى النار أهون علي من
هذا التوبيخ^(٣) . فيقول الله تبارك وتعالى عبدي أليس قد سترتها عليك في
الدنيا ؟ فيقول العبد مولاي لقد فعلت ذلك بي ، فيقول جل جلاله عبدي
وعزتي وجلالي ومجدي وجودي وكرمي لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب
الأديسين ، وأبقيتها بيني وبينك حتى تعلم نعمتي عليك وأفضالي لديك في
الدنيا والآخرة *

(١) الحمض : نبت ينبع في الصحراء تأكله الإبل فبورث عطشاً شديداً .

(٢) ربما يقصد الغرق في المخرج من المعصية .

(٣) لأن التوبيخ معناه هلاك العبد لما تقدم من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (من نقش الحساب هلك) .

غفران الذنوب

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك في كل ذنب حتى يقرأ جميع ما في كتابه من الذنوب فإذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه ، عبدي هذه سيناتك قد غفرتها لك . فعند ذلك يبيض وجهه وتحسن بشرته وينذهب عنه الحزن والهم والجزع . ثم يقول الله جل جلاله قلب كتابك فاقرأ حسنتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسنته كلما مر على حسنه ازداد قلبه فرحاً وسروراً ، وازداد بياضاً وحسناً ونوراً ، ثم يؤتي بنتائج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك الناج إلى الدنيا لكشف نوره ضوء الشمس والقمر *

لباس المكرمين

ويؤتي بحلتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة ، فليبسها ويزحلى كل مفصل منه بحللى الجنة ، ويقال له أخرج على الناس وأخبرهم وبشرهم أنَّ لكل عبد وأمة من المؤمنين مثل ذلك . فعند ذلك يخرج عبد الله بن عبد الأسد وكتابه يسميه وقد أشرق وجهه نوراً ، وقلبه قد امتلاً سروراً . قد جرت على وجهه نصرة نعيم الجنان ، وتلك علامه لأهل الإيمان . والملك آخذ يسميه وهو ينادي عليه نداء البشرى ألا إِنَّ فلاتاً قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، والخلائق قد رفعوا أبصارهم إليه وتمموا مثل مامن الله به عليه وهو يقرأ ﴿ هَوْمَ اقرءُوا كتايي ﴾^(١) ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميع ذنبي ومحاجها عنى ﴿ إِنِّي ظننت أَنِّي ملأ حسابي ﴾^(٢) إني أیقنت في الدنيا أني ألقى هذا اليوم وكنت خائفاً من هوله^(٣) ومن قراعتي كتابي ومن حساب ربي جل جلاله فلا يزال كذلك حتى يتنهى إلى أصحابه فيقولون من هذا العبد الذي أكرمه الله ورضي عنه ؟ اللهم إجعله من

(١) الحادة ١٩ .

(٢) الحادة ٢٠ .

(٣) هوله : عذابه .

أحبابنا وقربه منا حتى ننظر إلى ما قد فضله مولانا به ، فإذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له من أنت يا عبد الله ؟ فيقول أو ما تعرفوني ؟ فيقولون له يا عبد الله لقد زيتتك كرامة المولى جل جلاله حتى لا نعرفك فمن أنت ؟ فيقول لهم أنا عبد الله بن عبد الأسد ، ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا ، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به ، ثم يُشفّعه الله تبارك وتعالى في كل من شاء من أهل الذنوب ، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشرهم به من المغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ قد رضي ورضيت نفسه ورضي مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة ﴿ في جنة عالية ﴾ في غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها المسك الأذفر ، والعنبر الأشهب ، والكافور الأبيض ﴿ قطوفها دانية ﴾ يعني ثمارها دانية منهم إذا اشتهوها نزلت عليهم حتى تدخل عليهم في منازلهم فتدنو منهم فياكلون من ثمارها ما يشتهون وهم نائم أو قعود أو قيام على أي حال أرادوا ، ثم ترجع إلى أماكنها وذلك قوله تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً ﴾ لا موت فيها ولا حزن ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ يعني الأيام الماضية وهي أيام الدنيا التي أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها ، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته . وأنشدوا :

ببابك عبد من عبديك مذنبٌ كثير الخطايا جاء يسألوك^(١) العفوأ
 فأنزل عليه العفو يا من بمنه على قوم موسى أنزل المَنْ^(٢) والسلوى
 أنا عبدك المسكين فارحم تضرعي ولا تجعل النيران يا رب لي مثوى
 وخفف من العصيان ظهري إبني بلغت من الأوزار غaitها القصوى

وهذا عبد الله بن عبد الأسد الذي أنزل الله تعالى فيه هذه الآية ، وعلى

(١) في الأصل : يسأل العفو ، وهذا لا يستقيم لأن الآيات من بحر الطويل وقد صححه عثمان خليل .

(٢) المَنْ : كالترنجين ، والسلوى : طائر السمان وقيل السلوى أيضاً العسل .

سيرته في الحساب تجري سير المؤمنين من أمة ﷺ على قدر أحوالهم
واجتهدوا في الدنيا في الخير والإستقامة على طاعة الله *

أشد الناس عذاباً

وأما قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ ﴾ فهُوَ الْأَسْدُ بْنُ عَبْدِ
الْأَسْدِ الْمَخْزُومِيِّ وَهُوَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسْدِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو بِهِ
عَلَى أَثْرِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ فَيُدْخِلُ الْأَسْدَ حَتَّى يَوْقُفَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
حِجَابَ السُّخْطِ فَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ لَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَرَاهُ إِلَّا
الْمُؤْمِنُونَ وَمَا الْكُفَّارُ فَلَا يَرَوْنَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ كَلَّا لِإِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمْ يَحْجُوْنَ ﴾^(۱) فَيُوقَفُ الْأَسْدُ بَيْنَ يَدِيِّ الْمَلَائِكَةِ يَرْتَدُ مِنْ خَوْفِ العَذَابِ ،
وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَهُ هُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا يَأْتِيهِ مَلَكٌ مِّنْ
مَلَائِكَةِ السُّخْطِ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ الْيَمْنِيَّ ثُمَّ يَهْزِهَا فَيُخْلِعُهَا مِنْ مَوْضِعِهَا فَيُعْلِقُهَا مِنْ
صَلْبِهِ بِجَلْدِهِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِرَأْسِهِ فَيُلْوِي عَنْقَهِ فَيَحُولُ وَجْهَهُ فِي قِفَاهِ .

كتاب السيئات

ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكٌ مِّنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ سُودَاءُ فِيهَا كِتَابٌ بَخْطَ
أَسْدٌ فِي بَاطِنِ الْكِتَابِ حَسَنَاتُهُ وَفِي ظَاهِرِهِ سَيِّئَاتُهُ وَالْكِتَابُ مُخْتُومٌ ، فَيُقَالُ لَهُ
هَذَا كِتَابُكَ خَذْهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَنَاهُ بِيَمِينِهِ لَأَنَّ يَمِينَهُ مَخْلُوعَةٌ مِّنْ مَنْكِبِهِ ،
فَيَتَنَاهُ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ فَيُقَالُ لَهُ فَضْلُ خَاتَمِ الْكِتَابِ فِي فِضْلِهِ وَيُقَالُ لَهُ أَنْشِرْ كِتَابَكَ
وَأَقْرَأْ ، فَيَنْشِرُ الصَّحِيفَةَ وَهِيَ سُودَاءُ فَيَدْأُبُّ بِبَاطِنِ الْكِتَابِ فَتَسْتَقْبِلُهُ حَسَنَاتُهُ
فِي قِرْؤُهَا وَيَفْرَحُ وَيَظْنُ أَنَّهُ سَيَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ آخِرَ
الصَّحِيفَةِ وَجَدَ فِيهَا هَذِهِ حَسَنَاتِكَ قَدْ رَدَتْ عَلَيْكَ لَأَنَّكَ لَمْ تَرُدْ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَى وَالْدَّارَ الْآخِرَةِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّتُهَا
نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ ﴾^(۲) أَيْ لَا يَنْقُصُونَ ، تَعْجَلُ

(۱) المطففين ۱۵ .

(۲) هود ۱۵ .

لهم في الدنيا أجور أعمالهم ولا يثابون في الآخرة بشيء من أعمالهم ، ولا يتجاوز عنهم في شيء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها ، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر ، والأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يجازي الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقي وهو نعيم الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم ، فوجه الله باق ونعم الجنة باق ، لأن الله تعالى خلق الجنة ثواباً لأهل الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ ﴾^(١) وكل عمل يراد به وجه الله لا يهلك ، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة ، فإن الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقي بالتعيم الدائم الباقي ، ويثيب على العمل الفاني ، وهو ما يعمل للدنيا وزيتها بالعرض الفاني وهو حطام^(٢) الدنيا ، والمؤمن لا يرضي الله عز وجل أن يثبته على عمله الصالح بعرض من الدنيا وأن وسع عليه في الدنيا^(٣) فإنما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته ، وأجر عمله أخره له ليوم فقره إذا احتاج إليه . ثم يقال للأسود بن عبد الأسد ؛ إنقلب كتابك فإذا
فقلب ظاهره فستقبله سياته مثل الجبال الرواسي وهي سود بخط أسود ، لأنها محبوطة بالكفر غير مقبولة ، فأول سية يقرأها يسود وجهه ويسمج^(٤) لونه كلما قرأ سية ازداد سماحة وقبحاً ، فإذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه سياتك قد أضعفت ، إني قد أضعف عليك العذاب بعملك السيات .

صفة العذاب للكافر

فيرجع وجهه أشد سواداً من القار - وهو الزفت - ويعظم جسده للنار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة شهر ، وغلظ كل فخذ من فخذيه مسيرة ثلاثة أيام ،

(١) القصص ٨٨ .

(٢) الحطام : ما تكسر من الياس ، ويقصد من ذلك قلة قدرها .

(٣) فهو كل همه الآخرة وما يقرب إليها من مال أو قول أو عمل .

(٤) يسمج : يقعع ومنها السماحة وهي القباحة .

وما بين شفتيه العليا والسفلى أربعون ذراعاً وقد خرجت أنفاسه وأضراسه من بين
 شفتيه بادية وعيناه زرق وحدقته قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من
 العذاب ، وكل ضرس من أضراسه أعظم من جبل أحد ، شعره كأجام
 القصب ، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعاً ما بين الجلد إلى
 الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها ديدان لها جلبة كجلبة الوحش في البرية ، في
 جسده من الشعر ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى ، في أصل كل شعرة من
 الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى
 إلى يوم يعيشهم لماتوا كلهم في أسرع من طرفة عين . ثم يؤتى بسلسلة ذرعها
 سبعون ذراعاً فتغل بها يداه وعنقه ويدخل طرفها في فيه وتخرج من دبره ثم
 يلف ما بقي منها على عنقه يتقد وتشتعل ناراً ، ثم يؤتى بسخرة من كبريت
 أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرّها فتعلق
 في عنقه وهي تشتعل ناراً ، ثم يؤتى بناج من نارٍ فيوضع على رأسه فيقصد
 حر الصخرة إلى وجهه وينزل حر الناج إلى وجهه ويجتمع مع حر الصخرة ولا
 يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه قال الله تعالى ﴿أَفَمِنْ
 يُتَقِّي بِوْجْهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) وقال عز وجل ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ
 النَّار﴾^(٢) تغشى وجوه الكفار . ثم يؤتى بسربال^(٣) من قطران وهو نحاس^(٤)
 جهنم قد إنتهى في شدة الحر فيلبسه ، لو أن ذلك السربال ألقى في الدنيا
 لصارت الدنيا من مشرقها إلى مغاربها جمرة واحدة أسرع من لمح البصر ، ثم
 يقرن مع شيطان يكون ذلك الشيطان عليه أشد من كل عذاب يعذب به ، ثم
 يقال له أخرج على الناس وأخبر أصحابك أن لكل واحدٍ منهم مثل هذا
 العذاب . فيخرج الأسود على أقبح الأحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة
 واحدة وسيئاته ظاهرة للخلق والملك ينادي على الأسود بن عبد الأسد : يا

(١) الزمر ٢٤ .

(٢) إبراهيم ٥٠ .

(٣) السربال : القميص .

(٤) النحاس هو خبث جهنم أجارنا الله منها .

أهل الموقف قد شقي الأسود شقاوة لا يسعد بعدها أبداً . العنوه فإن الله تعالى
 قد لعنه وسخط عليه ، فينادي بأعلا صوته نداء يسمعه أهل الجمع ﴿يَا لَيْتِنِي
 لَمْ أَوْتِ كِتَابِه﴾^(١) أي يا ليتني لم أعط كتابي بشمالي ولا يحل بي هذا البلاء
 الذي أنا فيه ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حَسَابِه﴾ أي يا ليتني تبت وأمنت ولم أحاسب بهذا
 الحساب ، ولا نزل بي هذا العذاب . ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة﴾^(٢) أي يا
 ليت الموت عاد إلي حتى يريحني من هذا العذاب ﴿مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَة﴾^(٣)
 يعني المال الذي كان معه في الدنيا وكان ينفقه في غير الله ويبخل به في ذات
 الله تبارك وتعالى ﴿هَلَكَ عَنِي سُلْطَانِيَّة﴾^(٤) أي انقطعت عني حاجتي
 واضمحلت . ثم يأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار
 فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها في الدنيا ويلعنه كل من في
 الموقف ويعيره حتى يود لو أمر به إلى النار ، ثم يقول الله تبارك وتعالى
 للملائكة ﴿خُذُوهُ فَغُلُوْهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُوْهُ ثُمَّ فِي سَلْسَلَةِ ذَرَاعَيْهِ سَبْعَوْنَ ذَرَاعَيْهِ
 فَاسْلُكُوهُ﴾^(٥) فيبتدره سبعون ألف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك
 منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر فيأخذونه بينهم فيلقونه في الهاوية من
 النار الحامية ، ويدخلون بسلسلة في فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع
 الخرزة في السلك ، ثم يطعم الغسلين وهو شيء أسود تن - لو أن قطرة من
 الغسلين^(٦) أخرجت إلى الدنيا لمات جميع أهلها من التن .

طعام أهل النار

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا في الدنيا لا يرون أن يغسلوا
 من الجناية ولا يتوضؤوا للصلوة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاغتسال
 وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا في الدنيا من حقوق الله تعالى ،
 وهذا العذاب كله للأسود بن عبد الأسد ، وكذلك لكل من كان في الشر رأساً

(١) و(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، من سورة الحاقة .

(٦) الغسلين : ما انفصل من لحوم أهل النار ودمائهم ، وقيل هو الصديد .

يأمر به ويدعو إليه ، يفعل به كما فعل بالأسود بن عبد الأسد ، وكل من كان في الدنيا في الخير رأساً يأمر به ويدعو إليه يفعل به كما فعل بعد الله بن عبد الأسد ، يجزي الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهاج في الخير والشر والله يفعل ما يشاء لا إله إلا هو وهو حسبي ونعم الوكيل ، فنعود بالله من أعمال أصحاب الشمال .

٨ - مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿ووضع الكتاب﴾ الآية

يا أهل الذنوب مثلي ، يا أهل العيوب مثلي ، يا من يعصي ولا يتوب ،
يا من ألغى والمحال له صحوب^(١) ، يا من ضيع غاية المنى والمرغوب ، يا
من سود كتابه بمعصية علام الغيوب . اعلموا عصمنا الله وإياكم أن للعباد غداً
صحائف يقرؤون فيها الحسنات والقبائح ، فمن كتب له حافظه خيراً في
الدار الفانية فهو خير له في الدار الباقية ، ومن كان خائفاً في الدنيا من
العذاب ، متحفظاً مما يثبت عليه في الكتاب ، متجنباً لمعصية رب الأرباب ،
وفقه الله مولاه للحق والصواب ، ويسر عليه برحمته الحساب ، ومحيت أوزاره
من الكتاب ، ورضي عنه الملك الوهاب ، وأمر به إلى الجنة وحسن المآب .
ومن علم أن عمله يثبت عليه في الديوان ، وهو يقرؤه لا محالة بين يدي
الرحمن ، فكيف يألف العصيان ، وكيف يتحرك منه اللسان ، بالزور
والبهتان ، ومخالفة كتاب الملك الديان *

الفرق بين الحسنة والسيئة

ذكر في بعض الحكم أن رجلاً كان يسوق دابته فعثرت فقال الرجل :

(١) صحوب : مبالغة في الصحبة .

تعست الدابة - يعني عثرت^(١) - فقال ملك اليمين لملك الشمال ليست بحسنة فاكتبها ، فأوحى الله تعالى لملك الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه أنت ، فكتب صاحب الشمال قول الرجل تعست الدابة . وأعظم من هذا أنه ما من عبد ولا أمة يتنفس نفساً إلا أثبته عليه في الكتاب ، فإن خرج النفس في طاعة الله أثبته صاحب اليمين ، وإن خرج النفس في غير طاعة الله تعالى أثبته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه ، فمن علم هذا يقيناً فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته ، ولا وقت من أوقاته ، ولا لحظة من لحظاته إلا في ذكر الله وفي الفكرة في عظمة الله *

النجاة في ذكر الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله ، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيمة الاستغفار في الليل والنهار » فكل من كان في الدنيا من قراءة كتابه خائفاً مشفقاً ، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيمًا مرفقاً . ومن كان في الدنيا من الغافلين ، كان (عند)^(٢) قراءته من النادمين . فلو رأيت يا أهل الذنوب ما قد أثبتم عليكم في الديوان ، من الخطايا والعصيان ، والزور والبهتان ، والزيادة والنقسان ، والغفلة والنسيان ، لعظمت منكم المصائب ، وكثرت منكم النوايب ، ولسارعتم إلى الشواب والرغائب ، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب . وأنشدوا :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ما بال عينك لا تبكي لما سلفا | ذكر الذنوب وخوف النار والتلfa |
| يا أيها المذنب الممحض جرائمها | لا تنس ذنبك وأذكر منه ما سلفا |
| من الذنوب التي لم تبل جدتها | وكيف تبلى وقد أودعتها صحفا |

(١) التعرس : الهلاك ، عثرت أي تعرست وكتب .

(٢) زاد (عند) على الأصل عثمان خليل في هامشه .

(٣) لما سلف : لما سبق أن قدمت .

أما تخاف أما تخش فضائحها إذا الغطاء انجلي^(١) عنهن وانكشفا

اعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تعالى اطلع بعضاً على صحائف بعض، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يستغلون عن معايشهم بتغيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض^(٢) فإنما لله وإنما إليه راجعون.

حكاية عن رقة بن واسع

حكي عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رأه أحد قط ضاحكاً ، وإن كان ليكفي حتى ترحمه الناس ، فذكر له ذلك فقال : يا أحبائي وكيف يضحك من لا يدرى ما أثبت عليه في كتابه ولا يدرى بما يختم له *

اللهم أختم لنا بخير . وكان رجل يكلم محمد بن واسع في حاجة فقال له محمد بن واسع : أدنِ مني فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو مني . فيما عشر المذنبين مثلني ونفسى أعني وكلنا مذنب لا تغروا بستر الله تعالى عليكم فإن له يوماً يهتك فيه الأستار ويحاسب عباده على ما عملوا في الليل والنهار ، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار . فالخير والشر قد حصل عليكم في الكتاب ، الذي يوضع لكم يوم العرض والحساب ، بين يدي رب الأرباب ، قال الملك الوهاب[﴿] ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه[﴾] وضع الكتاب للمؤمنين ، ووضع الكتاب للمجرمين . وضع الكتاب لأهل الإيمان ، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان . وضع الكتاب لأهل الجنان ، ووضع الكتاب لأهل اليران . ووضع الكتاب لأهل الشواب ووضع الكتاب لأهل العقاب . ووضع الكتاب للطائعين ، ووضع الكتاب للعاصين ، ووضع الكتاب لأهل الإخلاص والوفاق ، ووضع الكتاب لأهل الرياء والنفاق ، ووضع الكتاب لأهل الوفاء ، ووضع الكتاب لأهل الجفاء ، ووضع

(١) انجلي عنهم : أزيج عنهم .

(٢) قال تعالى : - ﴿ الأخلاص يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ الزخرف ٦٧ .

(٣) الكهف ٤٩ .

الكتاب للعاملين ، ووضع الكتاب للباطلتين^(١) وضع الكتاب للقائمين ، ووضع الكتاب للنائمين ، وضع الكتاب للمستغرين ، ووضع الكتاب للغافلين . وضع الكتاب للسعداء ، وضع الكتاب للأشقياء . وضع الكتاب لأهل الجنة ، وضع الكتاب لأهل المحنّة . وضع الكتاب للأبرار ووضع الكتاب للفجّار . وضع الكتاب لأهل التوبّة ، ووضع الكتاب الأهل الحاوية ووضع الكتاب لأهل الكرامة ، ووضع الكتاب لأهل الندامة . وضع الكتاب لأهل الرشاد ، ووضع الكتاب لأهل الفساد . وضع الكتاب لأهل الحسنات ، ووضع الكتاب لأهل السيئات . وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور ، ووضع الكتاب لأهل الويل والثبور فكتب تبشر بالجنة ، وكتب آخرها باللعنة والمحنة . جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته *

إحاطة الكتاب بكل شيء

وأعلموا يا معاشر المذنبين أن الله تعالى لم يدع شيئاً من القول إلا وقد فسره لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾^(٢) وقد أعلمنا إلهنا ومولانا أن ﴿ كل إنسان ألمتنه طائرة ﴾^(٣) وأن كل إنسان لا بد له من السؤال ولا بد له من حساب ، ولا بد له من ثواب أو عذاب ومولانا عز وجل قد أمرنا بالعمل الصالح ، ووعدنا عليه بالجنة ، ونهانا عن المعاصي وتوعدنا عليها بالنار . وما قدمتم من خير وشر قد أثبته عليكم في كتاب مكتوب ، بالحسنات والذنوب *

حكاية في كتابة الكتب

روي عن الحسن^(٤) رحمه الله أنه قال : ما من عبد ولا أمة يدفن إلا

(١) في الأصل : للباطلتين ، وصححها عثمان خليل حسب السياق كما أوردها هنا .

٣٨) الأنعام

(٣) الاسراء

(٤) هو الحسن البصري وكان عابداً زاهداً واعظاً وفقيقاً جليلًا.

دخل عليه ملك في قبره معه دواة وقرطاس ، فیأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه ذلك القرطاس ويناوله قلماً ويقول له أكتب جميع ما عملت في عمرك الذي وجبت عليك فيه الحدود من خير وشر فیأخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن في الدنيا كاتباً ، فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجري القلم بيده بإذن الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لا تكون في كتاب أهل الشقاوة وإنما تكون في كتاب أهل الإيمان والسنّة والأمان والغفران لأن بسم الله الرحمن الرحيم هي آية الإيمان وهي إخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله يا أهل السنّة من هذه الأمة ، فإذا ثبت العبد في كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن في قبره من العذاب *** والضيقة**

البسملة وبركتها

وإذا لم يثبت في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم فقد حل به العذاب في قبره . فإذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شيئاً كان أو سعيداً ، يطوي الملك الكتاب ويعلقه في عنقه . فإذا خرج العبد من قبره يوم القيمة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال : يا ولی الله أو يا عدو الله أتعرف هذا ؟ فيقول نعم أنا كتبته ، وأنا عملته ، فيقول له فاقرأه فيستقبله منه ما سبق له من سعادة أو شقاوة *

فأله الله عشر المذنبين مثل المؤمنين لا تضيعوا أيامكم بالقبائح ، ولا تهملوا أعمالكم في الذنوب والفضائح ، فإن جميع أعمالكم قد حصيت عليكم في الصحف الصحائف ، وستقرؤوها بين يدي مولاكم وتشهد عليكم الجوارح ، بالقبيح والحسن من أعمالكم . وأنشدوا :

سوف يأتي عليك ساعة خوف حين تعطى صحائف الأعمال
وكأنني أرى فضائح قوم قد تجلى لكشفها ذو الجلال

لَيْت شَعْرِي إِذَا قَرأتْ كِتابِي بِيَمِينِي أُعْطَاهُ أُمّ بِشْمَالِي

حَكَايَةُ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

روي عن محمد بن البدار رحمه الله أنه قال : دخل عيسى بن مرريم ﷺ على نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى ، يا خراب الآخر بين أين أهلك وعمارك ؟ فأجابه شيء من آخر القصر : يا ابن مرريم بادروا وسيعودوا . فاجتهد يا أخي لا تفترط فإن العظام قد بللت وبقيت أعمالهم في رقابهم . وأنشدوا :

لَا تَحْقِرُنَّ مِنَ الذَّنَوْبِ صَغِيرَهَا إِنَّ الصَّغِيرَ غَدَّاً يَعُودُ كَبِيرَاً^(١)
كُلُّ الذَّنَوْبِ إِنْ تَقْادِمْ عَهْدَهَا عَنْدَ إِلَهٍ مَسْطَرَاً مَسْطُورَاً

أيها الرجل المقنع بالمشيب ، الملبس حلة المعاصي المربيب ، قد خسرت أيام الشباب ، وبذلت مهجتك للعقاب ، بغفلتك عمما في الكتاب ، وأتباعك اللعين الكذاب ، وتهانوك بالحساب وصدودك عن الصواب ، ومعصيتك لرب الأرباب . ما حيلتك يا مكروب مثلث سودات كتابك بالذنوب ، وعصيتك مولاك علام الغيوب ، ويعت الحظ الجزيل بالكذب المشوب ، وضيئت الجنة التي ليس فيها نصب ولا لغوب^(٢) واعلموا عشر المذنبين أن العبد إذا وفّقه مولاه وأعطاه الفكرة في قراءة كتابه كان عند مولاه مستجاب

الدعاء *

حَكَايَةُ فِي الاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ

حَكَى : عَنْ مَطْرُوفِ بْنِ الشَّخِيرِ رَحْمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولًا عَنْ عَزَّ

(١) لَا تَحْقِرُنَّ مِعْصِيَةً إِنْ كَانَ صَغِيرَةً فَلَرِبِّما خَبِيَّ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى غَضِيبُهُ فِيهَا ، وَلَا تَحْقِرُنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً يَسِيرَأُ فَرِبِّما أَجَرَ اللَّهُ جَلَّ شَانَهُ عَلَيْهِ خَلْدَأَ وَنَعِيمَأَ مَقِيمَأَ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَا صَغِيرَةٌ مَعَ اِصْرَارٍ ، وَلَا كَبِيرَةٌ مَعَ إِسْتَغْفَارٍ .

(٢) النصب شدة التعب واللغوب هو الإعياء .

ماء^(١) وكان في زمان الحر ، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل ماء ، فقام فتوضاً بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيما مولاه سبحانه ، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه ، فقيل له بم بلغت هذه المنزلة ؟ فقال : جعلت كتابي نصب عيني في ليلي ونهاري حتى كأني أقرأه بين يدي ربي جل جلاله *

حكاية عن مالك بن دينار

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله : كُنَّا عند محمد بن واسع ومعه مالك ابن دينار فجاء رجل فكلم مالكاً وأغلظ عليه في الكلام في قسمة قسمها وقال وضعتها في غير حقها وفضلت بها أهل مجلسك ليكثرروا جمعك ولتصرف وجوه الناس إليك ، قال فبكى مالك بن دينار وقال : ما أردت بهذا هذا الذي تقول ، قال بلى والله لقد أردته ، فلما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال : اللهم إِنَّ هذَا قد شغلنَا عَنْ ذِكْرِكَ فَأَرْحَنَا مِنْهُ كَيْفَ شَئْتَ . فسقط الرجل ميتاً بإذن الله *

دعا ابن واسع

وكان محمد بن واسع إذا جُنِّ عليه الليل يكي ويقول في بكائه : ويلي من ذنوب قد أحصيتها ، ومن صحيحة قد ملئت ، ورثي قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شيء . فأورثه الله تعالى بيكانه على كتابه ، وعلى حيائيه من ربه الإستجابة في الدعاء وتنور القلب . وأنشدوا :

أرى المشيب بالعذار قد ألم كأنه متى عن قرير قد هجم
خَطَّ المشيب أسطراً في مفرقى فراعنى ما خَطَّه وما رَقَمْ

(١) أي عن شدة حاجتهم إلى الماء .

إلا كزرع هاج^(١) سوف ينحط
 واعتادني ضعف القوي قبل الهرم^(٣)
 من ذلك الأمر الشديد المستهن^(٤)
 قم عبد سوء مسرع للعرض قم
 وخص شيئاً بعد شيء ثم عم
 قضيت منها هل صفالى هل سلم
 ظهري ذنوب كالسحاب المرتكم^(٥)

هل الفتى إذا انقضى شبابه
 شاب الفؤاد قبل شيب لمتي^(٢)
 ويحيى من التوبيخ من ربي غداً
 ويحيى إذا نادي المنادي بي إلا
 ويحيى إذا ما قال لي مقرراً
 ما قد صنعت في فروضي والذي
 فجئت ربي خاسراً قد أثقلت

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِرْتَى الْمُجْرَمِينَ مَشْفَقِينَ مَا
 فِيهِ﴾^(٦) وضع الكتاب لفصل القضاء ، ووضع الكتاب للحزن والبكاء . وضع
 الكتاب لتبدو الفضائح ووضع الكتاب لظهور القبائح . وضع الكتاب لتصح
 الصحائح . الله الله يا عشر المذنبين حاسبوا أنفسكم قبل يوم الحساب ،
 وارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب ، وبادروا بالتوبة قبل غلق الباب ،
 واجتهدوا في بقية أعماركم قبل وضع الكتاب ، وسارعوا إلى المغفرة من
 ربكم قبل الخجل بين يدي رب الأرباب ، وقبل أن تطلبوا برد الجواب ،
 وتحبس الألسنة عن النطق والخطاب ، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان
 أو ثواب . وأشدوا :

أبكي لذنبك طول الدهر مجتهداً
 إن البكاء معول^(٧) الأحزان
 لا تنس ذنبك في الكتاب وعظمته
 إن الذنوب تحيط بالإنسان

(١) هاج النبت : بيس وجف وذبل .

(٢) اللمة : سواد الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن .

(٣) الهرم : كبير السن والشيخوخة .

(٤) المستهن : إنما يقصد به المهم ولكن ثمة فارقاً كبيراً بين هذه وتلك .

(٥) المرتكم : المترافقون .

(٦) الكهف ٤٩ .

(٧) المعول عليه : المحمول عليه .

مساكين أهل الذنوب ، أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن . مساكين أهل الذنوب جلت كرويهم وعظمت خطوبهم ، وكبرت عيوبهم ، وأحصيت عليهم في الكتاب ذنوبهم . مساكين أهل الذنوب عصوا الجبار في الليل والنهار ، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار ، وسُودوا صحفهم بالخطايا والأوزار ، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة ، وخالفوا السنة والجماعة ، وخسروا أنفسهم قبل قيام الساعة . وأنشدوا :

(من كان) ^(١) يخشى الله جل جلاله فليكثر العبرات في الخلوات
فقلعه بعد التذكرة والبكاء بدللت له العبرات بالحسنات
وتخفف الأوزار عن من شرورة يوم الحساب و موقف الحسرات

عجائب الكتب

قال الله تعالى : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشقين مما فيه » ^(٢) عباد الله عند وضع الكتاب عجائب ، وأحزان ومصائب ، وكروب وتوائب . فواحد يوضع له الكتاب فيكي ، وآخر يوضع له الكتاب فيفرح ويكي . وآخر يوضع له الكتاب فتجري على وجهه نصرة ^(٣) النعيم وآخر يوضع له الكتاب فتعلو وجهه ظلمة الجحيم . وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بسخط الرب الججاد . وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بالتوفيق والسداد *

اللهم وفقنا للطاعة ، وأمتنا على السنة والجماعة ، ونجنا من أهواك يوم الساعة ، وأدخلنا في جملة أهل الشفاعة . واعلموا عشر المذنبين أن الماء يمحو الكتاب من لواح الصبيان ، والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان ، والهموم والغموم والأحزان . فاجتهدوا في البكاء عشر الإخوان ، وأكثروا الندامة فإنها توجب الغفران . وأنشدوا :

(١) (من كان) ساقطة من الأصل .

(٢) الكهف ٤٩ .

(٣) نصرة النعيم : من النضارة وهي الحسن والبهاء والرونق .

بدمع غزير وأكف يتصلب
 أخاف على نفسي الضعيفة^(١) تعطب
 إذا ما هدا^(٢) النوام والليل غيَّب^(٣)
 وغارت نجوم الليل وانقض^(٤) كوكب
 وإنِي بآفات الذنوب مُعذبُ
 إلى أين إلْجائي إلى أين أهربُ؟
 وقد قرب الميزان والنار تلهبُ
 لئن كنت في قاع الجحيم أعدبُ
 تبَّتْ قياماً في دجى الليل ترعبُ
 وقد زينت حور الجنان الكوابعُ
 أبحث لكم داري وما شتم أطلبوها

دعوني على نفسي أنوح وأندبُ
 دعوني على نفسي أنوح فإني
 وإنِي حقيق بالتصريع والبكاء
 وجالت دواعي الحزن من كل جانب
 كفى أن عيني بالدموع بخيلاً
 فمن لي إذا نادى المنادي بمن عصى
 وقد ظهرت تلك الفضائح كلها
 فيما طول حزني ثم يا طول حسرتي
 فقد فاز بالملك العظيم عصابة
 إذا أشرف الجبار من فوق عرشه
 فناداهم سهلاً وأهلاً ومرجاً

فبادروا رحمةكم الله في هذه الأيام الشريفة ، إلى محو السيئات من
 الصحفية *

ضرب مثل في رقة القلب

يا أخي الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد في النار عرق طرفها الآخر ، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقة ندامة الذنوب التي حصلت في الكتاب المكتوب الموضوع ، جادت العينان بواكف الدموع ، ولانت الجوارح بالخضوع ، والقلب بالإنبابة والخشوع . وأنشدوا :

كتبْ بأدمعي في صحن خدي
 كتاباً بالتأذل والخضوع
 محوت قبيح فعلك بالدموع^(٥)
 فقالوا قد عفونا عنك لـما

(١) في الأصل : الضعفة وهو تحريف .

(٢) هدا : سجا وسكن .

(٣) الغيَّب : شدة ظلمة الليل .

(٤) انقض كوكب : ذيل وأفل وهوى .

(٥) وهذا دليل على صدق التوبة والإنبابة والرجوع إليه سبحانه وتعالى ، ولقوله عليه السلام : - « عيَّان لا = »

حكاية عن التوبة

ذكر عن بعض الخائفين أله قال : رأيت رجلاً واقفاً على صبي من الصبيان في المكتب وهو يمحو لوحًا ، وكان اللوح قد كتبه بالحبر ، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء ، فجعل الصبي يحك اللوح بالحبل والتراب ، فقام الرجل الواقف عليه : يا بني مالك تحك اللوح بالحبل فقال ليزول الحبر الذي ثبت فيه ، فقال له الرجل والحبل يا بني يزيل الحبر ؟ قال نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك في تُور البشر يؤثر فيه وهو حجرٌ فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق ! فقال الرجل ذلك بطول المدة ، فقال الصبي لا يا نعم الرجل إلا بالحزم والإجتهاد وإياك يا نعم الرجل بعيد الذهن ، قال الرجل كيف ذلك يا بني ؟ قال : لأنني قد قلت لك إشارة لو أقيمتها على قلبك لأفاق وامتحي الحبر الذي عليه ، فقال الرجل : يا بني كان على قلبي حبراً ؟ قال يا عم وأي لون هو الحبر ؟ قال : هو أسود . قال الصبي : يا عم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن ، وأي سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب ! فصاح الرجل صبيحة وخر مغشياً على وجهه ثم أخذني البكاء . فقال له الصبي أما الآن فقد وجدت الدواء للذنوب ومحوها من كتابك وقلبك . فقال الرجل : يا بني وما الدواء ؟ فقال له : البكاء . فقال : يا بني والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب ؟ قال له : نعم والدليل على ذلك قول النبي ﷺ «إن الدموع تطفىء بحر النار يوم القيمة عن الباكى» *

الدموع تمحو الذنوب

فإذا محت الدموع : بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار ، وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار ، رضي عنك الملك الغفار ، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار ، وخلصت من عذاب البار . فأباكموا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم في الشهور والأعوام ، وفي الساعات

* تسمها النار ، عين بانت تحرس في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله .

والأيام ، من الخطايا والأجرام ، واكتساب الربا والحرام ، وظلم الضعفاء والأرامل والأيتام ، وما فرطهم فيه من أداء حقوق الملك العلام . وأنشدوا :

وددت أن دموعي بحر فاسفها^(١) من مقلتي على ما فات من زمي
واهأً على أسفِّي على وهل يجني التأسف إلا غلة الشجن
والله لو صح تحقيق التأسف ما الفيت إلا مع النُّسَامِ في الحزن
يا ليت لي عينًا في كل جارحة^(٢) تبكي على بدموع مانع السوين

فضل البكاء

فالواجب - والله يا أهل الإسلام - على كل مسلم علم من نفسه ذنبًا أن يكثر البكاء عليه عساه يمحوه من كتابه مولاه ، ويتفضل عليه ويغفر له ما قد جناه ، فهو المنان الكريم ، المتفضل العظيم . اللهم يا أكرم الأكرمين ، يا آخر الغافرين . تفضل علينا بتوبه وعلى جميع المذنبين ، تنقلنا بها من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وثبتنا عليها حتى تخرجننا من الدنيا بلا ذنب ولا تباعة^(٣) على منهاج أهل السنة والجماعة ، الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة . اللهم إن الطاعة والمعاصي بقدرك ، وفي يدك القلوب والنواصي ، فطهر قلوبنا بماء التوبية ، واغسلها من دنس الحوبة ، ومتعنا بالسلامة في ديننا ودنيانا ، وفي أسماعنا وأ بصارنا ، وجميع جوارحنا ما أبقيناها ، ولا تردننا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، فإنك على كل شيء قادر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

(١) أسفها : أهريقها .

(٢) الجارحة : العضو من الأعضاء .

(٣) التباعة : من التبعية .

٩ - مجلس في ذكر الجنة وأوصافها

﴿وَمَا أَعْدَ اللَّهُ لِأُولَائِهِ مِنِ النَّعِيمِ فِيهَا﴾

أيها المريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتلطع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته ، والإشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها ، واشتق إلى نعيمها ، لهى عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيتها ، وترك طلب العلو فيها .

آيات في الجنة

وقد قال الله عز وجل ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْنِينَ﴾^(١) وقال عز من قائل ﴿مِثْلُ جَنَّةِ الْأَنْهَارِ مَا كَانَ إِلَّا لِرَبِّ الْأَنْهَارِ﴾^(٢) وقال عز من قائل ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ذَهَبٍ وَلَؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٣) وقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَفَوْرٌ شَكُورٌ﴾^(٤) الآية إلى لغوب . وقال عز من قائل ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى

(١) القصص . ٨٣

(٢) الرعد . ٣٥

(٣) الحج . ٢٣

(٤) فاطر . ٣٤

سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين ^(١) الآية . إلى مكنون . وقال
عز وجل « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب » ^(٢) الآية . إلى
خالدين *

أحاديث في الجنة

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما
رأيت مثل الجنة نام طالبها ، ولا مثل النار نام هاربها » *

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن أشدق من النار لهى
عن الشهوات ، ومن ترقب الموت هانت عليه المصيبات » *

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « لما
خلق الله الجنة قال لجبريل إذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم رجع
فقال يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره ^(٣) فقال الله اذهب
فانظر إليها ، فذهب إليها فقال يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ،
فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها فقال
جبريل يا رب لا يسمع بها أحد فيدخلها ، ثم حفها بالشهوات فقال يا جبريل
اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى
أحد إلا دخلها » فيا معاشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات ،

(١) الصافات ٤٣ - ٤٥ .

(٢) الزخرف ٧١ .

(٣) وصفت الجنة بالمكاره للإبتلاء ، ومعرفة درجة حب العبد لربه ويقنه به وتسليميه له ، فإن
الجنة هي هدية الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين .

ونافسوا في أفعال الخيرات ، وتحملوا في طاعة مولاكم المكرمات ،
يسكنكم مولاكم الجنات ، وبيوئكم أعلى الغرفات ، ويرفع لكم الدرجات *

شجرة طوبى

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :
« إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لويسير الراكب في ظلها مائة عام لم
يقطعها » بظهاورها ياقوت وترابها مسك أبيض ، ووحلها عنبر أشهب ، وكثبانها
كافور أصفر ، وبسرها زمرد أخضر ، وأفناؤها سندس واستبرق ، وزهرها
رياضن أصفر ، وورقها برو드 خضر ، وثمرها حلل صفر ، وسقيها زنجيل
وعسل ، وعقبها زعفران مبهج ، والأنجوج^(١) يتاجج من غير وقود يتتجز من
أصلها أنهار السلسيل والرحيق ، وظلها مجالس أهل الجنة يألفونه ، ومتحدث
يجمعهم تحتها *

وصف الجنة

في بينما هم ذات يوم يتحدثون في ظلّها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب
مزمومة بسلام من ذهب كان وجوهها المصابيح نضارة وحسناً ، ويرها خرز
أحمر ، وعبقري أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة لم ينظر
الناظرون إلى مثله حسناً وبهاء ، ذللاً من غير محة ، نجب من غير رياضة^(٢)
رحالها من الياقوت الأخضر؟ ملبوسة بالعقبري والأرجوان ، ولجمها ذهب
وكسوتها سندس واستبرق ، فanaxوا إليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من
عند رب السلام وقالوا لهم أجيروا ربكم جل جلاله فإنه يسترركم فزوروه

(١) لم أتعذر على معنى هذه الكلمة وربما تكون نوعاً من الأشجار العطرية حسب ما يقتضيه أسلوب
العاطف .

(٢) لأن كل ما في الجنة لا يخضع لقانون الأرض أو الدنيا فإن للجنة قوانين أخرى لا نعلمها وهي
ليست مقيدة بأسباب الدنيا .

وليس م عليكم وتسلموا عليه ، وينظر إليكم وتنظروا إليه ، ويكلمكم
وتتكلموه ، ويحييكم وتحيوه ، ويزيدكم من فضله فإنه ذو رحمة واسعة ، وذو
فضل عظيم *

رواحل الجنة

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم يسير بهم صفاً واحداً معتدلاً
الرجل إلى جنب أخيه عن يمينه لا يفوت ركبة ناقة ركبة صاحبتها ولا تعدو أذن
ناقة أذن صاحبتها ، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم
كراهية أن يفرق بينهم ، فإذا وقفوا بالجبار تبارك تعالى أسفرا^(١) لهم عن وجهه
الكريم ، وتجلى لهم في عظمته العظيمة ، فيسلمون عليه ويرحب بهم
سلامهم وتحييهم أن يقولوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال
والإجلال فيقول لهم رب جل جلاله عبادي عليكم السلام مني وعليكم
رحمتي ومحبتي مرحاً وأهلاً بعادي الذين أطاعوني بالغيب والذين حفظوا
وصيتي ورعوا عهدي وكانوا مني على كل حال مشفقين^(٢) فيقولون وعزتك
وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ولا أدينا إليك كل حشك
فأذن لنا بالسجود لك ، فيقول لهم ربهم عز وجل إني قد رفعت عنكم مؤنة
العبادة فهذا حين أرحت لكم أجسادكم ، وهذا حين أفضيتم إلى روحي
ورحمتي ، وجنتي وكرامتي وبمبلغ الوعد وعدتكم فاسألوني ما شئتم وتمنوا
على أعطكم أماناتكم فلاني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن أجزيكم بقدر
رحمتي وكرامتي ورأفتني وعزي وجلالي وعلو مكانني وعظمة شأنني فاسألوني ما
شئتم ، فما يزالون في الأمانة حتى أن المقصري أمنيته يقول : ربنا تنافس

(١) أسفرا عن وجهه : كشف لهم عنه ، وقد أخطأ الأستاذ عثمان خليل حينما استدل على المعنى
بحديث رسول الله (أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر) لأنه لا وجه للمقارنة ، فأسفر الأولى من
السفر ، وأسفروا الثانية من السفر .

(٢) الإشراق : هو شدة الخوف والهيبة .

أهل الدنيا في دنياهم ، وفخر بعضهم إلى بعض فاجعل حظي من الجنة كل شيء كان فيه أهل الدنيا من يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها ، فانا رضيناها وزهدنا فيها وصغرت في أعيننا تشاغلاً بأمرك وإعظاماً لك وإجلالاً وإعزازاً *

إكرام الله تعالى

فيقول لهم ربهم لقد قصرتم في أمانتكم ورضيتم بدون حظكم وبأقل من حظكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم حتى تعرفه أنفسكم ؛ وألحقت بكم ما قصرت عنه أماناتكم فانظروا إلى ما أعددت لكم وإلى ما لا تبلغه أماناتكم ولم يحظر على قلوبكم فيرون ذلك ، فيقولون ربنا أنت أحق بالأمن والرحمة ولا وكلتنا إلى أنفسنا وأمانينا لضيئنا حظنا وإذا بباب في الربيع الأعلى قد نصب وغرف من الدر والمرجان قد رفعت أبوابها من ذهب ، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت ، وفرشها من سندس واستبرق يغور من أغراضها وأفواهها ماء . نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدرى فإذا هم بقصور شامخة في أعلى عاليين من الياقوت يزهر نورها فلو أنها متخذة إذا لامشت الأبيصار من شدة صفائها وعشق جوهرها فما كان منها أبيض فمن الياقوت الأبيض مفروشاً بالحرير الأبيض . وما كان منها أحمر فمن الياقوت الأحمر مفروشاً بالعبري الأحمر . وما كان منها أخضر فمن الياقوت الأخضر مفروشاً بالسندس الأخضر . وما كان منها أصفر فمن الياقوت الأصفر مفروشاً بالأرجوان الأصفر ، مبوءة بالذهب الأحمر والفضة البيضاء قواعدها من جوهر وأركانها من ذهب وشفوفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من مرجان .

براذين الجنة

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الأحمر مصنوعاً فيها الروح بجنبيها الولدان المخلدون وبيد كل وليد حكمة برذون من تلك البراذين على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحلة أسفلها سرير من ياقوتة وعلى

كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فراش من فرش الجنة ليس في الجنة لون حسن إلا وهو فيها ولا ريحه طيبة إلا عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر إليهما أنهما من دون القبة ، يتبعن مخها في عظامها كما يتبعن السلك الأبيض في الياقوتة الصافية ، ثم يأمر الله عز وجل رجالاً منهم فيتحولون في مركبه مع صاحبته فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل ، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة ، وإما ياقوطة وإما درة وإذا في قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود يتظرونهم ليهتثوهم ويحيوهم ، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين ويجنبها الولدان المخلدون ، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة . فلما رفعوا إلى قصورهم نهضت الملائكة في أعراضهم فاستنزلوهم وصافحوهم وشكوا أيديهم في أيديهم ثم أجلسوهم بينهم ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم *

مصالحة الملائكة

تقول الملائكة أما وعزه ربنا وجلاله ما ضحكتنا منذ خلقنا إلا معكم ، ولا هزلنا إلا معكم ، فهنيئاً لكم هنيئاً بكرامة ربكم . فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له في قصره أمنيته التي تمنى ، وإذا على كل قصر منها باب يفضي إلى وادٍ أفيح^(١) من أودية الجنة محفوفة تلك الأودية بجبار من الكافور الأبيض وكذلك جبار الجنة وهي معادن الجوهر والياقوت والفضة فارغة أنواها في بطون تلك الأودية ، في بطن كل واحد منها أربع جنات^(٢) ، « جنتان ذواتاً أفنان فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان ، وجنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان ، وفيهما فاكهة ونخل ورمان ، وحور مقصورات في الخيام لم

(١) أفيح : يقال فاحت الربيع إذا انتشرت وعبق الجو باريجهها ، والقول أفيح أبلغ من فاحت .

(٢) وهذه قمة الرفاهية والنعيم المقيم .

يقطعنهم إنس قبلهم ولا جان ، كأنهن الياقوت والمرجان ^(١) فلما تبوءوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى في ملائكته فيقول لهم ﴿ هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ^(٢) قالوا نعم ، قال كيف وجدتم ثواب ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فارض عننا . فيقول لهم الجليل جل جلاله برضائي عنكم نظرتم إلى وجهي وسمعتم كلامي وحللتكم داري وصافحتم ملائكتي . فنهيئاً هنيئاً عطائي لكم ليس فيه نكد ولا تكدير فقالوا الحمد لله ^(٣) الذي أحلنا دار المقامات ^(٤) من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ^(٥) *

عدد الجنات وأسماؤها

روي عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : لما خلق الله تبارك وتعالى الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهي سبع جنات ؛ دار الخلد ، ودار السلام ، وجنة عدن - وهي قبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها وهي دار الرحمن تبارك وتعالى ، ليس كمثله شيء ولا يشبه شيء ولباب جنات عدن مصراً عان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق والمغارب ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم . سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها مدانثها وقصورها ، وبيوتها وشرفها وأبوابها ودرجها ، وأعلامها وأسافلها ، وأنيتها وحليتها ، وجميع أصناف ما فيها من الشمار المتدرية ، والأنهار المطرزة بالوان الأشقرية ، والخيام المشرفة ، والأشجار الناضرة بالوان الفاكهة ، والرياحين العبة ، والأزهار الزاهرة والمنازل البهية المعجبة *

(١) الرحمن : آيات مبعثرة : ٤٨ - ٧٤ .

(٢) الصبح ﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ^(٦)﴾ الاعراف ٤٤ .

(٣) دار المقامات : الجنة .

(٤) فاطر ٣٥ .

الحور العين

فيها الأزواج المطهرة ، والعين الغنجات ، بربط النور^(١) معتجرات
بوشع الكرامة ، متزيتات ، بالمسك متزملات ، حدق أعينهن كاحلات ،
وأطرافهم خاشعات ، وفروقهن مكللة بالدر ، مركبة بالياقوت ، ينادين
بأصوات غنجة رخيصة لذينة يقلن : نحن خالدات فلا نموت أبداً ، ونحن
الغانجات فلا نباس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ، ونحن الراضيات
فلا نسخط أبداً ، ونحن الحور الحسان أزواج أقوام كرام ، ونحن الأبكار
السوان للعباد المؤمنين ، طوبى لمن كان لنا وكنا له . فذلك قوله عز وجل
﴿إنا أنشأناهن إشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً﴾^(٢) عاشقات لأزواجهن
﴿أتراكاً﴾ مستويات في الأسنان ﴿حور عين﴾ حسان جمال ﴿كمثال المؤلئ
المكتنون﴾ كأنهن الياقوت والمرجان . مشيهما هرولة ، ونغمتها شهية
بهية فائقة وامقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة وعن غيره محجوبة فذلك قوله
عز وجل ﴿فيهن قاصراتُ الطرف﴾^(٣) يقول قصرت أطرافهم عن الرجال فلا
ينظرون إلى غير أزواجهن ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾^(٤) وكلما
أصابها زوجها وجدها عذراء عليها سبعون حالة مختلفة الوشي والألوان ،
حملها أهون عليها وأخف من شعرها *

صفة الحور

في نحرها مكتوب ، أنت حبي وأنا حبك لست أبغى بك بدلاً ولا عنك
معدلاً . كبدها مرآته وكبد مرآتها يرى مخ ساقها من وراء لحمها وحلبها كما
ترى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء ، وكما يرى السلك الأبيض في
جوف الياقونة الصافية *

(١) ربط النور : جميع ربطات وهي الملاعة البيضاء .

(٢) الواقعة ٣٥ - ٣٧ .

(٣) الرحمن ٥٦ .

(٤) الرحمن ٥٦ .

دار السلام^(١)

وخلق دار السلام من الياقوت كلها أزواجها وخدمها وأنيتها وأسرتها
وحجالها وقصورها وخيماتها ومداينتها ودرجها وغرفها وأبوابها . وثارها من
اللؤلؤ والياقوت *

جنة عدن

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة وخلق جنة المأوى من
الذهب الأحمر بجميع ما فيها على هذه الصفة *

جنة الخلد

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء بجميع ما فيها على هذه الصفة .
والجනات كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام . حيطانها لبنة من ذهب
ولبنة من فضة ، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد . ملاطها^(٢) المسك ،
وقصورها الياقوت ، وغرفها اللؤلؤ ، ومصارعها الذهب ، وأرضها الفضة ،
وخصباؤها المرجان ، وترابها المسك . أعدها الله عز وجل لأوليائه ، يقول الله
تبارك وتعالى يا أوليائي جوزوا الصراط بعفوي ، وأدخلوا الجنة برحمتي
واعتصموا بأعمالكم ، فلكم صنعت ثمار الفردوس ، ولكم نصب شجرة
الخلد ، ولكن بنيت القصور التي أسيست بالنعم ، وشرفت بالملك والخلود *

درجات أهل الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنهم : فأسفل أهل الجنة درجة من له من
الجنة مسيرة خمسمائة عام ، ويزوج خسمائة حوراء ، وأربعة بكر ، وثمانية
آلاف بيت ، وإنه ليتعلق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منهمما عن
صاحبها ، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عمر الدنيا ، وإنه
ليوضع الإناء على فيه فلا ينقضي ريه عمر الدنيا ، وإنه لرأيه ملك بين أصحابيه
مائة حلة تحية من ربها تبارك وتعالى فيلقينها على بدنها فيقول العبد : الحمد لله

(١) دار السلام : من أسماء الجنة .

(٢) الملاط : المادة اللاصقة تضم الأحجار إلى بعضها بعضاً .

وببارك ربى وتعالى فما عجبت كإعجابي بهذه الهدية . فيقول الملك :
أعجبتك ؟ فيقول نعم ، فيسادر الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول أنا
رسول ربك إليك تكوني لولي الله ما أحب فتتلون له على ما يشتهي *

طعام الجنة

ويبلغ غداًه سبعين ألف صفحة من ألوان لحوم الطير كأنها البخت لا
ريش لها ولا زغب ولا عظم ، فلا تطبخ بالنار ، ولا تقليها القدور ولذتها لذة
الزبد ، وحلاتها حلاوة العسل ، ورائحتها رائحة المسك . يأكل من كلها يجد
لآخرها من الطعام كما يجد لأولها^(١) . وفي عشائه مثل ذلك *

قال رسول الله ﷺ : « يأكلون ويسربون ويتفكهون بصير طعامهم
وشرابهم رشحاً كرشح المسك يخرج من أجسادهم . ويبعث الله تبارك وتعالى
إليهم الملائكة بهدية من لدن العرش * »

دلال الحور

روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال : بينما ولي الله في الجنة مع
زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور ، إذ قال
لها : قد إشتقت إلى مشيتك ، قال فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة
مرجان أخضر ، ويشيء الله عز وجل لها في تلك الروضة طريقين من نور ،
أحدهما نبت الزعفران ، والأخر نبت الكافور ، فتمشي في نبت الزعفران ،
وترجع في نبت الكافور ، وتمشي بسبعين ألف لون من الغنج *

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله

(١) وهذا من تمام النعمة والنعيم ، اللهم آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة ، إنك لا
تخلق الميعاد .

ﷺ : « يسطع نور في الجنة فيرفعون رءوسهم فإذا هو نور حوراء . ضحك في وجه زوجها » *

وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة يأكلون ويسربون ولا يمخطتون ولا يتغوطون ولا يبولون^(١) ولكنه رشح كرشح المسك ، قد ألهما التسبيع والتقديس والتكمير والتحميد » *

لباس أهل الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال : بلغني أن ولی الله في الجنة يلبس حلة ذات وجهين يتتجاویان بصوت مليح ، تقول التي تلي جسده أنا أكرم على ولی الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه ، فتقول التي تلي وجهه أنا أكرم على ولی الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترين وجهه *

وروي عن النبي ﷺ : أنه قال : « نبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام في ميلاد ثلات وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيلبسون منها ثياباً ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » *

أول من يدخل الجنة

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على آثارهم كأشد كوكب درى في السماء إضاءة ، قلوبهم على قلب واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تبغض يسبخون الله بكرة وعشياً ، لا يسقمون فيها ولا يموتون ، ولا ينزفون^(٢) آنيتهم من الذهب

(١) وهذا من غيب الآخرة الذي لا يجب أن نناقشه أو نماري فيه إنما نؤمن به عن بقين ، فإن قوانين الآخرة غير قوانين الدنيا ، ولا يستعصي على الله سبحانه وتعالى شيء .

(٢) لا ينزفون : لا يسكون .

والفضة ، وأمشاطهم الذهب ، ووقد مجamerهم الألواه^(١) ورشحهم المسك » *

مساكن الجنة

وقال الحسن رحمه الله في قوله عز وجل ﴿ ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾^(٢) قيل سأله ابن أخيه في ذلك فقال : يا ابن أخي على الخبر وقعت ، سألت عنها أبا هريرة وعمران بن حصين فقالا على الخبر وقعت ، سألنا عنها رسول الله ﷺ كما سألتني فقال : « هي قصر في الجنة من لؤلؤة يضيء فيها سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ، في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير فراش لون على لون ، على كل سرير امرأة من الحور العين . في كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصبة ، وعلى كل مائدة سبعون وصيفاً ووصيفة يعطي الله المؤمن في غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام ، ويطوف على تلك الأزواج » *

طيور الجنة

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « إنه لينظر إلى الطير في الجنة فيخر بين يديه مشوياً والطير أمثال الإبل ، فيقول الطير منها يا ولی الله أما أنا فقد رعيت في وادي كذا وكذا ، وأكلت من ثمار كذا وكذا ، وشربت من ماء عين كذا وكذا ، وسني كذا وريحي كذا فكل مني ، فإذا اشتهى حَسَنَ الطير واشتهى صفته فوق في نفسه وقع الطائر على ما يريد قبل أن يتكلم ، نصفه قديداً ونصفه شواء ، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة في الأكل ، ثم يؤتي بالشراب على برد الكافور - وليس بهذا الكافور - وطعم الزنجبيل - وليس بهذا الزنجبيل - وعلى ريح المسك - وليس بهذا المسك - فإذا شرب هضم ما

(١) الألواه : عود الطيب .

(٢) التربية . ٧٢

أكل من الطعام ، ويأكل مقدار أربعين عاماً ، ويعطى قوة مائة شاب في الجماع ، ويجامع مقدار أربعين سنة ، له في كل يوم مائة عذراء ، بذكر لا يمل ولا يتثنى ، وفرج لا يحشى ولا يمنى » *

أنهار الجنة

قال وهب بن منبه رضي الله عنه : إن في رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيثما أراد ، وأن النيل نهر العسل ، ودجلة نهر اللبن في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجیجان كذلك ، وهو ما ي الأرض الهند ، وهو ما نهرا الماء في الجنة ، وصفهم الله عز وجل في الدنيا حتى يصيّرهم إلى الجنة

وذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مكتوب على باب الجنة إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أذب من قالها ، إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أذب من قالها » *

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها » قال الله عز وجل ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ أَعْيُنُ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(۱) .

سرر الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنه : وذلك أن ولد الله في الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسماة عام وهو قول الله عز وجل ﴿وَفِرْشٌ مَرْفُوعٌ﴾^(۲) قال والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر ، وعلى السرير

. ۱۷) السجدة (۱)

. ۳۴) الواقعة (۲)

سبعون فرasha حشوها النور ، وظواهرها السنديس ، وبطائتها من استبرق ، ولو
دلی أعلاها فرasha ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عاماً *

أرائك الجنة

وعلى السرير أريكة وهي الحجلة وهي من لؤلؤة عليها سبعون ستراً من
نور وذلك قوله عز وجل ﴿ هم وأزواجهم في ظلالٍ على الأرائك متكتون ﴾^(۱)
يعني ظلال الأشجار ، على الأرائك يعني الأسرة في الحال ، في بينما هو
معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عاماً فإذا رفع رأسه فإذا هو
بآخرى متطلعة عليه تناديه : يا ولی الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول حبيبي
من أنت ؟ فتقول أنا من اللواتي قال الله فيهن ﴿ ولدينا مزيد ﴾ قال فيطير
سريره ، أو قال كرسى من ذهب له جناحان فإذا رآها فهي تضعف على الأولى
بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها ،
فإذا رفع رأسه رأى نوراً ساطعاً في داره ، فيعجب فيقول سبحان الله أملك
كريم زارنا ، أم ربنا أشرف علينا ؟ فيقول الملك وهو على كرسى من نور بينه
وبين الملك سبعون عاماً ، والملك في حجته في الملائكة : لم يزرك ملك
ولم يشرف عليه ربك عز وجل ، فيقول ما هذا النور ؟ *

زوجة الدنيا

فيقول الملك لزوجتك الدنيوية وهي معك في الجنة ، وإنها طلعت
عليك ورأيك معانقاً لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذي تراه في دارك هو
نور ثناتها ، فيرفع رأسه إليها فتقول : يا ولی الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول
حبيبي من أنت ؟ فتقول له يا ولی الله أما أنا فمن اللواتي قال الله عز وجل
فيهن ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾^(۲) الآية . قال فيطير

(۱) يس ۵۶ .

(۲) السجدة ۱۷ .

سريره إليها فإذا لقيها فهي تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور ، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل ، فهي إذا دخلت الجنة أفصل من نساء الجنة ، لأن أولئك أنبتن نباتاً ، فيعائق^(١) هذه مقدار أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها ، ثم إنها تقوم بين يديه وخلالنها من يواقيت ، فإذا وطئت يسمع من خلالنها صفير كل طير في الجنة ، فإذا مس كفها كان ألين من المخ ويشم من كفها رائحة كل طيب في الجنة وعليها سبعون حلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغارب ، خلقت من سور والحلل عليها أسور من ذهب وأسور من فضة وأسور من لؤلؤ ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت وهو أخف عليها من النتش ، وأنه يرى مخ ساقها من صفاتها ، ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد ، والحلل مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾^(٢) وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾^(٣)*

تبادل الحب

ومكتوب على كبدتها بالسور حبيبي أنا لك لا أريد بك بدلاً ، وكبدتها مرآته ، وهي على صفاء الياقوت وحسن المرجان وبياض البيض المكتنون ﴿عرباً أترايا﴾ العرب العاشقات لأزواجهن ، والأتراب بنات خمس وعشرين سنة ، مقلجة لو ضحكت لأضاء نور ثياتها ولو سمع الخلاق منطقها لافتتن كل برّ وفاجر ، فهي قائمة بين يديه ساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور ، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور ، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور ، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور وصدرها يضعف على بطنهما بمائة ألف جزء من

(١) يعائق : كنایة عن الملامسة .

(٢) الزمر ٧٤ .

(٣) فاطر ٣٤ .

النور ، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور ، ولو تفلت في بحار الدنيا لعذبت كلها ، ولو أطلعت من سقف بينها إلى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر ، عليها تاج من ياقوت أحمر مكمل بالبدر والمرجان على يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها *

صفائر الجمال

وتلك القرون قرن من نور وقرن من ياقوت وقرن من لؤلؤ وقرن من زبرجد وقرن من مرجان وقرن من در مكمل بالزمرد الأخضر والأحمر ، مفضضن بألوان الجوهر ، موشح بألوان الرياحين ليس في الجنة طيب إلا وهو تحت شعرها ، الواحدة تضيء مسيرة أربعين عاماً ، وعلى يسارها مثل ذلك ، وعلى مؤخرها مائة ألف ذئابة من ذوائب شعرها ، فتلك القرون والذوائب إلى نحرها ثم تندلى إلى عجرتها ثم تندلى إلى قدميها حتى تجره بالمسك ، وعن يمينها مائة ألف وصيفة كل قرن بيد وصيفة ، وعن يسارها مثل ذلك ومن ورائها مائة ألف وصيفة كل وصيفة آخنة بلؤلؤة من ذوائب شعرها .

الوصائف

ومن بين يديها مائة ألف وصيفة معهن مجامس من در فيها بخور من غير نار ويذهب ريحه في الجنة مسيرة مائة عام ، حولها ولدان مخلدون شباب لا يموتون كأنهن اللؤلؤ المتشور كثرة ، فهي قائمة بين يدي ولي الله ترى إعجابه وسروره بها وهي مسرورة عاشقة له ، فتقول له يا ولي الله لتزدادن غبطة وسروراً ، فتمشي بين يديه بمائة ألف لون من المشي^(١) في كل مشية تجلى في سبعين حلة من النور ، وأن الماشطة معها فإذا مشت تتمايل وتنعطف وتتكسر وتدور ، وتتهجج بذلك وتبتسم فإذا مالت القرون من الشعر معها

(١) من دلائل الترف وإمارات ذهاب الهم والغم والحزن .

ومالت الذوائب معها ومالت الوصفان معها ، فإذا دارت درن معها ، فإذا أقبلت أقبلن معها ، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خلقة إذا أقبلت فهي مقابلة وإذا ولت فهي مقابلة الوجه لا تفارق وجهه ولا تغيب عنه ، ويرى كل شيء منها ، إذا جلست بعد مائة ألف لون من المشي خرجت عجزتها من السرير وتدللي قرونها وذواوتها فيضطربولي الله لولا أن الله سبحانه قضى أن لا موت فيها لمات طرباً ، فلولا أن الله تبارك وتعالى قدرها له ما استطاع أن ينظر إليها مخافة أن يذهب بصره فتقول له يا ولی الله تمنع فلا موت فيها . وأشدوا :

| | |
|--|--|
| جنان بها الخيرات ^(١) يزلفن في الحلـ | بحسبك يا عـمار من دار بلـفة |
| خيـامـ من الدـرـ المـجـوفـ فيـ الـكـلـ | وـيـمـشـينـ هـونـاـ فيـ الجـنـانـ أـمـامـهـمـ |
| وـأـشـرـقـتـ الفـرـدـوـسـ وـالـقـوـمـ فيـ شـغـلـ | إـذـاـ بـرـزـتـ حـورـاءـ حـفـّـ بـهـاـ الـبـهـاـ |
| عـلـىـ فـرـشـ الـدـيـاجـ وـالـعـيـشـ قـدـ كـمـلـ | يـعـانـقـنـ أـزـوـاجـاـ لـكـلـ مـطـهـرـ |
| وـنـوـدـيـ وـلـيـ اللهـ يـجـزـيـ ،ـ بـمـاـ فعلـ | وـطـافـ بـهـاـ الـوـلـدـانـ مـنـ كـلـ جـانـبـ |

وقال غيره

| | |
|---|---|
| وطـالـبـاـ ذـاكـ عـلـىـ قـدـرـهـاـ | يـاـ خـاطـبـ الـحـورـاءـ فـيـ خـدـرـهـاـ ^(٢) |
| وـجـاهـدـ النـفـسـ عـلـىـ صـبـرـهـاـ | اـنـهـضـ بـعـزـمـ لـاـ تـكـنـ دـانـيـاـ |
| وـحـالـفـ الـوـحـدـةـ فـيـ ذـكـرـهـاـ | وـجـانـبـ النـاسـ وـارـفـصـهـمـ |
| وـصـمـ نـهـارـاـ فـهـوـ مـهـرـهـاـ | وـقـمـ إـذـاـ اللـيـلـ بـدـاـ وـجـهـهـ |
| وـقـدـ بـدـتـ رـمـانـتـاـ صـدـرـهـاـ | فـلـوـ رـأـتـ عـيـنـاـكـ إـقـبـالـهـاـ |
| وـعـقـدـهـاـ يـشـرقـ فـيـ نـحـرـهـاـ | وـهـيـ تـمـاشـيـ بـيـنـ أـتـرـابـهـاـ |
| تـرـاهـ فـيـ دـنـيـاـكـ مـنـ زـهـرـهـاـ | لـهـانـ فـيـ تـفـسـكـ هـذـاـ الـذـيـ |

ضيافة الله

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالى إذا سكن أهل

(١) الخيرات : هن الحور العين .

(٢) خدرها : الخدر هو الستر بكسر الخاء .

الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هبط ربنا الجليل جل جلاله بلا تكيف ولا تمثيل يتعالى ربنا ذلك ، إلى مرج أفيح فمد بيته وبين خلقه حجاباً من لؤلؤ وحجاباً من نور ثم وضع منابر النور وسرر النور وكراسي النور ثم أذن لرجل كريم على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذي قد أذن له الله عز وجل ؟ فقيل هذا المجبول بيده والمعلم الأسماء ، والذي أمرت الملائكة فسجدت له والذي أبيح له الجنة آدم عليه أذن له على الله عز وجل ، قال ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذي أذن الله عز وجل ؟ فقيل هذا الذي اتخذه الله خليلاً وجعل النار عليه بربداً وسلاماً إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، قال ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم ، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا قد أذن له على الله عز وجل ؟ فقيل هذا الذي اصطفاه الله عز وجل برسالته وقربه نجياً وكلمة تكليماً موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع مراكب(^١) النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال من النور ويسمع دوي تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم ، فقيل من هذا الذي قد أذن له على الله عز وجل ؟ فقيل هذا أول شافع وأول مشفع وسيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وصاحب لواء الحمد أحمد عليه أذن له على الله عز وجل قال فيجلس النبيون على منابر النور ، والصديقون على سرر النور ، والشهداء على كراسي النور وجلس سائرون الناس *

وقد الله

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحباً بعبادي وزواري

(١) كذا ورد بالأصل وهو تحريف عن مواكب.

وجيراني ووفدي ، يا ملائكتي انهضوا إلى عبادي فأطعموهم ، قال فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البخت لا ريش معها ولا عظم ، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحباً بعبادتي وزواري وجيراني ووفدي ، أكلوا أسلوبيهم يا ملائكتي ، قال فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المتشور بأباريق الذهب بأشريدة مختلفة تجد لنها آخرها كلذة أولها لا يصدعون عنها ولا يتزفون ^(١) ، قال ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحباً بعبادتي وزواري وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا فكهوا ثم فقربت إليهم أطباق بكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذي أسماه الله ، أشد بياضاً من اللبن ، وأطيب من عذوبة الشهد ، فطعموا وشربوا وفكروا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحباً بعبادتي وزواري وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا وفكروا أكسوهم *

كرامة الله لعباده

قال ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقوله بنور الرحمن فألبسوا ، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحباً بعبادتي وزواري ووفدي أكلوا وشربوا وفكروا وكسوا ، طيبوهم ، قال فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الأذفر ففضحت على وجههم من غير غبار ولا قثار ^(٢) ثم يناديهم السرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحباً بعبادتي وزواري وجيراني ووفدي أكلوا وشربوا وفكروا وكسوا وطيبوا ، وعزتي وجلالي لأتجلين لهم حتى ينظروا إلى فذلك متنه العطايا وفضل المزيد ، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول السلام عليكم عبادي أنظروا إلى فقد رضيت عنكم ، قال فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول سبحانه سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداً ، فناداهم الرب جل وعز

(١) الواقعه ١٩ .

(٢) كذا وردت بالأصل وال الصحيح (قر) يغير ألف وهو الغبار .

عبادِي أرفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل ولا بدار نصب وإنما هي دار
جزاء ودار ثواب ، وعزتي وجلالي ما خلقتها إلا لأجلكم وما من ساعة
ذكرتمني فيها في دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشي *

سوق الجنة

وروي عن سعيد بن المسيب أنه أتى أبا هريرة رضي الله عنه ، فقال له
أبو هريرة أسؤال الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة ، فقال له سعيد : أو
فيها سوق ؟ قال نعم أخبرنا رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا
بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله
عز وجل ، ويزر لهم من عرشه تبارك وتعالى في روضة من رياض الجنة
وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زيرجد ومنابر من ياقوت
ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يكون أدناهم - وما فيها أدنى - على كثبان
المسك والكافر وما يرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلسا *

رؤيه الله تعالى

قال أبو هريرة رضي الله عنه : فقلت يا رسول الله هل نرى ربنا عز
وجل ؟ قال : « نعم هل تصامون في رؤية القمر ليلة القدر ؟ » فقلنا لا قال
« فكذلك لا تصامون في رؤية ربكم تبارك وتعالى » ولا يبقى في ذلك
المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى إنه ليقول عز وجل لرجل
يا فلان أتذكري يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره عذاته في الدنيا فيقول يا رب ألم
تغفر لي ؟ قال بل فسعة مغفرتي نلت منزلتك هذه ، قال فيبينما هم علي ذلك
إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط
فيقول ربنا عز وجل قدموا إلي ما أعددت لكم من الكرامة ، قال فنأتي سوقاً
من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان ، ولم تنظر إليه
العيون ، ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا فيها ما اشتهدنا ليس بساع

فيها شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال فيلقى الرجل ذو المنزلة المرتفعة من هو دونه فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضي حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها . قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجاً فيقلن مرحباً وأهلاً بحبيينا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إننا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن نقلب بمثل ما إنقلبنا *

المتحابون في الله

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المقربون في الله في الدنيا هم في الجنة على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة إذا أطلعوا أحدهم ملأ حسنه بيت أهل الجنة نوراً كما تملأ الشمس بيت أهل الدنيا ، قال فيقول أهل الجنة أخرجوا بنا ننظر إلى المقربين في الله فيخرجون فينتظرون في وجوههم مثل القمر ليلة القدر عليهم ثياب خضر مكتوب في جيابهم بالنور هؤلاء المقربون في الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أهل الجنة إذا زاروا^(١) ربهم وأرادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حلة لكل حلة سبعون لوناً ليس منهم حلة تشبه الأخرى ، فإذا انصرفوا عن ربهم مروا في أسواق الجنة ليس فيها بيع ولا شراء ، وفيها من الحلل والسنديس والإستبرق والحرير والرفف والعبقري من در وياقوت وأكاليل معلقة فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما شاؤوا ولا ينقص من تلك الأسواق شيئاً وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون من الصور مكتوب في نحر كل صورة منها من تمنى أن يكون مثل صورتي جعل الله حسنه على صورتي ، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة .

* قال ثم ينصرفون إلى منازلهم

(١) في الأصل إذا أرادوا وهي تحريف .

خواتم الجنة

وقال النبي ﷺ : « إن أهل الجنة يعطىهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهي خواتم الخلد ، ثم يعطىهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا رأوا ربهم في داره دار السلام » *

نوق الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال : بينما أهل الجنة يتحدثون في ظل طوبي إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزمومة^(١) بسلام الذهب كان وجوهها المصابيح من حسنها ، ذلك من غير تهيئة^(٢) نجب من غير ربابة عليها رحائل^(٣) الذهب وكسوتها سندس واستبرق حتى ترفع اليهم ، ثم يسلموا عليهم فيقولون : إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتذرونها وتسلمون عليه ، قال فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسيرون بها صفا في الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبها ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبها ، وإنهم ليمررون بالشجرة من شجر الجنة فتأخر من مكانها ، فإذا وقفوا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى أسرف لهم عن وجهه الكريم وتجلّى لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال إن سلامهم عليه أن يقولوا : ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والإكرام ، فيقول لهم الجليل جل جلاله وعليكم سلام مني وعليكم رحمتي وكرامتني ، مرحباً وأهلاً بعبادتي الذين أطاعوني بالغيب وحفظوا وصيتي ، فيقولون : لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدینا إليك كل حشك ، إئذن لنا أن نسجد لك ، فيقول إني قد رفعت عنكم مئنة العبادة وأفضيتم إلى كرامتي *

(١) مقودة بالزمام .

(٢) في الأصل (من غير مهينة) وهو تحريف .

(٣) الرحائل : جمع رحل وهو كالسرج للفرس .

أمانى أهل الجنة

وبلغ الوعد الذي وعدت لكم فتمنوا فإن لكل إنسان منكم ما تمنى ،
فيتمنون فيعطي كل واحد منهم ما يمني ، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله
وكرمه ما لم تبلغ إليه^(١) أماناتهم ، وأنشدوا :

يا راغب الحسور الجمم^(٢) والدلل^(٣) والشكل وحسن الشيم
الناعمات الدائمات الرضى في جنة الفردوس مأوى النعم
أرفض بدار زهرها زائل واغتنم الصحة قبل السقم
وابدر إلى الرؤية مستبصرأ واعتنق الشهيد^(٤) عند الظلم
 واستغفر الله لما قد مضى واستشعر الخوف وطول الندم
تفز بما تطلب من لذة وتأمن البلوى وعيبي النقم^(٥)

(١) وردت في الأصل (إليهم) وكلتا هما صحيحة .

(٢) لفظة لم أقف على مراده منها .

(٣) الدلال : وهو الثناء في السير والقول .

(٤) محرقة عن الشهيد وهو عدم النوم والسهر للعبادة في جوف الليل .

(٥) أي عاقبة للنقم .

١٠ - مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١)

قيل لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة : متنا وعزّة الله ، فعند ذلك
أيقن كل ذي عقل وروح أنه هالك . وأنشدوا :

وينعم عيشاً إن ذالعجبُ أيسحاك من للموت فيه نصيبُ
وليس له جسم لذاك يذوبُ ويأكل والأيام تأكل عمرةُ
نعمٌ ولم ينفك عنه نحيبُ ومن عرف الرحمن لم يهمن قلبه
وبي قطعت دون الوصول ذنبُ بعدت عن الورد الرضي بزلة

قال الله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ يموت كل صغير
وكبير ، يموت كل أمير ووزير ، يموت كل عزيز وحقير ، يموت كل غني
وفقير ، يموت كلنبي وولي ، يموت كل نجي وتنقي ، يموت كل زاهد
وعابد ، يموت كل مقر وجاحد ، يموت كل صحيح وسقيم ، يموت كل
مريض وسليم ، كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت . وأنشدوا :

ألا كُلُّ مولود فللموت يولد ولست أرى حيَاً عليها يخلدُ

. (١) آل عمران ١٨٥

خرجت من الدنيا وأنت مجرد
فإنك في الدنيا على ذاك أوحد
مداعٌ قليلٌ يضمحلُّ وينفذ
فأصبح مذموماً وقد كان يحمدُ
وما بال شيء ذمه الله يحمدُ

تجرد من الدنيا فإنك إنما
وأنت وإن خوّلت مالاً وكثرة
وأفضل شيء نلت منها فإنه
فكם من عزيز أعقب الذلّ عزة
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها

ذكر الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «أكثروا ذكر هازم اللذات^(١) ومفرق الجماعات ، وتوسدوه إذا نتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قتم ، واعمروا به مجالسكم فإنه معقود بناصيكم » يعني بما وكل به منكم ، ويفسد نعيمكم ، ويخرب مصانعكم^(٢) ويفنيكم كما أفنى من كان قبلكم فلا تنسوه فإنه لا ينساكم ، ولا تغفلوا عنه فإنه ليس بغافل عنكم . وأنشدوا :

يا جار أحبابه شهورا وجار أمواته دهورا
ليس سروراً يعود حزناً إذا تأملته سرورا

وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال : ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تراب الأرض التي يموت فيها . وأنشدوا :

أمر على المقابر كل حين ولا أدرى بأي الأرض قبرى
وأفرح بالغنى إن زاد مالي ولا أبكي على نقصان عمري
ما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت ، وأشغل
نفسه بخدمة مولاه ، وقدم من دنياه لأخراه ، ورغب في دار لا يزول نعيمها ولا
يهان كريمها^(٣) . وأنشدوا :

(١) هازم اللذات : الموت .

(٢) مصانعكم : جمع مصنع وهو الحصون والقلاع .

(٣) الجنة هي التي لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها .

الموت لا شك آت فاستعد له إن الليب بذكر الموت مشغول
 فكيف يلهو بعيش أو يلذ به من التراب على عينيه مجعل
 روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أي المؤمنين
 أكيس ؟ قال : «أكثراهم للموت ذكراً ، وأحسنهم له استعداداً» *

حكاية عن الربيع

وقيل للربيع رحمة الله ألا تجلس معنا نتحدث ؟ فقال : إن ذكر الموت
 إذا فارق قلبي ساعة فسد على قلبي . وأنشدوا :

| | |
|------------------------|-------------------------------------|
| ما أغفل الناس عن وعيه | قربه الليل والنهار |
| والعار ما جرّت المعاشي | وليس في النائبات ^(١) عار |
| ويحك ما تصنع المنايا | تأتي فتخلى لها الدبار |
| فلا قلوب لها عيون | ولا عيون لها اعتبار |

عباد الله اسعوا في فكاك رقابكم ، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل
 أن تزهق ، فوالله ما بين أحدهم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم ؛
 إلا أن يحوم عقاب^(٢) المنية عليه ، وي فوق سهامها إليه ، فإذا الندم لا ينفع ،
 وإذا العذر لا يصنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الشفيع لا يشفع ، وإذا الذي
 فات لا يسترجع ، وإذا البائس المحاجي به في النجاة لا يطمع . فكأنني بك يا
 أخي وقد صرخ عليك النسوان ، وبكى عليك الأهل والإخوان ، وفقدك
 الولدان وفتح لفرقتك الجيران ، ونادي عليك المنادي قد مات فلان بن
 فلان . ثم نقلت عن الأحباب ، وحملت إلى أرmas التراب ، وأضجعوك في
 محل ضنك ، قصير السمك ، مهول منظره ، كثير وعره ، مغشى بالوحشة .

(١) النائبات : جمع نائبة وهي المصيبة .

(٢) العقاب : - طائر جارح يقطن قمم الجبال ، وهذا الطائر حاد البصر يأكل الحيات إلا رؤوسها طويل العمر بعيد السفر . ويكثر في الأراضي العراقية واليمنية ، لكثرة الجبال فيها .

عرفته مهول الصريح ، مطبق الصفيح ، على غير مهاد ولا وداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد . وأنشدوا :

المرء يخدعه منه
والدهر يسرع في بلاه
يَا ذَا الشَّبِيهِ لَا تَكُنْ
مَّنْ تَعْبِدُهُ هُوَاه
واعْلَمُ بِأَنَّ الْمَرْءَ مَرْ
تَهَنُّ بِمَا كَسْبَتِ يَدَاه
وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَهْلِكُ مَا سَاوَاه
سُكُراتُ الْمَوْتِ

روي عن النبي ﷺ أنه لما احضر جعل يقول : « لا إله إلا الله إن للموت سُكُراتٍ »^(١) وروي عنه ﷺ أنه كان يقول - وعنه قبح ماء - عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالماء على وجهه ويقول مرة بعد مرة « اللهم هون على سُكُراتِ الْمَوْتِ » *

وروي عنه ﷺ أنه قال : « لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والأرض لماتوا أجمعين » لأن في كل شعرة ألم الموت ، ولا يقع الموت ولا يحل في شيء إلا مات *

وروي أنه قال : « لو أَنَّ قَطْرَةً وَضَعَتْ عَلَى جَبَالٍ الدُّنْيَا كَلَّهَا لِزَالَتْ »
وأنشدوا :

تَيْقَظْ لِلَّذِي لَا يُبَدِّلُ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ
يُسْرِكُ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ بِغَيْرِ زَادٍ !

آلام الموت

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكتاب يا كعب حدثنا عن الموت ، فقال يا أمير المؤمنين هو غصن كثرب الشوك ، ادخل في جوف رجل

(١) وهذه هي شكلية النبي ﷺ من سُكُراتِ الْمَوْتِ ، وهو أكرم خلق الله إلى الله سبحانه وتعالى وأعبد الخلق لربه الذي حمل الرسالة وبلغ الأمانة ، فانتبهوا أيها الناس من غفلتكم .
راجع كتاب (سُكُراتُ الْمَوْتِ) تأليف السيد الجميلي .

حتى إذا أخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذب رجل شديد الجذب فقطع ما قطع
وابقى ما أبقى . وأنشدوا :

الا أيها المغورو والموت نحوه خلقت له تحدو^(١) إليه الركائب
أغرك حلم الله أم لست موقناً بأنك مبعوث غداً ومحاسب
بأيسر من مثقال حبة خردل وإنك مجزيًّا بما أنت كاسب

روي عن الحسن رحمة الله أنه قال : لما مات خليل الرحمن اجتمع
إليه أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا . إن الله تعالى
اتخذك خليلاً من بين سائر الأنبياء والرسل ، فإن كان الموت خف عن واحد
فأنت هو ، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت ؟

طعم الموت

فقال : أواه ، وجدته والله شديداً ، والذي لا إله غيره هو أشد من
الطبع في القدر ، والقطع بالمناشير ، أقبل ملك الموت نحوي بكلوب من
حديد فأدخله في كل عضو مني ثم استل الروح من كل عضو حتى جعله في
القلب ، ثم طعن في القلب طعنة بحربته المسمومة باسم الموت فلو أنني
طبخت في القدر سبعين مرة لكان أهون عليًّا . فقالوا يا إبراهيم لقد هون الله
عليك الموت فإذا كان هذا حال الأنبياء مما يصنع بالمخطيئين !! كفى بالموت
طامة . وإذا بجبريل عليه السلام يسمعهم فقال لهم : يا أرواح الطيبين ما بعد
الموت أشد وأظم وأعظم من الموت . وأنشدوا :

وما الناس إلا هالكُ وابنُ هالكِ ذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوٍ في ثيابِ صديق
داود والذرة .

ذكر في بعض الأخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان في محاربه فإذا
بدودة كالذرة ، فقال داود في نفسه ما يعبأ الله بهذه الدودة فأنطقها سبحانه

(١) تحدو : ومن اللفظ يشتق الحداء ، والحادي هو الذي يحدو للإبل في السفر .

وقالت : والله يا داود إني أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون علي الموت . وأنشدوا :

على ثقة أن البقاء فناء
يحب الفتى طول البقاء وإنه زيادته في الجسم نقص حياته
وليس على نقص الحياة نماء إذا ما طوى يوماً طوى اليوم بعضه
ويسطوه من بعد الصباح مسامه جديدان لا يبقى الجميع بهما
ولا لهمما بعد الجميع عليهما ذكر في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم عليه السلام لما مات يا خليلي مت ؟ قال يا إلهي مت ! قالها وردها عليه ثلاثاً قال يا خليلي كيف وجدت طعم الموت ؟ قال كسفود^(١) محمي جعل في صوف رطب ثم جذب . قال أما أنت فقد هونا عليك الموت . وأنشدوا .

أرى المرء يبكي للذى مات قبله وموت الذى يبكي عليه قريب
وما الموت إلا في كتاب مؤجل إلى ساعة يُذْغَى لها فيجيب

موسى وموعظته

وروي أن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كالعصافير حين يقلع على المقلة ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير . وفي رواية أخرى قال : وجدت نفسي كثاة حية تسليخ بيد القصاب . وأنشدوا :

الموت لا والدأ يبقي ولا ولدأ هسو السبيل إلى أن لا ترى أحداً
مات النبي فلم يخلد لأمته لو خلَّدَ الله حِيَا قبله خلَّدا
للموت فيما سهام غير مخطئة من فاته اليوم سهم لم يفتحه غداً
ما ضر من عرف الدنيا وغدرتها إلا ينافس فيها أهلها أبداً

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « لو علمت الطير والبهائم من الموت ما

(١) السفود : مثل تور الحديدة التي يشوى عليها اللحم وهي (سيخ الحديد) أنظر براءة الدالة في التهويل .

تعلمون ما أكلتم منها سميناً *

نوح وخوفه

وروي عن وهب بن منبه أنه قال : قام نوح عليه السلام خمسماة عام
لا يقرب النساء وجلا من الموت ، وهو المطلع *

وروي أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال للحواريين : أدعوا الله
أن يخفف عني سكرات الموت . وأنشدوا :

قد سفاك الهوى شراب الأمانى فاستطبت المقام تحت التداني
وتصامت عن نداء الأمانى لاهياً عن وقائع الحدثان
إذا عارضتك خطوة ذكر^(١) بادأتك الطباع بالنسيان
سكرات الموت

وفي بعض الأخبار ، للموت ثلاثة آلاف سكرة ، كل سكرة منها أشد من
الف ضربة بالسيف وفي بعض الأخبار أن الدنيا كلها بين يدي ملك الموت
كالمائدة بين يدي الرجل يمد يده إلى ما شاء منها فيتناوله ويأكله . بل الدنيا
كلها مشارقها ومغاربها براها وبحرها وكل ناحية منها أقرب إلى ملك الموت من
الرجل على مائذته وإن معه أعواناً الله أعلم بعذتهم^(٢) ليس منهم ملك إلا لو
أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع في لقمة واحدة لفعل ،
وما تقرب ملك الموت من حملة العرش إلا ازدادوا فزعًا منه حتى يرعدوا ،
وإن غصة من غصص الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، وفي كل ما خلق
الله عز وجل البركة إلا في الأجل فإنه مؤقت لوفاء العدة وانقضاء المدة .
وأنشدوا :

للمنايا^(٣) رحى عليك تدور كُلنا جاهلٌ بها مغروز

(١) في الأصل (عارضتك خطوة ذكر) وهو تصحيف .

(٢) عذتهم : عذدهم .

(٣) المنايا : الموت ، جمع منه .

رحم الله من بكى للخطايا كُلُّ باكٍ فذنبه مغفورٌ

يا ابن آدم ما أغفلتك وعن الصواب ما أبعدك ، فإنك بالموت قد فاجأك
وملك الموت قد وفاك ، فيش منك الطبيب ، وفارقك الحبيب ، وتتفجع
لفقدك كل قريب . فوقيت في الحسرة ، وجفتك العبرة ، ويطل منك
اللسان ، بعد الفصاحة والبيان ، وأدرجت في الأكفان وأزعمت عن الأوطان ،
وصار القبر مأواك ، وإلى يوم القيمة مثواك . وفارقك الأهل والإخوان ، ووقع
بهم عنك السلو والنسيان ، فإن كان لك منزل سكنوه ، أو كنت ذا مال
اقتسموه . وأنشدوا :

يا عجباً للأرض ما تشبَّع وكُلُّ حي فوقها يفجئُ
ابتلعت عاداً فآفنتهم وبعد عاد أهليكت بتبَّعُ
وقوم نوح أدخلت بطئها فظهرها من جمعهم بلقُعٍ
يا أيها الراضي بما قد مضى هل لك فيما قد مضى مطعم
أذكر الموت

يا هذا أذكر ما وصفته ، واحفظ ما حكيته ، وعليك بالصوم والإجتهد ،
والطاعة لرب العباد ومراقبته في الليل والنهار ، والتضرع إليه في ظلمات
الأسحار^(١) . يا هذا عمرك أنفاس معدودة ، وعليك رقيب يحصيها ، لا
تنس الموت فإنه لا ينساك . المبادرة المبادرة إنما هي أنفاس لو حبست عنك
لا نقطع عنك عملك آخر الأبد ، وخروج نفسك آخر الأمد وفراق أهلك آخر
العدد . وأنشدوا :

إذا ما الموت جر على أناسٍ كلا كله^(٢) أناخ بآخرينا
فقيل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(١) البلقع : الخراب .

(٢) السحر : الوقت الأخير من الليل ، قبيل الصبح .

(٣) الكلال : جمع كلكل وهو الصدر .

فاذكر حالك أيها الغافل ، يوم تقلبك على المغسل يد الغاسل ، قد زال عزك عنك ، وسلب مالك منك ، وأخرجت من بين أحبابك وجهزت لترابك ، وأسلمت إلى الدود ، وصرت رهناً بين اللحود ، وبكي عليك الباكون قليلاً ، ثم نسوك دهراً طويلاً ، فتغيرت منك المحسن والمحلّى ، وتحكم في أعضائك البلى ، وقطعت في الأكفان ، وسعى إليك الديدان ، فبلى منك اللسان ، وسالت الحدق كأنك لم تكن قط من رأى ولا نطق . وأنشدوا :

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعشنا ونسأل بعدها عن كل شيء

إبن آدم كأنك بالموت قد حل بساحتك ، وحال بينك وبين ما تريده ، وأنت في النزع والكرب الشديد ، لا والد يدفع عنك ولا ولد ، ولا عدة تنجيك ولا عديد ، ولا عشيرة تحميك ولا قصر مشيد . أليس ذلك نازل بك على كل حال ، أي وعزّة الكبير المتعال ، فإنك الآن حين ينفعك البكاء والإستكانة ، قبل حلول الحسرة والندامة . وأنشدوا :

يا من يموت ويسأله عما يقول ويفعل
إن الموكل بالنفو س إذا أتي لا يمهل
والنار منزل من عصى والنار بش المنزل
موعظة حسنة

يا ابن آدم بادر إلى حسن العمل ، بينما أنت في فسحة ومهل ، وتب إلى مولاك من قبيح الخطايا والزلل ، قبل أن يقال فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل إلى دواهه سبيل ، أو على طبيب من دليل ، فتدعى لك الأطباء ، ويجمع لك الدواء فلا يزيديك ذلك إلا بلاء . وقد اجتمع عندك الإخوان والأحباء ، والأهل والأقرباء ، وكثير حولك البكاء ، ثم يقال حشرج^(١) ونفسه توشك أن

(١) حشرج الروح : وصلت الحلقوم وتهيات للخروج من الجسم .

تخرج ، وأنت تعain الأمر العظيم بعد اللذة والنعيم ، وعدلت يصرك عن القريب والمحميم ، وحل بك القضاء ، وخرجت الروح من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فيا لها من سعادة أو شقاء . وأنشدوا :

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى وتفريق أعضاء ولحم مبدد
ل كنت حقيقة يا ابن آدم بالبكا على ناثبات الدهر مع كل مسعد
فاستعد من ذنوبك يا مسكون ، قبل عرق الجبين ، وانتشار العرقين ،
وقبل مد الشمال وقبض اليدين ، وتضييف قوتك بالأذنين ، ويكثر حواليك البكا
والحنين ، وجرت دموعك لفارقة الأهل والبنين ، ولا يفعوك ما جمعت من
الأموال في الشهور والسنين ، ثم أنت في قبرك لعملك رهين ، إلى يوم
عرضك على أسرع الحاسبين . قد تغير جسمك في الجنادل والتراب ، بعد
تنعمك بدقائق الشباب . وأنشدوا :

من لم يطأ منا التراب برجله وطأ التراب بنضرة الخد
لو كشفت للناس أغطية البلى لم يعرفوا المولى من العبد
من كان بينك في التراب وبينه شبران كان بموضع البعيد

أسماء العباد

ذكر في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالي شجرة فرعها تحت العرش
مكتوب على كل ورقة من أوراقها إسم عبد من عبيده ، فإذا جاء أجل العبد
سقطت تلك الورقة التي فيها إسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في
الوقت . وأنشدوا :

إني لعبت وحادي الموت في طليبي وإن في الموت شغل لي عن اللعب
لو شمرت مهجتي فيما خلقت له ما اشتد حرصي على الدنيا ولا كليبي
سبحان ربِي فلا شيء يعادله^(١) إن الحريص على الدنيا لفي تعب

(١) ورد في الأصل : - (سبحان من لا شيء يعادله) وصححه عثمان خليل فاستقام الوزن .

لا تغتر بديار لا مقام بها واقتصر لدارك إن الموت في الطلب
 روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من يوم إلا وملكان يناديان ، يا أهل
 الدنيا ولدتم للموت ، وتبينون للخراب ، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم .
 وأنشدوا :

بأهل أو حميم ذي اكتشاف
 كأن الموت كالشيء العجائب
 نبي الله فيه لم يحابي
 لدوا للموت وابنو للخراب
 نعود كما خلقنا من تراب
 أتيت فلا تحيف ولا تحابي^(١)
 كما هجم المشيب على الشباب

عجبت لجازع باك مصاب
 شقيق العجيب داعي الويل جهلاً
 وسوئي الله فيه الخلق حتى
 له ملك ينادي كل يوم
 لمن نبني ونحن إلى تراب
 إلا يا موت لم أر منك بُداً
 كأنك قد هجمت على مشيبي

قيل مرجل على خراب فسمع إنساناً ينشد هذه الأيات .

وتنافسوا والموت منهم دانيه
 تردوا القبور وترکوها خالية
 وجیوشهم وعيدهم وزبانیه
 وأکفهم بعد الأعناء بالیه

قل للذین بنوا دیاراً عالیه
 شیدتموها راغبین وانتم
 أین المذکور واین ما قد جمعوا
 تحت التراب تقطعت أوصالهم

ثم قرأ ﴿ قل هو نبأ عظيم أنت عنه معرضون ﴾ .

نوح و زهده

ذكر في بعض الأخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام ، قال فوجده قد عمل خصاً على البحر ، فقال أيش هذا يا نوح ؟ فقال : يا جبريل هذا لمن يموت كثير ، فقال له جبريل عليه السلام : لتأتين أمة أعمارهم من الستين إلى السبعين يبنون بالحصى والأجر والحجر ، فقال

(١) الحيف : الظلم ، ولا تحابي من العباء وهو العطاء .

نوح عليه السلام . ما كان على هؤلاء إنهم يستفون الرماد حتى يموتوا .
وأنشدوا :

لو كنت تعقل يا مغرورٌ ما برقت عيناك للناس^(١) من خوف ومن حذر
ما بال قوم سهام الموت تخطفهم يفاخرون برفع الطين والمدر

عيسى والجمجمة

روي أن عيسى عليه السلام من بجمجمة فقدفها برجله وقال تكلمي بإذن الله تعالى : قالت يا روح الله أنا مالك زمام كذا وكذا ، بينما أنا جالس في ملكي وعلى رأسي تاجي وحولي جنودي وحشمي ، إذ بDALI ملك الموت فازال مني كل عضو على حاله ، ثم خرجت نفسي فيما ليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقه ، وما كان من ذلك الأئس كان وحشة ، فما ظنك يا عاصي بصفحة ملك الموت إذا بدت وعايتها عند كشف الغطاء فتنظر إليها بطرف كليل وقلب وجل ، ثم تسل الروح للخروج فلا تخرج حتى تسمع نسمة ملك الموت بإحدى البشارتين ؛ إبشر يا عدو الله بالنار ، أو إبشر يا ولی الله بالجنة . وأنشدوا :

بخيل لي بكاء القوم حولي وقولهم ألا أزف الرحيل
وما يغنى البكاء إذا تقضى لدى عمري وإن كثر العويل
فخذ للموت أهبته فاما نجاة بعد أو هول طويل

عمرو بن العاص عند موته

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال لإبنه
عند الموت :

(١) (للناس) زيادة على الأصل .

ليتنى ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يخبرني بما يجد ، فقال له إبنه : قد نزل بك الموت فصف لي الذي تجد ؟ فقال لي يا بني كأن جنبي في تحت وكأن غصن شوك يخرج من قدمي إلى هامتي وكأني أتنفس من سم إبرة . ثم مد يده وقال : اللهم لا قوي فانتصر ، ولا بريء فأعذر ، اللهم إني مقر مذنب مستغفر . ثم مات رضي الله عنه . وأنشدوا :

| | |
|--|--|
| واعلم بأنك من دنياك مرتحل تمسي وتتصبح في اللذات مشتغل بين الأحبة قد أودي بك الأجل ووَدُّعُوك و قالوا قد مضى الرجل ووَدُّعُوك و قالوا قد مضى الرجل ما دام ينفعك التذكرة والعمل ينال حوراً ^(١) عليهَا الناجُ والحلُّ في كلِّ وقتٍ من الأوقاتِ تشتعلُ | للموت فاعمل بجد أيها الرجلُ إلى متى أنت في لهوٍ وفي لعبٍ كأنني بك يا ذا الشيب في كربٍ لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا فاعمل لنفسك يا مسكينٍ في مهلٍ إن التقى جناؤُ الخلدِ مسكنه والمجرمين بنارٍ لا خمود لها |
|--|--|

سليمان وملك الموت

روي أن ملك الموت كان صديقاً لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبداً ، فدخل عليه يوماً وعنه رجل يكلمه سليمان ، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذي مع سليمان نظراً منكراً فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت : يا نبي الله من هذا الداخل عليك آنفاً ؟ فقال ملك الموت ، فقال له لقد رأيته يحد النظر إلي ، ولكن لي إليك حاجة ، قال وما هي ؟ قال تأمر الريح أن تحملني إلى الهند . فامر سليمان الريح فحملته إلى الهند ، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت : وجدت عندي مذ أيام رجالاً فنظرت إليه نظراً منكراً ؟ فقال ملك الموت كنت أعجب منه ، أمرت بقبض روحه في ذلك

(١) حور : أي حور عين .

اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام . فقبض روحه في ذلك اليوم بالهدى^(١) .
وأنشدوا :

الموت بحرٌ يهاب المرء مورده
وكل يوم له من كأسه جرع
لا صحة المرء في الدنيا تؤخره
ولا يقدم يوماً موته الوجع
وكُلُّ يوم علينا في فجائعه
طيرٌ ينحوم فلا ندرى بمن يقع

سعيد بن المسيب والجنبي

روي أن سعيد بن المسيب^(٢) دخل يوماً مسجد رسول الله ﷺ فجعل
يلتفت في أركان المسجد يتذكر فيما أدرك من أصحاب النبي ﷺ ثم بكى
وجعل يقول :

فوا أسفًا على فقد الحماة
ألا ذهب الحماة وأسلموني
فوا أسفًا على فقد الثقة
تولوا للقبور فاسقموني

فأجابه هاتفٌ من ركن المسجد بصوت محزون ، من كبد مشجون ،
وهو يقول :

فدع عنك الثقة فقد تولوا
ونفسك فابكها حين الممات
فكُل جماعة لا بد يوماً
يفرق بينهم وقع الشتات

قال سعيد : من أنت فقد زدتني حزناً ؟ فقال : أنا من مؤمني الجن ،
كنا في هذا المسجد سبعين رجلاً فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على
جماعتك ، ولم يبق منهم غيري كما لم يبق من الإنس غيرك ، وإنما بهم
لاحقون ، فإنما الله وإنما إليه راجعون . وأنشدوا :

(١) وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما معناه إذا أراد الله قيسن نفس عبد له بأرضن جعل له بها حاجة .

(٢) كان سعيد بن المسيب من أهل الصفة الذين حرموا على مجلس رسول الله ﷺ وكان كثير العبادة شديد التأثر خائعاً لله تعالى عيناً من الدمع للذكر الله .

جرت الرياح على جميع ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاد

صلحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلّي فقرأ هذه الآية «**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**» وجعل يتذمّرها ويردّها ، فسمع قائلًا يقول : يا هذا كم تردد هذه الآية ؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء قط حياءً من الله تعالى ، ولقد ماتوا من تردّيك هذه الآية . وأنشدوا :

ليس ينجو المقصوص من ملك الموت إذا جاءه ولا الطيّار^(١)
للمنيا وإنما للمنايا خلق الطفل والشيخ الكبار
كم رأينا من سادة وملوك ما على الأرض منهم ديار

العبد وربه

حكى عن بعض العارفين أنه قال : إن الله سبحانه يسر إلى عبده سرّين يخبره ذلك بإلهام يلهمه ، أحدهما إذا ولد وخرج من ظلمة بطن أمّه ، يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نقياً نظيفاً ، وسر عند خروج روحه ، يقول له عبدي ما صنعت في أمانتي عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقاني على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء ، أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب ؟ وأنشدوا :

يا من تقلم جدّه وأبوه وصديقه سكن الشري وأخوه
وغداً إلى دار البلى أترابه ومضى إلى حفر القبور بئنة
ورأى مصارع إخوة وقرابة بين الشري في برزخ سكتنة

(١) أي أن الموت حق لا ريب فيه ولا مراء ولا جدال عليه فلن يفلت منه مخلوق إنساناً كان أو جناً أو طيراً .

ألا أتيت قبورهم فسألتها
فلتخبرنـك أن أحـكام البـلـى
ولـيـخـبـرـنـك أنـهـمـ وـجـدـواـ الـذـيـ
ما زـادـتـ الـحـفـظـاءـ فيـ أـعـمـالـهـمـ
يـاـ مـعـشـرـ الإـخـوـانـ إـنـ سـيـلـكـمـ
وـلـكـمـ نـصـيبـ فيـ الـبـلـىـ كـبـصـيـمـهـ
وـمـحـبـ قدـ غـرـهـ بـحـجـابـهـ
لـكـنـهـ سـجـوـهـ فـوـقـ سـرـيرـهـ
سـارـواـ بـهـ حـتـىـ إـلـىـ دـارـ الـبـلـىـ
حـتـىـ إـذـاـ مـاـ غـيـبـتـهـ أـكـفـهـمـ
وـتـفـرـقـواـ عـنـ بـابـهـ وـتـبـدـلـواـ

عمر بن الخطاب وعظته

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أكثروا من ذكر هازم
اللذات فإنكم لا تذكرونـهـ فيـ قـلـيلـ إـلـاـ كـفـىـ وـأـجـزـىـ ،ـ وـلـاـ فـيـ كـثـيرـ إـلـاـ قـلـلـهـ *

فـالـلـهـ عـبـادـ اللـهـ اـجـتـهـدـواـ وـاسـتـعـدـواـ لـلـمـوتـ ،ـ وـبـادـرـواـ آـجـالـكـمـ قـبـلـ
الـمـوـتـ ،ـ تـفـوزـواـ بـالـجـنـانـ فـيـ دـارـ الرـحـمـنـ .ـ وـأـنـشـدـواـ :

لـمـلـكـ الـمـوـتـ فـيـ الدـنـيـاـ دـيـونـ
تـحـلـ فـلـيـسـ يـمـطـلـهاـ المـطـوـلـ
وـكـلـ الـعـالـمـيـنـ بـهـاـ مـلـيـ^(١)
فـلـيـسـ لـهـ عـلـىـ أـحـدـ جـمـيـلـ
سـوـاءـ إـذـ يـحـلـ عـلـىـ غـرـيمـ^(٢)
عـلـيـهـ ذـوـوـ التـعـزـ وـالـذـلـيـلـ

فـالـلـهـ اللـهـ مـعـاـشـ الـمـسـرـفـينـ لـاـ تـفـرـقـواـ بـالـعـزـ وـالـمـالـ ،ـ فـيـانـ الـمـوـتـ لـاـ يـهـابـ

(١) مـلـيـ :ـ جـدـيرـ وـخـلـيقـ .

(٢) الغـرـيمـ :ـ الـذـيـ عـلـيـهـ الـدـيـنـ ،ـ وـقـدـ يـكـونـ الـغـرـيمـ الـذـيـ لـهـ الـدـيـنـ فـالـفـظـةـ مـنـ الـأـضـدـادـ ،ـ الـغـرـامـ :ـ
الـشـرـ الدـائـمـ وـالـعـذـابـ .

الكبير الجليل ، ولا يرحم العصير الذليل ، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الأعمال ، من قبل أن يأتي يوم لا حيلة فيه لمحنات . يا إخوانى إلى كم هذه الغفلة ؟ إلى كم هذا التمادى في البطالة والإغترار بالمهلة ؟ وأنشدوا :

يا أيها الناس كان لي أمل
قصر عن بلوغه الأجل
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا
كل إلى مثله ينتقل
فليستق الله ربُّ رجل
أمكَّه في حياته العمل

حث النبي أصحابه على ذكر الموت

روي أن النبي ﷺ كان في بيت بعض نسائه إذ سمع صوتاً في مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك ، فخرج عليهم صلوات الله وسلامه عليه حتى قام على رؤوسهم فقال : « أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا ، أ فلا تذكرون مكدر اللذات في أثناء حديثكم ؟ » قالوا وما مكدر اللذات يا نبي الله ؟ قال : « ذكر الموت » فبكى أصحاب رسول الله ﷺ بأجمعهم *

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مصابيح الإسلام ، وقادة الأنام ، السادة الكرام ، رجع ضحكتهم بكاء من هول يوم الحمام^(١) وقد أفنوا أعمارهم في طاعة ذي الجلال والإكرام ، وقطعوا أيامهم في العمل بالسنة والأحكام ، فكيف بمن تمادى في المعاصي والإجرام والطغيان والآثام ، وأكلوا الربا والحرام ، وأموال الضعفاء والأيتام ؟ وأنشدوا :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وزهرتها وإن توشحت^(٢) من أثوابها المحنا
أين الأحبة والجيран ما فعلوا

(١) الحمام : الموت .

(٢) توشحت : أي لبست وارتديت ..

سقاهم الدهر كأساً غير صافية فصيরتهم لأطباقي الشري رهنا
فالله الله معاشر المذنبين لا تشغلو عن يطلبكم ، ولا تنسو من لا
ينساكم ، وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم من قبل أن تأتي ساعة
السكتات ، والندم على ما فات ، فهيهات هيهات ثم هيهات هيهات .
وأنشدوا :

إسمع فقد أسمعت الصوت إن (لم) تبادر فهو الفوت
بل كان ما شئت وعش سالماً آخر هذا كله الموت

يا أخي إذا جاءك الموت لا ينفعك ما جمعته ، ولا ينجيك ما إكتسبته ،
فامهد لنفسك قبل مفارقة الأحباب ، والجيران والأصحاب ، والخروج من
الديار إلى منازل الدود والترب وبيوت الوحشة والعذاب ، إلا أن يغفو الملك
والهاب ، فتفكروا يا أولي الألباب ، يا معشر الشيب والشباب . وأنشدوا :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً واعقه يوم عليك شهيداً
فإن تك بالأمس اجترحت إساءة فبادر بإحسان وأنت حميداً
لعل غداً يأتي وأنت فقيد ولا تبِّئ فعل الصالحات إلى غدٍ
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميك فاعلم أنها ستعود^(١)

ذكر الموت والعمل

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أكثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك في
عمله » فبا إخوانني أكثروا ذكره لعل الله أن يهونه عليكم ، ويرحمكم عند نزوله
بكم . واجعلوا الموت عند منامكم (مهادأ) وعند قيامكم سهادأ . واستعدوا
بكثير الحسنات ، واجتناب الأوزار والسيئات . فرحم الله أمراً رحم نفسه ،
ونظر إليها وذكر رمسه . وأنشدوا :

(١) أي لن تفلت من الموت ، فإن أمهلك فإنه لا بد عائد لك .

نغض الموت ويحكم كل طيب ودهاني بفقد كل حبيب
 كم وكم قد رأيت من حدث السن عزيز كغضن بسان رطيب
 حس بالموت فانثنى بانكسار واضعاً خده بذل عجيب
 قائلاً إخوتي سلام عليكم إذ دنت شمس ملئي بالغمب

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أكثر رجل ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد والرغبة » يا أخي لو كان عندنا علم أنه لا يموت منا إلا رجل واحد لا يعلم من هو فينا ، لكان الواجب علينا أن لا ترقى لنا دمعة خوفاً من الموت ، فكيف ونحن على يقين أنه لا يبقى منا أحد . وأنشدوا :

| | |
|--|----------------------------|
| يلقى الفتى حذر المنية كارها | منها وقد حدقت به لو يشعر |
| نصبت حبائلها ^(١) له من حوله | فإذا أتاه يومه لا ينذر |
| إن أمراً أمسى أبوه وأمه | تحت التراب لواجب يتفكير |
| تعطي صحيفتك التي أمليتها | فترى الذي فيها إذا ما تنشر |
| حسناتها محسنة قد أحصيت | والسيئات فأي ذلك أكثر |

فابكوا معاشر المذنبين على ساعة لا بد منها ، أما ترون الموت قد أفنى الأمم الماضية ، وقتل القرون الخالية ، وهدم القصور العالية ، عطل عشارهم ، وخرب ديارهم ، وهدم منازلهم ، وقطع آثارهم ، وقطف أعمارهم ، ولم ينفعهم ما جمعوا ، ولم يحصلن ما بنوا وصنعوا قد صاروا في القبور رميماً ، ولقوا من الموت والأهوال أمراً عظيماً ، فهذا دليل على أن الموت لا يترك أحداً من المخلوقين ، حتى يتوفاهم وينقلهم إلى التراب
 * أجمعين *

حكاية في الزهد

روي عن عمرو بن مرة أنه قال : ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فاثروا

(١) حبائلها : جمع أحبوة وهي الشبكة التي يصاد بها .

عليه ، فقال رسول الله ﷺ « كيف زهذه في الدنيا وتركه لما يشتهي منها ؟ » قالوا إنه ليصيب منها . قال « فكيف ذكره للموت » قالوا ما سمعناه يكثر ذكره . قال « ليس صاحبكم هناك » فمن لا يكثر ذكر الموت ، ولا يترك الرغبة في حطام الدنيا ؛ فلا خير فيه والله أعلم . وأنشدوا :

إنما الدنيا بلاغٌ
ليس في الدنيا ثبوتٌ
إنما الدنيا كبيتٌ
نسجته العنكبوتُ
ليس لطالبٍ فيها كلُّ يومٍ غير قوتٌ
كلُّ من كان عليها عن قليلٍ سيموتُ

فأله الله بادروا العمر اليسير ، والأجل القصير ، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الأصلاب ، ويذبح الرقاب ، ويرد كل مخلوق إلى التراب ، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة المأب ، ويسوق الفاجر العاصي إلى أليم العذاب ، فتفكروا في الموت يا أهل الفناء والذهب . وأنشدوا :

أم هل له من حمام الموت من راقٍ
هل للفتى من عثار الدهر من واقٍ
قد رجّلوني (١) وما بالشعر من شعثٍ
ولبسوني ثياباً غير أخلاقي
وكفّلوني و قالوا أيّما رجلٌ
وادرجنوني كأنني طيًّا مخرّاقٍ
هيون عليك ولا تبولع بإشفاقٍ
فإنما مالنا للوارثِ الباقي

عظة ابن مسعود

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ليس بغافل ولا ذاكر للموت من عَدَّ غداً من أجله ، فرب مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومؤمل غداً لا يبلغه ، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره . فيا عجباً للفروع ذهبت أصولها ، وللنجمون قد آن أقولها *

(١) رجل الشعر : مشطه .

الداء والدواء

روي أن رجلاً جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال : يا أم المؤمنين إن بي داء فهل عندك دواء ؟ قالت وما داؤك ؟ قال القسوة ، قالت بس الداء داؤك ، عذ المرضى وأشهد الجنائز وتوقع الموت . فالله الله يا أعراض المنية ، ويا أبواب الرزية ، لا تنسوا الموت الذي كتبه الله على العباد ، المخرب للأقطار والبلاد ، وكونوا منه على حذر واستعداد ، يا أبدان الأسمام ، ويا أعراض الحمام . وأنشدوا :

من كان يعلم أنَّ الموت مدرجه
والقبرَ منزله والبعث مخرجه
وأنه بين حيات سنته شه
يوم القيامة أو نار تتصحّجه
فكلُّ شيء سوي التقوى به سمج
وما أقام عليه منه أسمجة
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنًا
لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

عظة عمر بن عبد العزيز

روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يقول : أيها الناس ما الجذع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لا يرجى ، وما الحيلة فيما لا يزول ، وإنما الشيء من أصله ، وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد الأصل ، فكل ما هو آت قريب . أيها الناس إنما أنتم في الدنيا أغراض تتصل فيكم المنايا ونهب للمصائب ، ومعدن للنوايب ، مع كل أكلة غصص ، ومع كل شربة شرق ، ألا تتأملون نعمة إلا بفارق أخرى ، ولا يعمر فيكم معمراً لا بهدم آخر من أجله ، وأنتم أعون الحتوف^(١) على أنفسكم ، فلئن المهرب مما هو كائن فالله الله يا إخوانني لا تركنا إلى طول الأمل ، ولا تنسوا اقتراب الأجل ، فالموت لا بد منه . وأنشدوا :

آه على سفرة بغير إِيابٍ آه من حسرة على الأحباب

(١) أعون الحتوف : أرباب الهملاك .

آه من سكرة بغير ركاب
آه من ركبة^(١) بغير ركاب
آه من مضجعي وحيداً فريداً
بين فرش من العصى والتراب

يا إخواني هل رأيتم أحداً خلد في الدنيا حتى تكونوا مخلدين ، أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين ، فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبئين ، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين ، واستحوذ على نفوسكم كبد الشيطان اللعين ، حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين . وأنشدوا :

ليس دوام البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلق
غلب الموت حيلة كلّ محتا لـ واعي بدائه كلّ راق
عطفت شدة الزمان فأدّتـ هـ إلى فاقة وضيق خنّاقـ
لا يغرنـكـ الغرورـ منـ الدـنيـ سـفـنـهاـ شـدائـدـ بـسـيـاقـ

القرآن والموت واعظان

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً ، فالناطق القرآن والصامت الموت » مساكين فلا بالقرآن عملتم ، ولا في الموت تفكّرتم ، تمسون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلاقة الدنيا ما عندكم من الموت خبر ، ولا أنت منه على حذر قلوبكم خالية من خوف الرحمن ، عامرة بخدوع الشيطان ، كأنكم قد أمنتم الموت وطوارق الحدثان . وأنشدوا :

ركبت جموج الغي في سبيل الصبا
لم تدر أن النائبات تنوب
وجررت أذيال البطالة لاهياً
كأنك لم يكتب عليك ذنوب
أمليت كتاب الشمال صحائفـ
بكثرة ما تأتي ولست تنوبـ
ومهما يغب عنك الحمام لمدةـ
ستبلغها حتماً وأنت كثيـبـ

(١) (آه من رقدة بغير ركاب) هكذا في الأصل ، وتصويب عثمان خليل كما أوردنا وهو أصح ويستقيم معه المعنى .

فقل لي إذا وافي على غير أهبة بأي جواب إن دعيت تجيب
 فالله الله عباد الله عظوا أنفسكم بآباءكم وأحبابكم ، وجيرانكم
 وإنواعكم ، فإن في ذلك بلاغاً لمن تذكر ، وعبرة لمن تفكر ، إخوانكم كانوا
 بالأمس معكم يأكلون ما تأكلون ، ويلبسون مما تلبسون ، فأصبحوا اليوم وقد
 صارت القبور لهم بيوتاً ، وصاروا بين أطباق الشرى خفوتاً قد قسم الوراث
 أموالهم ، ونکح العدو والصديق عيالهم ، وأهان العدو أطفالهم . قد هتك
 منهم الأستار ، واستوحشت منهم الديار ، وتحدثت عنهم الأخبار . وأنشدوا :

| | |
|------------------------------------|---|
| رأيت الموت لا يبقى خليلاً | على خل وإن عاش ^(١) زماناً |
| فكن منه على حذر فإني | رأيت الموت لا يعطي أماناً |
| أنسنا غرة منه كأنـا | بما نعنـى به يعني سوانـا |
| وكـم لـلموت من دـار ودار | أـبان عـميرها عنـها فـبـانـا ^(٢) |
| فـكم ذـي نـخـوة وـعـزـيزـ قـومـ | أـذـلـ المـوتـ عـزـتـهـ فـهـائـاـ |
| كـأنـاـ قدـ نـظـرـناـ عـنـ قـرـيبـ | إـلىـ مـاـ قـدـ وـعـدـنـاهـ عـيـانـاـ |

شدة الموت

روي عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الموت وغمه وكربه فقال : « هو أشد من ثلاثة ضربة بالسيف » في ما عشر الموقنين بتزوله ما هذه الفترة ، وما هذه السكرة ؟ من ذكر الموت قل فرحة وحسده ورغبتة *

روي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا رأى فترة أو غفلة من الناس وقف بباب المسجد فأخذ بأعضاد^(٣) الباب ثم صاح بأعلا صوته : « يا أيها الناس

(١) في الأصل (وإن عاش) زماناً للمفرد .

(٢) أي أبعد عنها عامرها .

(٣) أعضاد : جمع عضد وهو الساعد ، وهو من المعرف إلى الكتف ، وعهد الباب هو المكان الذي يعلق فيه مصراعاه .

الموت جاءكم الموت بالوحية^(١) سعادة أو شقة ، جاءكم الموت بما جاء به بالروح والراحة ، والكرامة الرابحة ، في جنة عالية ، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعهم لها ورغبتهم فيها ، إلا إن لكلَّ ساعٍ غايةٍ وغايةً كلَّ ساعٍ الموت ، جاءكم الموت بما جاء به بالخزي والندامة ، والمكرمة الخاسرة في نار حامية لأولياء الشيطان من أهل دار الغرور الذين سعهم لها ورغبتهم فيها ، إلا إن لكلَّ ساعٍ غايةٍ وغايةً كلَّ ساعٍ الموت ، فسابق ومبوق * *

فأله الله يا إخواني كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين ، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين . وأنشدوا :

أراك بما ترضى به النفس^(٢) والهوى
وقدركه بالذكرى عساً يلين
إإن كنت في شك من الموت فاعتبر
كأنّي بك استغرقت في عمراتي
وقد حشرجت في الصدر منك وأسبلت
فقل لي إذا وُسْدت ويحك في البلى
ويغضب منه الله صرت تدين
فمن قد مضى يزداد منك يقين
وجاءك من بعد الحرراك سُكون
بادعها تجري عليك عيون
وهيل عليك التربُّ كيف تكونُ !

تمني الموت

عباد الله تذاكروا أعماركم قبل الفوت ، وتأهبو لأهوال غصص الموت *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الإنابة إليه ويطيل عمره » فإذا لله وإنما إليه راجعون على من طال عمره وساء عمله ولا تنفعه الموعظة ، فمن

(١) الموت الولي : السريع .

(٢) في الأصل (النفوس) ومعها لا يستقيم الوزن .

كان منا كذلك فقد عظمت خسارته ، وما ربحت تجارتة . وأنسدوا :

نودي بصوت أيماء صوت
ما أقرب الحي من الموت
كان أهل الحي في غيّهم
قد أخذوا أمنا من الموت
كم من صحيح عامر بيته
لم يمس إلا خارب البيت
كم وكم حي بكى ميتاً
فأصبح الحي مع الميت

دعاة مجرّب

اللهم يا أكرم الأكرمين ، تفضل علينا وعلى جميع المذنبين ، بتوبه
تنقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا
ذل ولا تباعة ، على منهاج أهل السنة والجماعة الذين أوجبت لهم الرحمة
والشفاعة ، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصي ، وفي قبضتك القلوب
والنواصي ، فطهر قلوبنا بماء التوبه ، واغسلها من دنس الحوّة^(١) ومتعبنا
بالسلامة في ديننا ودنيانا ما أبقيتنا ، ولا ترددنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ،
وصلى الله على محمد خاتم النبّيين ، وخير المرسلين ، واحشرنا تحت لوانه
أجمعين ، على منهاجه وستنه غير مبدلین ولا مغیرین موقفین معصومین غیر
مغضوب علیہما ولا ضالین ، يا أرحم الراحمين ، ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله
رب العالمين﴾ ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم . والله أعلم *

(١) الحوّة : الإنم .

١١ - مجلس في موت الأنبياء والأولياء الصالحين

وهو قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ معاشر الموتى وأبناء الموتى
أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور ، فإذا استكمل
ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشر ، على الملك الغفور ،
فاستعدوا لذلك المقام ، واجتبوا الأوزار^(١) والأثام ويا دروا بالتوبية قبل نزول
الحمام *

صفة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الموت غصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما أبقى ». وأنشدوا :

يا من سيناي^(٢) مسرعاً
كما ناي عنه أبوه
مثل بقلبك قولهم
 جاء اليقين فلقنه
 وتحللوا من ظلمه
 قبل الفراق ودعلوه

(١) الوزر : الإثم والذنب .

(٢) سيناي : سيعيد من الناي وهو البعد .

فَاللَّهُ أَللَّهُ عِبَادُ اللَّهِ لَا تُضِيغُوا أَعْمَارَكُمْ فِي الْبَاطِلَاتِ ، وَلَا تَفْنِي أَيَامَكُمْ
فِي الْجَهَالَاتِ ، وَادْكُرُوا الْمَوْتَ مُفْرَقَ الْأَحْبَابِ ، وَقَاطِعَ الْأَنْسَابِ ، وَمَذْبُ
الرَّقَابِ ، وَقَاصِمِ الْجَبَابِرَةِ وَالْأَرْبَابِ ، مَهْلِكِ الْأَبَاءِ وَالْأَمَهَاتِ ، وَقَاتِلِ الْأَخْوَةِ
وَالْأَخْوَاتِ ، وَمُبَيِّدِ الْجِيرَانِ وَالْقَرَابَاتِ الْمَوْتُ يَقْطَعُ أَمْوَالَكُمْ ، وَيَغْيِرُ
أَحْوَالَكُمْ ، وَيَرْمِلُ نِسَاءَكُمْ ، وَيَتْبَعُ أَطْفَالَكُمْ ، فَلَا يَقِنُّ مِنْكُمْ خَلِيلًا وَلَا
حَبِيبًا ، وَلَا جَاهِلًا وَلَا أَدِيبًا . وَأَنْشَدُوا :

الموت أنى من مضى والموت يفني من بقى
والموت يجمع في الترى بين المنعم والشقى
يا مسكين أنفقت مالك في بنيان الدور ، وتشيد القصور ، ونسيت
الموت والتحول إلى ظلمة القبور ، ثاوياً^(١) فيها إلى يوم النشور^(٢) .
وأنشدو :

| | |
|---------------------------------------|--|
| ألا للخراب بنى العامرونَا | وَلِلْمَوْتِ مَا وَلَدَ الْوَالِدُونَا |
| وَعِمَّا قَلِيلٍ يَرَى الْآخِرُونَا | نَعْجَابٌ مَا قَدَ رَأَى الْأُولُونَا |
| وَيُشَقِّي أَنَاسٌ بِمَا جَمَعُوا | وَيُسَعِّدُ بِالقلةِ الزَّاهِدُونَا |
| وَلَا يَرْحَمُونَ إِذَا مَا بَكَوْا | وَلَا يَرْجِي الرَّحْمَةُ الطَّالِمُونَا |
| وَيُسَأَلُ قَوْمٌ هُنَاكَ الرُّجُوْنَ | عَفْلًا يَرْجِعُونَ وَلَا يَكْرِمُونَا |

اعلم يا مسكين أن المنية خير من الحياة الدنيا ، يا ابن آدم الرقاد والله
تحت التراب ، خير لمعصيتك لرب الأرباب *

عظة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كفى بالموت واعظاً ، وكفى بالعبادة

(١) ثاوياً : مقيماً من ثوى إذا أقام .

(٢) يوم النشور : يوم البعث أي يوم القيمة .

شغلاً ، وكفى باليقين غناه » واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، وإنما يتضرر بأولكم أن يلحق آخركم ، ثم يجتمعون في عرصة القيامة ، لوقوع الحسرة والندامة ، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون ، ويحال بينكم وبين ما تشهون ، ويتحقق لكم ما كنتم به تستهزئون . وأنشدوا :

كل حي وإن بقى فمن الموت يستنقى
فاعمل اليوم واجتهد بادر اليوم يا شقى

أبو العتاهية الشاعر

ذكر عن أبي العتاهية^(١) رحمة الله أنه دخل يوماً على الرشيد فقال له الرشيد : أنشدني ، فقال اجعل لي الأمان ، قال أنت آمن فأنشأ وأشد :

لا تأمن الموت في طرف^(٢) ولا نفس
وإن تستر بالحجاب والحرس
لكل مدرعٍ منا ومترسٍ
واعلم بأن سهام الموت قاصدة
ما بال دينك ترضى أن تدنسه
وثوبك الدهر مفسولٌ من الدنس
ترجو النجا و لم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليأس

فاعلموا يا معاشربني آدم أن الموت لا يترك^(٣) منكم أحداً ، ولا يرحم والداً ولا ولداً ، فاجعلوه بين أعينكم منصوباً ، فإنه لا يترك الفرح كثيناً مكروباً ، فيقيتنا يقين من يموت ، وأعمالنا أعمال من لا يموت ، كأن يقيتنا بالموت مشوباً بالشك ، وكان إيماننا بالبعث ممزوجاً بالأفك ، ما هذه حال من يقين بالحمام ، يعصى مولاه في الليالي والأيام . وأنشدوا :

نحن من العمر في ظنونٍ وفي يقين من المنون^(٤)

(١) أبو العتاهية ، من مشاهير الشعراء العباسين .

(٢) أي في طرفة عين ، وهي أقل فترة زمنية .

(٣) في الأصل (لا يؤخذ منكم) وهو خطأ فتiber .

(٤) المنون : والمنية الموت .

ثمت لا نذكر المنايا أليس ذا غاية الجنون

مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : رأيت في المنام رجلاً وهو في بريه وأمامه غزاله وهو يجري خلفها وهي تفر منه ، وأسد كأعظم ما يكون خلقة وقد هم أن يلحقه ، والرجل يرد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه ، ثم يجري خلف الغزاله حتى لحق به الأسد فقتله . فوقفت الغزاله ، تنظر إليه وهو مقتول ، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزاله ، فخرج آخر ففعل كذلك ، قال فما زلت أعد واحداً بعد واحد حتى عدت مائة رجل صرعى والغزاله واقفة ، فقلت إن هذا لعجب ! فقال الأسد : من تعجب ؟ أوما تدرى من أنا ومن هذه الغزاله ؟ فقلت لا ، فقال أنا ملك الموت وهذه الغزاله الدنيا ، وهؤلاء أهلها يجدون في طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتى آتى على آخرهن . فاستيقظت فزعاً مرعوباً وأنشدوا :

وأظن هذا كله نسياناً
إن لم يزرنا بكرة مساناً
وكأنما يعني بذلك سواناً
حتى كأني قد أرأه عياناً
ويفارق الإخوان والخلانـا
فاختبر لنفسك إن عقلت مكانـاً
قبل الممات ولا تكن مهوانـاً
حتى متى وإلى متى نتوانـي^(١)
والموت يطلبنا حيثاً مسرعاً
إنا لنوعظ بكرةً وعشيةً
غلب اليقين على التشكيك في الرديـ
يا من يصير غالباً إلى دار البليـ
إن الأماكن في المعاد عزيزةً
وانظر لنفسك إن أردت تعزـها

واعلموا عباد الله أن ما من جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها حتى
يفنـها عن آخرها وإنما أعمارها عوارـ وعارية لا تبقى ، يرجع الكلـ إلى الله

(١) التوانـي : التقاـس والتـكـاسل .

(٢) مهـوانـاً : أي مستهـيناً ، وهي صيغـة بـالـغـة .

تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين ، فشقى وسعيد ، ومنعم ومعذب . وأنشدوا :

وَمَا أَهْلُ الْحَيَاةِ لَنَا بِأَهْلٍ
وَمَا أَمْوَالُنَا إِلَّا عَوْارٌ
لَا دَارٌ لِفَنَاءِ لَنَا بِدَارٍ
سِيَاحِذْهَا الْمَعِيرُ مِنَ الْمَعَارِ

ملاقة الأرواح

روي عن النبي ﷺ أنه قال : إذا عرج برفع المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب في الدنيا ، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان وما حاله ؟ فيقول بخير تركته والله على طريقة حسنة . فيقولون يا ربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه ، وإن سأله عن إنسان قد مات فيقول قد هلك فيقولون إنما الله وإنما إليه راجعون ، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا ، ذهب والله به إلى أمه الهاوية^(١) بثت الأم وبثت المرية *

أعمال الأحياء والأموات

قال رسول الله ﷺ : « تعرض على الموتى أعمالكم فإن رأوا خيراً استبشروا به وقالوا اللهم هذه نعمتك فأتمها على عبدك ، وإن رأوا سيئة اغنموا لها وقالوا اللهم راجع بعدهك » قال رسول الله ﷺ : « فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فإن أعمالكم تعرض عليهم »^(٢) فالله عباد الله اجتهدوا في اكتساب الحسنات ، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات ، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات . واعملوا في صحتكم قبل السقم ، وقدموا في شبابكم قبل الهرم ، فإن الموت إذا جاء لا يرجع ، وسهامه إذا

(١) الهاوية : من أسماء جهنم .

(٢) راجع كتاب (الروح) لابن القيم .

فوقها لا تدفع ، وكأسه إذا أدارها لا تنزع ، حياضه مسروقة ، وساعاته
معدودة ، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة . وأنشدوا :

الموت حتم حوضه مسروق
والموت يفنى جمعنا^(١) وبيمد
وله على تنفيذ ذاك جنود
قد عززته^(٢) عساكر وجنود
حبأ لدار زهرها معقوفة
والى متى لا تنثني وتعود؟

الله الله يا أعراض المنية ، وياباً أبواب البلاية ، وياباً معادن الرزية . أفيقوا
من هذا الوسن ، قبل أن تزودوا من أموالكم بخيوط^(٤) وكفين . إذا تبراً منكم
الحبيب ، وأنكر معرفتكم القريب ، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبي
وغرير . وأنشدوا :

الموت بباب وكل الناس داخله
الدار دار نعيم إن عملت بما
فليت شعري بعد الباب ما الدار؟
يرضى الإله وإن خالفت فالنار

المثابرة

يا أخي بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تخثار عيش
يوم بالجميع ؟ فبادر ما دمت في فسحة من العمر ، قبل أن يضيق عليك
الأمر ، لو صبح بك الليلة أجب الداعي أما كنت نادماً على ما قدمت ، وبياكي
على ما فرطت ؟ وأنشدوا :

الموت بحر طامح موجة تذهب فيه حيلة السابع

(١) في الأصل (جمعينا) ولا يستقيم معه وزن .

(٢) في الأصل (في النفس) ولا يستقيم معها الوزن .

(٣) في الأصل (عزته) وهذه تصويبات عثمان خليل .

(٤) (بخيوط) وردت هكذا في الأصل وهو تحريف .

**يا نفس إني قائل فاسمعي مقالة من مشق ناصح
ما يعجب الإنسان في قبره مثل التقى والعمل الصالح**

فأله الله عباد الله استعدوا للموت ، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النساء ، وأيتم الولدان ، وفرق الأخوان ، فوالله يا أيها الإنسان وإنما أنا وأنتم ذلك الإنسان ، لولم يكن ماء ولا ظلال ، ولا جواب ولا سؤال ، ولا نعيم ولا ثواب ، ولا جحيم ولا عقاب ، لكان في الموت وسكته ، والقبر وظلمته ، واللحد وضغطته ، ما يمنع العاقل البليغ عن كسب الخطايا والذنوب فكيف ومن وراء ذلك هول مهول ، وشرح يطول ، من الصور ونفخته ، والنشر وروعته والصراط ورقته ، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيقه . فما يكون جوابك أيها المغدور ، إذا وقفت بين يدي العالم الغفور ، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟ فأظهر لك قبائحك ، ونشر لك فضائحك ، واستشهد عليك جوارحك ، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين ، وإن طالبك بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين . عفا الله عنا أجمعين ، وغفر لنا ذنبينا فهو خير الغافرين أمين رب العالمين . وأشدوا :

**من كان يرجو أن يعيش فإبني أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنها عرضت لكان سبيله أن يعشقا**

قبض أرواح الصالحين

ذكر في بعض الأخبار عن بعض السلف الأخيار عن النبي المصطفى المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه ، وهو التقى لأنه بالتقى كرم عليه ، دعا بملك الموت فقال اذهب يا ملك الموت إلى عبدي فلان فأتنى بروحه ليترتاح عندي فحسبني من عمله أني قد بلويه في السراء والضراء فوجده حيث أحب ، فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الأذفر وحريرها الأبيض فيهبط به ويهبط في أثره خمسينية ملك ليس منهم

ملك إلا و معه بشرة من الله تعالى إلى ذلك الولي ، وليس منهم ملك يدرى ما مع صاحبه من البشارة ، وليس منهم ملك إلا و معه صبائر^(١) من الريحان - يعني حزماً من الريحان - من ريحان الجنة ، فإذا هبطوا أحدقوا بولي الله ، وجلس ملك الموت عند رأسه و نفث في وجهه سم الموت فصرعه ويقول له : يا ولی الله ارتحل من الدنيا فليست لك دار و ليست لك بوطن ولا بد لك يا ولی الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك ، قال فملك الموت ألطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها . فإذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه أكب عليه الذين جاؤوا مع ملك الموت وهم خمسين ملك يخبرونه بالبشرة التي أرسلهم الله بها إليه ، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من صبائر الريحان الذي جاؤوا به ، فإذا خرجت نفسه لفها ملك الموت في ذلك الأبيض والمسك الأذفر ، ثم يخرج بها إلى السماء وتبث الملائكة الذين بشروا عند جسده عند أهله *

ملائكة الرحمة

إذا دنا من السماء تلقاء جبريل عليه السلام في سبعين ألف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فرج^(٢) به حتى يضعه بين يدي الجبار تبارك وتعالى ، فيقول جل جلاله وتعالى - ليس كمثله شيء - لجبريل عليه السلام اذهب فدع ولی الله في سدر^(٣) مخصوص^(٤) وطلع منضود . فإذا حمل الرجل إلى سريره هبط خمسين ملك آخر من سوى الذين جاؤوا مع ملك الموت فيجلسوا صفين ما بين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالإستغفار ، وإذا أدى في قبره وحثي عليه التراب وولي القوم جاءاته الصلاة

(١) صبائر : جمع صبرة ، أي حزمه .

(٢) عرج به : صعد به .

(٣) السدر : شجر النبق .

(٤) المخصوص : المقطوع شوكه المشتب .

فكانت عن يمينه ، وجاءه الصوم فكان عن شمالي وجاءه ذكر الله تعالى وتلاة القرآن فكانا عند رأسه ، وجاءه مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى وإتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجليه ، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلساً فيجلس في ناحية من نواحي قبره ، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتي عن يمينه ، فتقول له الصلاة إليك عندي لا سبيل لك عليه إنما استراحولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، ثم يأتي عن شمالي يقول الصيام إليك عندي لا سبيل لك إليه إنما استراحولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، ثم يأتي عند رجليه فيقول له مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى وإتباع الجنائز والصدقة إليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراحولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، قال فلما لم ير شيئاً انفعه ودخل في الموضع الذي خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء : أما إذا كفيتمني عذاب القبر فسأفككموه عند الميزان إذا نصب *

سؤال الملائكة

قال ثم يخرج الله إليه منكراً ونكيراً وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان القبور بأنياهما ، ويطآن في أشفارهما . كلامهما مثل الرعد القاصف ، وأبصارهما مثل البرق الخاطف ، وانفاسهما مثل لهب النار ، وألوانهما مثل الليل المظلم . فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول الله ربى وديني الإسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام ، وأناأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان له قد علمنا أنك ستكون مؤمناً فيفتحان له باب إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لأهل المعصية من النعمة والعذاب ، قال فيرفعتان ذلك الباب دونه ثم يقولان له لا تخف يا ولی الله^(١) من هذا الباب أبداً ، ثم يفتحان له باباً إلى الجنة فينظر إلى ما أعد الله لأهل طاعته من الخير الدائم المقيم الذي لا زوال له ولا

(١) ولی الله : حبيب الله .

* إنقطاع فيقولان له يا ولی الله هذا دارك وقرارك ومنزلك

نعميم القبر

قال فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيمة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها ويردها ويتوسعان له قبره مد بصره ، ثم يقولان له يا ولی الله نم فينام نوم العروس في حجالها حتى يعيش الله تعالى يوم القيمة إلى أزواجه وحرمه ، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة رب المصل على ذنبه إلى هذا الولي الذي صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه وأن أعماله الصالحة كانت جنوداً حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلأً إليه ؟ ولو لا قيامها حواليه لكان عذاب الله واصلاً إليه ، فلو لم يكن بطاعة الله عاملأً لم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلاً ، ومن لم يكن بينه وبين النار حائل ؛ فالهلاك والخرق له حاصل ، والعذاب والذل إليه واصل ، فكل من زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه فقد تعرض لهلاكه وعقابه ، لأنه لم يجعل حائلاً بينه وبين جسله وكل موضع أمر الله سبحانه وتعالى بإيقائه في كتابه ، فإنما هو تحذير من عذابه . وأشدوا :

الموت أهناً للمطيع وأصلحُ والموت أطيبُ للتقىٰ وأنجحُ
والموت أقرب للجنان طريقة والعبدُ يكرمه الإله ويمنحُ

سليمان وملك الموت

ذكر في بعض الأخبار أن سليمان عليه الصلة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت^(۱) وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه ، في بينما هو

(۱) سبق أن ذكر ابن الجوزي أن سليمان كان يزوره ملك الموت إذ كان صديقاً له دائمًا فكيف يتفق هذا مع هذا الخبر الذي يرويه ابن الجوزي من أن سليمان عليه السلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت .

قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير ليس يراه أحد إلا سليمان لم ير سليمان قط أتم خلقاً منه ، فقال يا عبد الله ما أدخلك داري ؟ قال أدخلنيها ربها ، أدخلني من هو أمليك لها منك ومني ، فعلم عند ذلك أنه من ملائكة الله ، فقال له من أنت من ملائكة ربى ؟ قال أنا ملك الموت . قال فسمعوا من كلامه جلبة فصعقن^(١) سليمان من خوفه ومن كان معه في البيت ، فقال ملك الموت يا رب إن عبديك سليمان ونبيك سالك أن تأذن لي بالدخول عليه وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى فألبسه من القوة ما يطيق النظر إلى . فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن ضع يدك في صدر سليمان ففعل فأفاق سليمان ومن معه بإذن الله تعالى ، قال سليمان يا ملك الموت أترى خلق الله في السموات والأرض مثلك ؟ فقال ملك الموت يا نبي الله والذى بعثك بالحق إن رجلي الساعة على منكبي ملك وذلك الملك هو الموت قد خرق قرناه السموات السبع وارتفع فوق ذلك مسيرة ألف عام ورجلاه قد جاوزا الشري بخمسمائة عام فاتحاً فاه رافعاً صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح ببساطاً يديه لو أذن الله له أن يقبضهما إلى صدره لضم السموات وما فيها وما عليهم ما خلا العرش ، وأن فوقه ملكاً قائماً قد أدخل رجليه تحت منكبي هذا الملك وهذا من فوقه مسيرة ألف عام فاتحاً فاه ، وأن شفته العليا متتصقة بالعرش والسلفى تحت الشري لو أذن الله تعالى له أن يضع شفته العليا على السفلى لأطبق ما بينهما في جوفه ، وأن الله ملكاً عنقه مثني تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلي هذين الملوكين مسيرة ألف عام يخرج الريح من أنفه لو أذن الله أن يتنفس لأدخل جميع ما خلق الله في السموات والأرضين في نفيه سوى العرش ، وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل ، وأن الله ملكاً ببساطاً كفه اليمنى منذ خلقه الله تعالى رافعاً صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلق ما خلا العرش .

(١) صعن : غشي عليه .

قال سليمان ﷺ : يا ملك الموت أكف عني فلقد وصفت أمراً أتخوف أن
تطير رحي ولا تثبت نفسي ولا أطيق سماعه ، فكف ملك الموت ، فعندها
قال سليمان عليه السلام يا رب متى التقى مع الأحياء ، يا رب قد أحببت
لقاءك والراحة من الدنيا . فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام .
وأنشدوا :

الموت مر العيش هم
فأي هذين لزم^(١)
وقد تعجبت إذ هنا لي
عيش وعندی بالموت علم
خوف المنايا والأرض سم
أنقل رجلي من كتل دار
والروح مستوفز^(٢) بجسمي
له على الإنقال عزم

فكانكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم ، ونغضن عليكم
شهواتكم ، ونقلكم إلى بيت الوحشة والضيق ، حيث لا ينفعكم حميم ولا
صديق ، ولا أخ شقيق ، ولا والد شقيق .)

نداء الموت

روي عن سلمان الفارسي^(٣) رضي الله عنه أنه قال : ما من يوم إلا
وملك الموت ينادي يا أهل الدنيا عجلوا لأن أهل القبور محبوسون من
أجلكم ، أتركوا ما جمعتم ، وخربوا ما بنيتم ، الويل لكم إن أدرككم الموت
على هذه الحالة ، زيتكم الدور ونسيتم القبور . أذكروا القبر ووحشته ،
والموت وسكتته ، والصراط ودقته . الموت سكرة في سكرة ، وحيرة في حيرة
وجذبة يا لها من جذبة . فالمسكين يكابد غصص المحنون ؛ داهش العقل

(١) في الأصل (لازم) وهذا خطأ .

(٢) مستوفز أي متحفظ متلهي للخروج .

(٣) سلمان الفارسي : كان من كبار صحابة رسول الله ﷺ ، ودخل الإسلام بقلبه وجوارحه بعد أن
كان مسيحياً .

كالمحزون . فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم ، وانتبهوا من نوماتكم ، واستيقظوا من غفلاتكم ، قبل نزول المنية ، وحلول الرزية ، ووقوع البلية . حيث لا مال نافع ، ولا حميم شافع ، ولا فرح واقع ، ولا رجاء طامع ، ولا حسنة تزداد ، ولا حياة تعاد ، ويزودك أحبابك بالصراخ ، ويكترون عليك البكاء والنوح ، فلا عشرة تقال ، ولا رجعة تناول . وأنشدوا :

ألا إن أيام الحياة مراحل
يسر بما يمضي لما هو أمل
وما يومه إلا غريم محكم
عجبت لمن يغنى السلامه جاهداً
ونحن بنو الأيام نظلم نفوسنا
ومن لحظ الدنيا بعين بصيرةٍ
طريق الفتى منها إلى الموت ساحل^(١)
ويأتي الردي (من) دون ما هو آمل
إذا ما اقتضاه نفسه لا يماطل
ومر السيالي كلهم غواصٌ
ونرجع وهي القاتلات الشواكلُ
رأي عينها في نفسه وهو شائل^(٢)

عظةٌ من الفضة

أيها الإنسان - وكلنا ذلك الإنسان - استيقظ من غفلتك ، وهب من رقتك . قد آن أن يدعى إليك الطبيب بجمع الدواء ؛ فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء . ثم يقال فلان قد أوصى وجميع ما له قد أحصى . قد تبرأ من الدنيا وعلاقتها ، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها . ثم ضعف جنانك ، وثقل لسانك ، وانقطع عن كلامك فلا تكلم إخوانك ، وكثرت خطوبك ، وعظمت كروبك ، إذا عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبيك ، واشتدت الأحزان ، وعلا صراخ النساء ، وحزن الصديق الودود ، وفرح العدو الحسود ، ثم يقال لك هذا ولدك الصغير وهذا الكبير ، وهذه بنتك الكبرى ، وهذه شقيقتها الصغرى ، فلا ترد عليهم جواباً ، ولا يستطيع لسانك خطاباً . ثم اشتد بك

(١) في الأصل (سابل) وهو خطأ وما صححه عثمان خليل أوضح وأقوم .

(٢) من شالت نعامة كنابة عن موته .

النزع والسياق ، إذا التفت الساق بالساق ، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف ، وعرج به إلى مولاك الرب الطيف ، يجازيك على ما قدمت في سالف الأيام ، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام . وأمر بك إما إلى جنة عالية ، ذات نعيم وخلود ، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود ، وزوودت من مالك حنوطاً وكفناً ونزلت في رمسك بعملك مرتهناً . وانصرف أهلك لقسمة ما خلقت من الأموال ، وما سعيت فيه من الحرام والحلال .
وأنشدوا :

| | |
|-------------------------------|--|
| أبقيت مالك ميراثاً لوارثه | فليت شعري ما أبقي لك المال؟ |
| ال القوم بعدك في حالٍ يسرهم | فكيف بعدهم صارت بك الحال؟ |
| ملوا البكاء فما يبكيك من أحدٍ | واستحکم القيل في الميراث والقال |
| مسالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم | وأدبرت ^(۱) عنك الأيام أحوال |

قال رجل من الصالحين : رأيت رجلاً قد مات وورائه يختصمون في ميراثه قبل أن تخرج جنازته ، فقلت هذه الآيات المتقدمة *

نداء الملك

ذكر في بعض الأخبار أن تحت العرش ملكاً ينادي كل يوم وليلة ، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر . فالله الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا ترحموا ، وأكرمواها قبل أن لا تكرموا . وأذكروا الموت وما بعده من عظيم الأحوال ، واستعدوا له بذخائر الأعمال وأنشدوا :

| | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| أرى الدهر لا يصفى إلى من لا يعاته | وأعتب ذيئاه على من يثالبه |
| ونحن نرجي الخلد في غير دارنا | وأين خلود المرء إن مات صاحبه |
| كأنما عطاشى والمنيء منهل | نسير إليه والليالي ركائبه |

(۱) أدبرت عنك : انصرفت عنك .

كفى سالباً للمرء يوم وليلة ومن يلبس الأيام فهي سوالبه
 فلا تأمن الدهر الخشون فإنما هو اليوم سلم ثم حرب عواقبه
 أيها الناس استعدوا لما خلقتكم له فإن الله لم يخلقكم عثاً وإنما
 خلقتكم لتعبدوه وتتوحدوا^(١) وليميتكم وبيعثكم بعد الموت ، وما رزقكم رزقه
 إلا ل تستعينوا به على طاعته . وما خلق الدنيا إلا للزوال ، وجعلها دار ابتلاء
 واختبار ، وسجنا لأوليائه ، وجنة لأعدائه . فراحة الأولياء الموت ، وعذاب
 أعدائهم الموت . لأن الأولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم ، والعيش المقيم
 والأعداء إذا ماتوا صاروا إلى العذاب الأليم . فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله
 الغرور . وأنشدوا :

ومتظر للموت في كلّ ساعة يشيد ويبني دائمًا ويحصل
 له حين تبلوه^(٢) حقيقة موقن وأفعاله أعمال من ليس يؤمن
 عيان كأنكار وكالجهل علم بمذهبه في كلّ ما يتيقن

حكاية عن واعظ

ذكر أن شيخاً من تلاميذه كان يجلس إليه أصحابه ، فإذا كان عند قيامهم
 عنه قال : قوموا قيام من قد ينسوا من المعاودة حذراً من القاطف للنفس ملك
 الموت ، ثم يبكي ويبكيوا حوله . وأشاروا :

وكن مستعداً لداعي المنو ن فكلُّ الذي هو آت قربت
 وقبلك داوي المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب
 يخاف على نفسه من يتو ب فكيف ترى حال من لا يتوب^(٣)

(١) التوحيد هو جماع العقيدة الإسلامية ، فمن قال لا إله إلا الله دخل الجنة .

(٢) تبلوه : من الإبتلاء وهو الإختبار .

(٣) الذي يتوب يخاف ويخشى لا يتقبل الله منه توبته ، فما بالك بال العاصي الذي لا يتوب ويموت وهو مصر على معصيته .

إن من الشعر لحكمة !!

خشية عيسى من الموت

روي أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماء من خوف هوله ! يا أخي يا غافل مثلي يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف الموت وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك ؟؟ فالله الله يا إخوانى لا تغتروا بصحة الأجسام ، وبداءمة الأيام ، فإن الموت يأتي في أهلى ما أنت عليه في الدنيا وأذ ما كنت فيه ، فلا الصحيح يدعه لصحته ، ولا الصغير يرحمه لصغره ، ولا الكبير يهابه لكبره . وأنشدوا :

وكم من صحيح بات للموت آمناً
أنته المنايا بغتةً بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتةً
فراراً ولا منه بحيلته امتنع
وقرب من قبر فصار مقيله
وفارق من قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغني لماله
ولا معدماً في المال ذا حاجة يدع

حديث في ملك الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن ملك الموت ينظر لوجه العباد في كل يوم سبعين مرة ، فإذا ضحك العبد الذي بعث لقبض روحه يقول له : يا عجباً لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تصاحك » فالعجب كل العجب بمن الموت يتطلبه ، والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين ، وهو يضحك ويلهوا . وأنشدوا :

ضحك الفتى من عجبه^(١) جهالة والموت يتطلبه حيثاً مسرعاً

(١) في الأصل : من عجب ولا يستقيم هذا .

والموت لا يدع الجھول لضھوكه إلا رماه بسھمه فتفجعا
 فتقلقت أوصاله لنزوله وتفتت العظم الصليب توجعا
 وبكى لفرقة ماله وعياله ومضى إلى دار البلى متضرعا
 فالله الله عباد الله لا يغرنكم طول الأمل^(١) ، وجدوا واجتهدوا وكونوا من
 الموت علىي وجل ، فإن للموت غاد ورائع ، وماس وصابع ، وأنت يا أخي
 منه على يقين وتحقيق ، فلم تحد^(٢) عن منهاج الطريق ؟ *

نداء للميّت

ذكر في بعض الأخبار أن الميّت ينادي إذا وضع على المغتسل : أين
 لسانك الفصيح ما أسكنك ، أين صوتك الشجي ما أخرسك ، أين ريحك
 العطر ما أنتنک ، أين حركاتك ما أسكنك ، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك ؟
 الويل لك إن كنت عاصيا ، والبشرى لك إن كنت طائعا ، وتناديه الملائكة إذا
 وضع في القبر يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك أنت جمعت الدنيا
 أم الدنيا جمعتك ، أنت استعددت للمنية أم المنية عانصتك^(٣) خلقت من
 التراب ، وأعدت^(٤) للتراب . وأنشدوا :

خلقت من التراب بغير ذنب
 فمالی لا أجاهد في خلاصي
 ومنها لا أمل ولا أنيب
 ومن نفسي علي غدا رقيب
 وفي كل القبائح لي ضروب
 وكם بالبر تسويفي ومطلي

(١) التعلق بطول الأمل في الدار الفانية من الحماقة ، وقلة في العقل ونقص في الدين .

(٢) لم تحد : لم تمل ولم تنحرف .

(٣) عانصتك : قلعتك ، وعنص بده : لواها .

(٤) أعدت : أرجعت .

فيا من ليس لي رب سواه علیم بالذی أدعو يجيب
 تجاوز يا إلهي عن ضعيف بغران لعلی عسى أتوب
 وهب لي ذلتی وعظیم جرمی فأنت الواحد الفرد القريب

 عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت ، وتفكيروا فيه قبل الفوت ، فوالله ما
 بين أحدكم وبين طول الأسف ، والندامة على ما قد سلف ، إلا أن تنزل به
 المنية ، غدوة أو عشبة ، فعظ نفسك قبل حلول الرزية . وقيل في قول الله
 تعالى ﴿وَأَنْفَقُوا مَا رزقناهم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ فَيَقُولُ رَبُّ لَوْلَا
 أَخْرَتْنِي إِلَى أَجْلٍ قَرِيبٍ﴾^(۱) قيل الأجل القريب عند كشف الغطاء ، يقول
 العبد عند الموت ، يا ملك الموت أخرني يوماً أعمل فيه صالحاً لنفسي ،
 فيقول ملك الموت : فنيت الأيام فلا يوم ، فيقول أخرني ساعة ، فيقول فنيت
 الساعات فلا ساعة ، فيقول أتركني أتكلم ، فيقول فرغ كلامك فلا كلام .
 فتلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فقطع الأوقات والأعمال ، ويبقى عدد
 الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتمد بصره ، فإذا كان في آخر
 نفس زهرت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة *

سؤال الرجوع للدنيا

وقيل أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله كقوله عز وجل
 ﴿فَأَصْدِقْ وَأَكْنِ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فالله الله بادروا قبل حلول الأجل ، وانقطاع
 الأمل من صالح العمل ، وفراغ الأنفاس ؛ وورود الأرماس^(۲) ولا ينفعك
 حبيب ولا حميم ، ولا ولد ولا والد رحيم ، قد أحاطت بك الخطوب ،
 وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك ، ونكح العدو أو الصديق عيالك .
 وأنشدوا :

(۱) المناقون ۱۰ .

(۲) الأرماس : جمع رمس وهو القبر .

أرى الأزواج تنكح إن هلكت
ولا يبقى الوداد بقلب خل
ويسانني الصديق فما يبالي
ويشمت بي رجال من سفاه
ولست بحاصل إلا على ما
في إذا العرش عفواً عن ذنوبي
وشفع في نبيك حين أدعى
ويقسم وارثي^(١) ما قد تركت
إذا انقطع الرجا مني ومت
أمر به ويعرض إن ذكرت
وما قد كنت قط بهم شمت
من الأعمال في الدنيا عملت
وعن زللي وما كنت اجتررت
غداة العرض إن تفعل نجوت^(٢)

روي عن رسول الله ﷺ أنه عرض عليه ما يصيب أمه من بعده فما رؤي ضاحكاً مستبشراً حتى قبضه الله تعالى *

٤٨٠٠ قبيلة

ذكر في بعض الأخبار أن الله تعالى خلق في الأرض مما برأ وذرأ ثمانية وأربعين ألف قبيلة ، فجعل في البحر ثمانية آلاف قبيلة ، وجعل بين السموات والأرض أربعين ألف قبيلة تحملها الريح ، ليس منها دابة صغرت أو كبرت في الأرض أو بين السماء والأرض إلا ومعها ملكان من قبل الله تعالى ؛ فملك يهيء لها رزقها بإذن الله ويسوّقها إليك ، وملك آخر يقودها بإذن ربها إلى مستقرها ومنقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابة ، فإذا استوفت أثرها ورزقها وبلغت أجلها قبض ملك الموت روحها . فسبحان من له الملك والتدبير .

عباد الله فالله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم فإن الموت يطلبكم بالليل والنهر ، والعشى والأبكار ؛ فاجتهدوا في الحسنات ، واجتنبوا في ليلكم

(١) ليستقيم الوزن يجب القول (ويقسم من ورائي) .

(٢) هذا البيت مكسور شطره الأول وهذه القصيدة من بحر الراقر ، ولو قال : - (وشفع في أحمد حين أدعى) لاستقام .

ونهاركم السียات . قبل نزول الموت والندم ، فالموت لا يترك ملكاً ولا أميراً ، ولا حاجباً ولا وزيراً . وأنشدوا :

قد صرف البواب والجاجب
وأصبح الصاحب من بينهم
واعتاضت الناھد^(٢) من بعده
وجد في تفرق مالم ينزل
فكن من الدنيا على أهبة
فإنها أم لأبنائهما

وقد رمان^(١) الدار والكاتب
بحيث لا جار ولا صاحب
الفا سواه وكذا الكاعب^(٣)
يجمعه وارثه اللاعب
يا زاهداً فيها ويا راغب
منها عدو قاتل سالب

رحمة الله بالمسرفين

ذكر في بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسروفاً على نفسه فلديع لجنازته محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته ، ثم حضرها فعوتب في ذلك فقال : لقد استحيت من الله أن أرى أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فصليت عليه . يا مسكين مثلي أعلم أنه إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذلة والصغرى . فنرجو إن شاء الله تعالى أن يعف عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة للذنب . وأنشدوا :

أفي كل يوم للمنية أقربُ وكل الذي آتيه يحصى ويكتبُ
فيما سواتا قد آن وقت ترحلني وهو وألعبُ
فإن لم تجد بالغفو منك عن الذي جنته يدي إذا لم خيبُ

ذكر أنه كان بالبصرة فتى وكان مسروفاً على نفسه ما ترك ذنباً إلا ارتكبه ، ولا شرآ إلا اكتسبه ، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعوا بعضهم وقال :

(١) قهرمان الدار : كبيرها ، ومديرها .

(٢) الناھد : الشابة التي يرز نهدتها .

(٣) والكاعب : الفتاة التي استدار نهدتها كالكعب ، ولم ينهد بعد .

إنه قد نزل بي ما ترى فإذا مت فادني في زاوية من زوايا بيتي فقد أذيت
جيرواني في حياتي وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتي . فرؤي بعد موته في
المنام في حالة حسنة فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال أوقفني بين يديه وقال يا
عبدي هجروك جيرانك حنقاً عليك ، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك ،
فوعزتي وجلاي وجودي ومجدي وارتفاعي فوق علو مكانى ما ضاقت رحمتى
عنك ، عبدى هذه خلع مفترى ومنازل جتنى وخاتم أمانى وسجل إحسانى
وأنا الغفور الرحيم *

حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمة الله قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه
ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين . فالله يا أهل الذنوب مثلى بادروا
قبل نزول السكريات ، ووقوع الحسرات واجتهدوا فإن الموت آت ، وكل آت
 فهو قريب . قد آن وكلما آن فقد حان . وأنشدوا :

آمل أن أخلد والمنايا^(١) يشنن إلي من كل النواحي
ولا أدرى إذا أمسيت حباً لعلي لا أعيش إلى الصباح^(٢)
عباد الله أيامكم مراحل تقطعنها ، وساعاتكم مناهم تردونها ، والموت
يطوف عليكم بالليل والنهار لا يؤخر من فقدت ساعاته ، وفرغت أيامه
* وأوقاته *

حكاية عن بعض الصالحين

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال : خرجت يوماً لزيارة القبور فإذا
بقوم يحملون جنازة فتقدمت إليها وصلبت بهم ثم شهدت دفنها فنعت نعسة

(١) المنايا : جمع منية وهي الموت .

(٢) وهذا معنى حديث رسول الله ﷺ إذا أصبحت لا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت لا تنتظر
الصبح .

فأثاني آت فقال لي : قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنبه ، فانتبهت
مرعوباً فأخبرت بذلك أم الميت فقالت : الحمد لله رب العالمين والله لقد كان
مسرفاً على نفسه ، فلما نزل به الموت بكى وقال لي يا أماه ضعي خدي في
الأرض والتراب ففعلت ذلك ، فقال ضعي قدمك على خدي وأدعني الله
واستوهبني منه فلعله يرحمني وإقلعي فص خاتمي وتصدقني بشمنه فعسى الله
يرحمني . فقلت لها قد غفر الله له ورحمه ، ثم أخبرتها بالذى رأيت . فالله
الله عشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتك فعساوه أن يرحمكم
ويتجاوز عن سيئاتكم . فذلك عليه يسير ، وهو على كل شيء قادر .
وأنشدوا :

رأيت المرأة تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد
ولا تجد المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
فلا تغفل - فديتك - عن منون تدور رحاء بالهول الشديد

فكأنكم بالأعمال قد انقضت ، وبالدنيا قد مضت ، فاستعدوا بذلك
الأعمال لما تلقوا من عظيم الأهوال ، وقد نودي فيكم بالتحويل ، وقد قرب
منكم الرحيل *

شاب عاص غفر له

حكى عن بعض الخائفين أنه قال : كان في جواري شاب وكان يتشاغل
بالبطالة والجهالة ما رأيته صاحياً من السكر قط وعهدني به البارحة وقد رفع
صوته على أمه في ساعتي هذه . فأخبرتني أنه أصبح ميناً من غير علة ولا
مرض ، وسألتني في كفنه فزجرتها وقلت الحمد لله الذي أراحنا منه ، فمضت
مدحورة فرق لها قلبي وقلت إن الرحمة لا تضيق على المذنبين من أمة محمد
ﷺ فبعثت من ساعتي في طلبها وعزيتها وصبرتها واشترت لها كفناً وحضرت
جنازته . فعرفني بعض أصحابنا أنه رأه في المنام وأنه سأله ما فعل الله به ؟

فقال قدمت على الله تعالى و كنت قد دخلت قبل وفاتي الحمام ، فرأيت شخصاً ميناً مقعداً ، فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال : غفر الله لك ذنبك كلها فصادفت دعوته إجابة فغفر الله تعالى لي وأنا في الجنة مع التعلق بالسنة غفر الله لنا أجمعين ، وأماتنا مسلمين ، وختم لنا بخواتم الصالحين ، إنه على ذلك قدير . وأنسدوا :

فالموت لا شك يفينا وفيها
والجار أحمد والرحمن عاليها
والزعفران حشيش نابت فيها
والخمر^(١) يجري رحيقاً في مجاريها
تسُبّحُ اللَّهُ جهراً في مغانيها
وجبريل ينادي في نواحيها
بركرة في ظلام الليل يحييها
حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
كذلك الموت يفني كل من فيها
والناس في غفلة عن ترك ما فيها
ما طاب عيش لها يوماً ويلهياها
شريعة الموت^(٢) تطوبنا وتطويها
من المعيشة إلا كان يكفيها
ثلاثة من يمين بعد ثانيةها
في البحر راسية ملس نواحيها

لا تأسفْ على الدنيا وحلّها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها
أرض لها ذهبٌ والممسك طيتها
أنهارها لبَنَ^(٣) محضٌ ومن عسلٍ
والطيرُ تجري على الأغصان عاكفةٌ
أحمد دلالها والرب بائعها
من يشتري الدار في الفردوس يغمرها
أين الملوك الذي عن حظها غفلت
أفني القرون وأفني كل ذي عمرٍ
والموت أحدق بالدنيا وزخرفها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها
تلهم وتأمل آمالاً تسر بها
والله لو قنعت نفسٌ بما رزقت
والله والله أيماناً مكررة
لو أن في صخرة صُمّاً ململة^(٤)

(١) أي لبن خالص .

(٢) خمر الآخرة ليس مثل الخمر الدنيوي ولكنها ذات مذاق خاص لمن اصطفى الله من المتقين ، فمن شربها في الدنيا حرم منها في الآخرة .

(٣) في الأصل : سريعة الموت وهذا خطأ .

(٤) ململة : أي مستديرة صلبة .

حتى تؤدي إليه كل ما فيها
لسهل الله في المرقى مراقيها
فإن أتيه ولا سوف يأتيها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أضحت خراباً وذاق الموت بانيها

رزق العبد يراه الله لا نفلقت
أو كان تحت طباق السبع مسلكها
حتى ينال الذي في اللوح خط له
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
تلك المنازل في الآفات خاوية

عظة للإعداد للموت

عبد الله قد آن وقت التحويل ، إلى الوقوف بين يدي الملك الجليل ،
فأنفاسكم معدودة عليكم ، وملك الموت قاصد إليكم ، يركبكم بكلكله ، ولا
بد لكم من منهله . يقطع آثاركم ، ويخرج دياركم . فرحم الله عبداً نظراً
لنفسه ، وقدم لغده من أمسه ، قبل حلوله في رمسه . وعمل في العمر
اليسير ، لليوم العbos القمطير ، وسأل المغفرة من السميع البصير ، الذي
هو على كل شيء قادر ، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير .

الموت ينتهي الخيار

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا تقارب الزمان إنقى الموت خيار
أمتى كما ينتهي أحدهم خيار الرطب من الطبق » فإنما الله وإنما إليه راجعون الذي
ذهب عنا الأخيار وبقينا في غمار مع الأشاراف فلا للموت نعمل قبل إتيانه ، ولا
أحد منا يقطع عن عصيانه . ما هذه أفعال المؤمنين ، ولا هذه سيرة
المؤمنين ، قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين ، وخدعنا بمكره وأغوانا أجمعين *

عمل الملائكة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد
ملكاً إلى السماء فقلًا ربنا وكلتنا بعده المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته
إليك فأذن لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله عز وجل سمائي مملوءة

بِمَلَائِكَتِي يَسْبِحُونِي ، فَيَقُولُنَّ فَأَذْنُ لَنَا أَنْ نُسْكِنَ الْأَرْضَ ، فَيَقُولُ عَزْ وَجْلُ أَرْضِي مَمْلُوَّةً مِنْ خَلْقِي ، فَيَقُولُنَّ يَا رَبِّنَا أَينَ نَكُونُ؟ فَيَقُولُ عَزْ وَجْلُ قَوْمًا عَنْدَ قَبْرِ عَبْدِي فَسَبَحَانِي وَأَحْمَدَانِي وَهَلَّلَانِي وَأَكْتَبَ ثَوَابَ ذَلِكَ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ أَمَّةِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَحْسِبَنَا بِهَذَا فَضْلًا ، وَكَفِى بِكِتَابِ مَوْلَانَا لِأَمْوَاتِنَا الْحَسَنَاتِ ، وَيَجْعَلُ الْمَوْتَ لَهُمْ كَفَارَةً لِمَا سَلَفَ مِنِ السَّيِّئَاتِ . وَأَنْشَدُوا :

فَقَدْ ماتَ مِثْلُكَ فِي مُثْلِهَا
عَلَى كُلِّ حَالٍ^(١) وَشَرِيكُونَ
فَمَا لَكَ تَلْعَبُ بِالْتَّرَهَا
تَوْتَدُ نَفْسَكَ مِنْ عَقْلِهَا
مِنْ الرَّشْدِ فِي بَرَهَا بِالْعُقُورِ
وَأَنْتَ تَخَالَفُ فِيهَا الْعَذْنُو
وَسِيفُ الْمَنِيَّةِ قَدْ سَلَهَا^(٢)
وَدُولَةُ ذِي الْعَزْمَةِ مَقْطُوَّةٌ
وَأَنْتَ تَغْفِلُ عَنْ عَذْلِهَا

إِلَى مَتِّي هَذَا الصَّدُودُ ، عَنْ طَاعَةِ الْمَلَكِ الْمَعْبُودِ ، وَالْغَفْلَةُ عَنْ بَحْرِ
الْمَوْتِ الْمُوْرُودِ ، فَارْحَمُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ التَّلْفِ ، وَأَبْكُوا عَلَيْهَا قَبْلَ الْأَسْفِ ،
فَإِنَّ السَّفَرَ بَعِيدٌ ، وَهُوَ الْمَطْلَعُ فَظِيعٌ شَدِيدٌ ، وَالْزَادُ قَلِيلٌ ، وَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ
طَوْبِيلٌ ، وَيَعْدُ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْعَبُوسُ التَّقِيلُ يَا أَخِي لِكُلِّ حَيٍّ قُوَّتْ وَأَنْتَ يَا
مَسْكِينُ قُوَّتْ الْمَوْتُ ، فَاعْمَلْ لِلْمَوْتِ قَبْلَ الْفَوْتِ . وَأَنْشَدُوا :

أَرَانِي فِي اِنْتِقَاصِ كُلِّ يَوْمٍ
وَلَا يَقْنِي عَلَى النَّقْصَانِ شَيْءٌ
طَوِيَ الْعَصْرَانِ مَا نَشَرَاهُ مِنِي
فَأَتَلَفُ جَشْتِي نَشَرَ وَطِيُّ
فَإِنَّ أَكَّ قَدْ فَنِيتْ وَمَاتَ بَعْضِي
مَدْلَأَةُ عَلَيَّ وَفِي عَيِّ
وَطِيرُ الْمَوْتِ حَائِمٌ لِقَتْلِي

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من أكثر الفكرة في الموت هُوَنَ الله عليه »

(١) على كل حال : أي في كل الأحوال .

(٢) في الأصل وأنت (ترقد) وهذا لا يستقيم .

سكراته ، وجعله منه على حذر ، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد » فالله الله قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون ، فإن أتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبداً ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا . فتفرغ يا مسكيين في اليسير من الأيام ، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام .

المبادرة بالتوبية

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أيها الناس بادروا بالتوبية قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه »^(١) .

الستني والزنديق

ذكر في بعض الحكايات أن رجلاً من أهل السنة لقي رجلاً زنديقاً قد نحل جسمه وتغير لونه وأدابه الخوف ، وكان الستني قوياً سميناً ، فقال له الزنديق . يا هذا صفت لي بعض ما تعتقد ؟ فقال : أعتقد الموت وغضبه ، وسكته وأهواله . فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشياً عليه فمكث ما شاء الله ثم أفاق فقال له زدني ، فقال ثم من بعد الموت القبر وظلمته ، واللحد وضجعته ، ومنكراً ونكيراً ؟ قال وما منكرا ونكيرا ؟ فقال ملكان أسودان أزرقان يطآن في شعورهما ، ويحضران الأرض بأنيا بهما ، وبيد كل ملك منها عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد في قبره ، قال وثم ما بعد ذلك ؟ قال هول البعث والشور والحساب والميزان والصراط ، قال وما الصراط ؟ قال هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف وأحر من الجمر عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كلوب عدد نجوم السماء من الزبانية ، لو أذن

(١) لأن الذي يذكر الموت أحرى به أن يتأهب له .

الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لأشرق بحارها وجبارها وإنسها وجنها وهوامها ودوايبها من حر نفسه ، قال له وما الزبانية وما جهنم ؟ قال الزبانية خلقوا من النار هم ملائكة العذاب ، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار أربعة آلاف سنة ، السنة أربعة آلاف شهر ، الشهر أربعة آلاف يوم ، اليوم أربعة آلاف ساعة ، الساعة أربعة آلاف نظرة ، النظرة الواحدة مقدار سبعمائة ألف سنة من سنين الدنيا . وهي سوداء مظلمة من دخلها طال بلاه وحزنه . قال له الزنديق : لقد عجبت من قلة عقلك ، هذا كله تعتقده وأنت سمين !! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذي ذكرته إلا بالموت وحده وقد أطال^(١) حزني وذاب جسمي ، وإنما أنت من عدد الانعام التي لا تعقل فالله الله إخوانني أشكروا الله على ما به أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلي جميع خلقه محمد ﷺ ، أخرجكم به من الضلال ، وأيقظكم به من سكرة الجهالة ثم أتحفكم بطيبات رزقه ، وفضلكم على كثير من خلقه ، فلا تستعينوا بنعمة على معاصيه فإن الموت لا بد منه وقد وعظكم الله .

وقال رسول الله ﷺ : « كفى بالموت واعظاً » فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه ، فإنه لا يدرى متى يقدم عليه . وأنشدوا :

وللموت سلطان عليك مسلط إذا حم لم يصرف بنهى ولا أمر
ودارك إما شقاوة أو سعادة ومالك من باب إليها سوى القبر
كفى عةة بالموت إن ركابه على سفر يهوي إلى حيث لا يدرى

رفق ملك الموت بالمؤمن

روي أن النبي ﷺ كان جالساً عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه

(١) في الأصل (وقد أبان حزني) ولم يلفظ تحريف .

فقال له « يا ملك الموت ارق بصحابي » ف قال له يا محمد أنا بكل مؤمن
رفيق^(١) . فالله الله لا تغفلوا عنم ليس يغفل عنكم ولا تننسوا الموت فإنه لا
يساكم ، وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال وهدانا وإياكم لصالح
الأعمال ، إنه الجoward الكريم المفضل .

(١) اللهم إجعلنا من المؤمنين المتدينين ، وارحمنا وألطف بنا وخفف عنا سكرات الموت .

١٢ - مجلس في ذكر القبور

قال الله سبحانه وتعالى ﴿الْهَامِ الْتَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر﴾ السورة مكية ، التكاثر يعني في الدنيا *

روت زينب بنت جحش عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا قرأ قارئ الهامِ التكاثر يدعى في ملوك السموات والأرض بمؤدي الشكر لله» *

حكاية في الخوف من الله

روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان رجل باليمين يقال له يعلى وكان مشركاً ليس له من الدنيا إلا قطيفة تواري عورته ، ويأوي بالنهار إلى ظل شجرة ، وبالليل إلى جحر الكلب ، فسمع بخروج النبي ﷺ فأقبل إلى النبي ﷺ وكان شاباً ، ترفعه أرض وتضنه أخرى حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقعد مع أهل الصفة^(١) يطعم القبضة من العجوة والكسر من خبز الشعير ، وكان لا يفارق مجلس النبي ﷺ حتى تعلم

(١) أهل الصفة ، هم فقراء من المسلمين ليس لهم منازل أقاموا بالمسجد وحرصوا على مجالس رسول الله ﷺ ، وكانت لهم صفة يجلسون عليها فنسبوا لذلك إليها وقد نسب الصوفيون أنفسهم لأهل الصفة وأنكر ذلك عليهم ابن تيمية رحمه الله ، فقال لو كان النسب صحيحًا لقيل (صفيين) وليس (صوفيين) .

أربع سور من القرآن فسمع النبي ﷺ يقول « لا فاقه بعد القرآن ، ولا غنى بعد النار » فقال يا رسول الله زوجني ؟ قال « أعندي مال !! » قال عندي أربع سور من القرآن ، ومن كان عنده الوحي وكلام الله فهو غني ، قال النبي ﷺ « صدقت فانطلق إلى بني سلمة - حي من الأنصار - واستخار الله فأول جارية تستقبلك فهي زوجتك فانطلق الشاب لا يدرى إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة ، فقال يا جارية أي حي هذا ؟ قالت بنو سلمة ، قال الشاب الله أكبر أنت أمراً تعلّى ، قالت ما أسفهك ! قال لست بسفيه ولكن أمرني بذلك رسول الله ﷺ . قالت الجارية إن كان أمرك بذلك رسول الله ﷺ فسمعاً وطاعة الله عز وجل ولرسوله ﷺ ولكن حتى اسمع منه ، فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبي ﷺ فإذا أبوها وأخوها فقلماً أين تذهبين ؟ قالت إن الشاب تعلق بي وزعم أنّي أمراً تعلّى فأنكرت ذلك عليه فقال كذا أمرني رسول الله ﷺ ، فانا معه إلى رسول الله ﷺ حتى اسمع منه ، فقلماً سمعاً وطاعة الله عز وجل ولرسوله ﷺ فانطلقوا جميعاً حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فتكلم والدها فقال : يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب أنك أمرته بما صنع بابتي ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم فزوجه ابنته على إسم الله وبركته » قال قد فعلت ، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبي ﷺ وأصحابه ، فقال النبي ﷺ « يا عشر المسلمين أعينوا أحكام » فجمعوا له أربعة أواق فضة ، فقال النبي ﷺ « لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان » فقال يا رسول الله قد جعلت أوقيتى لها أيضاً ، فقال النبي ﷺ للشيخ والدها « جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا » قال الشيخ سمعاً وطاعة الله عز وجل ولرسوله ، فجاء الشاب إلى رسول الله ﷺ فأمره أن ينصرف إلى أهله ، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش ، وللبي بساط ممدود ، وللبي زوجة جالسة ، وللبي سراج يزهر ، وللبي طعام قد هبى له ، فلما نظر إلى ذلك بادر^(١) إلى مكان في مجلسه فصلى فيه ركعتين شكرًا لله عز وجل لما رأى ، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى

(١) بادر : أخذ زمام المبادرة أي المسارعة .

السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته ، ثم جعل يقوم في خلال ذلك
 فيصلني ركعتين ثم يقوم إلى مثل حاله من الثناء فالشكر لله عز وجل لما رأى ،
 فلم يزل كذلك حتى أصبح ، ثم غدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ
 الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم رجع إلى منزله ، فلما عاين
 أهله وما هبّ له بادر إلى مسجده فصلى مثل صلاته في الليلة الأولى وجعل
 يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين حتى أصبح فغدا إلى المسجد
 فصلى مع رسول الله ﷺ ففعل مثل ذلك حتى تمت له ثلث ليال فجاء الشيخ
 في اليوم الرابع فدخل على ابنته فسألها عن زوجها وحالها معه ! فقالت لا
 أدرى ما زوجي ما يعرف غير الصلاة وهو الليل كله يحمد الله ويشكره عليه
 ويصلّي ، فجاء الشيخ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ
 « ما منعك من أهلك ! » فقال يا رسول الله تذكرة شأني و كنت مشركاً باليمين
 لم يكن لي مأوى الأجرح كحجر الكلب آوي إلى الليل والنهار أتبع ظلال
 الشجر والحيطان حين أخرج من جحري فهداني الله للإسلام وعلمني أربع
 سور من القرآن فشرح الله صدري بها ونور بها قلبي ، فلما زوجتني هذه
 الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسنها وجمالها ولم أر فراشاً قط منذ كنت ،
 ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لي سراج قط ، ونظرت إلى هذه الحالة
 فتدبرت إحدى سوري الأربع فزهدني الله فيها وما عندها ، فقال النبي ﷺ
 « وأي سورة هي ؟ » قال ﴿أَلْهَاكُم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف﴾^(١)
 ثم بكى وبكى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلما هدو وا قال الشاب : يا رسول
 الله خصني منك بدعة ، فقال « اللهم أغفر له الكثير ، وأشكركه على اليسير ،
 واغنه برحمتك » فلم تأت عليه جمعه حتى قيل للنبي ﷺ إن الشاب قد
 مات ، فقال النبي ﷺ « لا إله إلا الله إذا فرغتم من غسله أخبروني » فأخبروه
 فقال « هنينا لك الجنة » ثم سأله زوجته هل نال منها شيئاً ، قالت : لا
 والذي يعنى بالحق نبياً ما نال مني شيئاً *

(١) التكاثر ١ - ٣ .

حكايات عن الصالحين في الخشية من الله

قال ميمون بن مهران : دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يقرأ **﴿أَلَا هُوَ الْحَكَمُ التَّكَاثِرُ حَتَّى زَرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾**^(١) فقال : إنما يزورون المقابر بالموت ، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار *

وقال زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت **﴿أَلَا هُوَ الْحَكَمُ التَّكَاثِرُ﴾** يقول شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن ذكر الله وطاعته ، واللهو ما شغل . وأكثر ما يقال في البطالة **﴿حَتَّى زَرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾** بيوتكم . ويقال إن حيين من قريش تفاخرًا وتعادداً بالأموات كان منا فلان وكان منا فلان ، **﴿كَلَّا سُوفَ تَعْلَمُونَ﴾** يقول سوف تعلمون إذا متم **﴿ثُمَّ كَلَّا﴾** يقول ثم كلا سوف تعلمون في قبوركم وهو وعد مع وعيد فمعنى الأول غير معنى الثاني وليس ذلك بتكرير . قال الفراء : والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخييف . فهذا من ذلك . ثم قال **﴿كَلَّا﴾** أي كلا لا يؤمنون بالوعيد ، ثم استأنف وقال **﴿لَوْ تَعْلَمُوا بِإِيمَانِنَا﴾** يقول مخصوص اليقين ، وهو الذي لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم في الآخرة كقوله **﴿وَبِرَزَتِ الْجَهَنَّمُ لِمَنْ يَرِي﴾**^(٢) فالتكرار في قوله تعالى **﴿لَتَرَوْنَ الْجَهَنَّمَ﴾** في القيمة إذا برزت **﴿ثُمَّ لَتَرَوْنَاهَا عَيْنَ إِيمَانِنَا﴾** إذا دخلتموها . قال الفراء : هذا تكرار التغليظ ويقال **﴿لَتَرَوْنَ الْجَهَنَّمَ﴾** أي لترونها رؤبة علم **﴿ثُمَّ لَتَرَوْنَاهَا عَيْنَ إِيمَانِنَا﴾** بالمشاهدة **﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾** يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم ، فزعم قوم أن الآية في الكفار ، وقال آخرون بل هي على العموم في المؤمنين *

عن ابن عباس رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ *»

(١) التكاثر ١ ، ٢ .

(٢) النازعات ٣٦ .

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ «أول ما يحاسب به العبد يوم القيمة أن يقال له : ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد» .

وعن محمود بن لبيد قال : لما نزلت ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ : أي نعيم !! وإنما هما الأسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا . قال «أما إنه سيكون» ابن مسعود وقتادة وسعيد قالوا : الأمان والصحة . مجاهد قال : الخبز والماء والملح . إبراهيم التخعي : من سمي الله تعالى على الطعام حين يأكل ، ويحمد الله حين يفرغ فقد أدى شكره . الحسن قال : كانوا يعدون من النعيم في الدنيا أن يتغدى الرجل ويتعشى . علي رضي الله عنه : النعيم الرطب والماء البارد . أبو أمامة قال : النعيم خبز البر والماء العذب وقال النبي ﷺ : «طيب النفس من النعيم» أبو الدرداء رضي الله عنه قال : النعيم الشعير والماء العذب . محمد بن علي^(١) قال : النعيم العافية . وقال أبو عيسى مولى رسول الله ﷺ : مَرْ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ لَيْلًا فَدَعَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَرْ بِأَبِي بَكْرٍ فَدَعَاهُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَرَ بِعَمِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَعَاهُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ أَطْعَمْنَا بِسَرًا^(٢) فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ^(٣) فَوَضَعَهُ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرَبَ وَشَرَبُوا ثُمَّ قَالَ «لَتَسْأَلُنَّ عَنِ هَذَا يَوْمِ الْقِيَمَةِ» فَأَخْذَ عَمَرَ الْعَنْقَ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى تَنَاثَرَ الْبَسْرُ ، وَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَمُسْتَوْلُونَ عَنِ هَذَا يَوْمِ الْقِيَمَةِ ؟ قَالَ «نَعَمْ إِلَّا كَسْرَةً تَسْدِي بِهَا جَوْعَتَكَ ، وَخَرْقَةً تَلْفِ بِهَا عُورَتَكَ ، وَجَحْرٌ تَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الْقَرْ وَالْحَرِّ»

(١) محمد بن علي هو محمد بن الحنفية نسبة لأمه وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأمه كانت من بني حنيفة ، وكان مشهوراً بحبه لأخويه الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ولهمما معه ولهمما موافق ومتأثر ومناقب في حسن الخلق وطيب المعاملة ما يربو على الحصر .

(٢) البسر : جمع بسرة ، وهي طور من أطوار البلح وهذه الأطوار هي الطلع والخلال والبسر والرطب والتمر .

(٣) العنق : سباتة النخل .

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾^(١) قال الله تعالى ﴿الْهَاكِمُ الْتَّكَاثِرُ﴾ قيل معناها ألهاكم التكاثر في الدنيا بجمع الحطام ، واكتساب الآثام ، والتمادي في الإجرام . وأنشدوا :

أرضيت داراً لا بقاء لها تعد الشرور وتنصب الفتنة
ما يستقيم سرورُ صاحبها حتى يعودُ سرورُه حزناً
عجبأً لها لا بل لموطنها الـ مغدور حين يعدها وطننا
فالحمد لله اللطيف بنا ستر القبيح وأظهرَ الحسنة
ما تنقضي عنا له منْ حتى يجدد بعدها متنا

يا أخي اشتغلت باللذات ، وافنيت عمرك بالترهات ، وعصيت إله الأرض والسموات ونسرت بيوت الوحشة والحيرات . فيا له من بيت ما أظلمه ، ومن صندوق ما أغمه . منزل الوحشة ، وبيت الغمة والوحدة .
وأنشدوا :

وربما عوقص ذو صحة أصح ما كان ولم يسم^(٢)
يا واصعاً للميت في قبره خاطبك القبر ولم تفهم
حتى زرتم المقابر بيوت الوحشة ، ومنازل الضيق والغمة في ضيق
وكربات ، وغم وحسرات ، وأهوال مقطعات . من ظلمات القبور ، وسؤال
منكر ونكير ، والخلود في البرزخ إلى يوم النشور ، فانظر لنفسك أيها
المغدور ، فإن القبر له شأن يتلوه شعون وأنشدوا :

لا تغرنك الحياة^(٣) وقدم واحذر القبر إن للقبر شأن

(١) الإسراء ٣٦ .

(٢) لم يسم : لم يعرض .

(٣) سقطت من الأصل (الدنيا) بعد الحياة ، من نسخة عثمان خليل وهذا للتوصيب .

إِنَّ فِيهِ لَمَّا يُحَاذِرُ ذُو الْكَفَافِ
إِنِّي مُوقَنٌ بِمَا فِي كِتَابِي
إِلَيْهِ مَا وُضِعَتْ فِي ظُلْمَةِ الْلَّحْظَةِ
وَإِذَا لَمْ يَدْرِكْنِي رَبِّي بِعَفْوِ الْقَبْرِ ذَلَّةُ وَهَوَانَا

صفة القبر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ألا وإنه ليتكلّم في كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود » الله الله يا إخوانني اعملوا لهذا الضيق ، وجدوا في العمل باجتهاد وتحقيق . وأنشدوا :

كأني بإخواني على حافة القبر يهيلونه^(۱) فوقى وأدمهم تجري
عفى الله عنِّي حين أترك ثواباً أزار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى
فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة ، واعملوا ليوم النقلة ، واستعدوا لظلمة
القبر ما دمتم في فسحة ومهلة ، ولا تقطعوا أيامكم بالمحال ، وجنباً أعماركم
سوء الفعال ، فإن الموت نازل بكم ، والقبر أمامكم . وأنشدوا :

إني أ بشك من حديثي والحديث له شجون
ضيعت موضع مضجعي وقتاً ففارقني السكون
قل لي فأول ليلة في القبر كيف ترى أكون ؟ !

أشد ما على الميت

قيل إنه لا يأتي على العيت في قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت
فيه ، فمن تفقد ميته في أول ليلة بشيء من الصدقة ، ولا فليصل ركتعين

(۱) يهيلونه : يرسلونه .

وليهد ثوابهما لميته يرفع الله تعالى عن ميته ما يجد من الغم والوحشة ، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها . وأنشدوا :

بالله يا عين بوسعي وابكي علي ونوجي
غداً أؤسد قبري غداً أزور ضريحي
غداً نزوح^(١) الأحبة وتمعني أن تروجي

ذكر أن الميت إذا وضع في قبره وقال المشيعون : إنصرفوا آجركم الله يقول الميت - إن كان من أهل الشقاء - يا ليتني مع من انصرف لعظم ما يعاني من هول المطلع . يا أحبابي فإذا كان لأحدكم بيت ولم يسط فيه على ما يجلس جلس على التراب والأرض ، كذلك من لم يقدم لقبره عملاً صالحًا لنفسه بقي مستوحشاً وحيداً فريداً في رمه . وأنشدوا :

أنا في القبر رهين قد تبرأ الأهل مني
مسلموني بذنوبي خبت^(٢) إن لم يعف عنّي
فارحم اليوم مشببي وارحم اللهم سني
وارحم اللهم ضعيفي لا يخيب اليوم^(٣) ظني

عظة للنبي ﷺ

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان النبي ﷺ يعظنا أحياناً فيقول «تجهزوا لقبوركم فإن القبر ينادي كل يوم سبع مرات فيقول يا ابن آدم الضعيف ارحم نفسك في حياتك قبل أن تلقاني ، فإنك إذا لقيتني وكانت عملاً بطاعة مولاك رحمتك ورأيت مني السرور ، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك ، أنا بيت الدود مع الندامة الطويلة ، وأنا بيت الوحشة مع الجوع الشديد والشدة ، أنا بيت العطش مع الظلمة ، أنا بيت الضيق مع العقارب يا

(١) نزوح : مغادرة .

(٢) في الأصل (حيث أن لم يغفوا عنّي) وهي صحة أيضاً ، مثلها مثل (خبت) .

(٣) في الأصل (لا تجib اللهم ظني) وهو تحريف .

ابن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا فإن مركب عليٌّ وأنا أول منازلك إلى الآخرة ، فإن نجوت مني نجوت من كل شدة تتعرض منها ، يا ابن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شاباً لشبابه ، ولا صغيراً لصغره ، ولا كهلاً ولا شيئاً لكبره ، ولا أرحم إلا من رحم نفسه . وأنشدوا :

عجبت لمن يتم له السرورُ بداًر كل ما فيها غرورُ
وكيف يلُد ساكُنها بعيشِ ويعلم أن مسكنه القبورُ

يا ابن آدم لقد خلقت لأمر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك ، ولبان خشوعك ، وثارت دموعك ، خوفاً من القبر ووحشته ، ومن اللحد وضفته ، ومن هول المطلع وروعته . فامهد^(١) لنفسك يا مسكين بينما أنت حي وبينما يقبل منك (كل) شيء قبل طي الكتاب ، وغلق الباب ، ونزول الحجاب ، والرحيل إلى التراب . وأنشدوا :

لا تاتمن وإن أسيت في حرم إن المنايا تفاجيء كل إنسان
وأسلك طريقك وثبت غير منحرف حتى تلقيالجزء من عند رحمن
فكـلـ خـلـ وإن أشفقت تـرـكـهـ وكـلـ مـالـ وإن أـكـثـرـتـهـ فـاـنـ
والـخـيـرـ والـشـرـ مـقـرـونـانـ فـيـ قـرـنـ بـكـلـ ذـلـكـ يـأـتـيـكـ الـجـدـيدـانـ
فـفـكـرـواـ رـحـمـكـ اللهـ فـيـ أـحـبـاـبـكـ وـجـيـرـاـنـكـ وـأـصـحـاـبـكـ وـأـخـوـانـكـ
وـأـبـائـكـ وـأـمـهـاـنـكـ وـأـخـواتـكـ وـأـبـاعـدـ وـأـقـارـبـ ، وـذـوـيـ الـمـوـدـةـ وـالـأـجـانـبـ . قد
استـوـحـشـتـ مـنـ أـنـفـسـكـ الـدـيـارـ ، وـانـقـطـعـتـ بـيـنـهـمـ الـأـثـارـ ، وـيـقـوـاـ رـهـنـاـ فيـ
الـأـجـدـاثـ^(٢) بـالـأـوـزـارـ . قد هـجـرـهـمـ الـحـيـبـ وـسـلـاـ عنـهـمـ الـقـرـيبـ ، قد ضـيـقـتـ
عـلـيـهـمـ الـلـحـودـ ، وـسـالـتـ عـيـونـهـمـ عـلـىـ الـخـدـودـ ، وـتـمـزـقـتـ عـنـهـمـ الـجـلـودـ ، وـدـبـتـ
فـيـ أـجـسـادـهـمـ الـهـوـاـمـ وـالـدـوـدـ ، وـبـقـيـتـ أـرـوـاحـهـمـ فـيـ الـبـرـزـخـ^(٣) إـلـىـ الـيـوـمـ الـهـائلـ

(١) (فامهد) هكذا وردت في الأصل والاصح أن يقول مهد .

(٢) الأجداث : جمع مفرده جدث وهو القمر .

(٣) البرزخ : هو الحاجز بين شيئين ، وهو ما بين الدنيا والآخرة ويسمى الحياة البرزخية .

الموعود . لم ينفعهم ما جمعوا ، ولا حصّنهم ما بناوا وشيدوا ، ولا منعهم كلما صنعوا . صارت القبور لهم قراراً وفترت الأحباب عنهم فراراً . فانتبهوا يا معشر الإخوان ، واجتهدوا في طاعة الرحمن من قبل مفارقة الأحباب والأوطان . وأنشدوا :

هي الأحداث تطرق أو تعاد وكل للمنية في مهاد
وما يبقى الحمام إذا يوافي شديد البطش جبار القياد
فكم أسرى إلى ليث هصور^(١) وجبار من الأجناد عاد
فقل لأنخي السلامة عش ملياً فإن الكون داعية الفساد
وكن في العمر لقمان بن عاد وهاك حمام لقمان بن عاد
فإن المرء في أيدي المنايا أسيّر ما له منهن فاد

العبرة بالقبور

يا أنخي إذا أردت أن تدري كيف حالك من بعده فاخترج إلى القبور
 وأنظرها وقد عفت ، ومثل قبرك بين القبور . ثم أنظر ماذا تحتاج إليه في قبرك
 فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو العمل الصالح ، فإذا ما سوى ذلك فما لك
 حاجة في شيء من أمور الدنيا فإنه يصير عليك وبالأ في قبرك وحسرة ، وأنظر
 حالك الذي أنت عليه إن كان يصلح للموت والقبر فتمادي عليه ، وإن كان لا
 يصح لهذين فتب إلى الله تعالى منها وأرجع إلى ما يصلح . وأنشدوا :

كم تناسى القبور يا مغورو حفر ما بها ل العاص سرور
 وتعامي عنها وأنت تراها ورحاما على الأنام تدور
 فاتق الله حق تقواه واحذر كل هول يخافه المقبور
 ودع اللهو والبطالة واعمل للتى عاجلا إليها تصير

(١) ليث : أسد .

تلك دار البقاء فكلٌّ تقيٌ في رُبها مكرمٌ محبوٌ
ولعاصٌ مصر إن لم تنه رحمة الله بعدًّا مثبورٌ^(١)

دعاة لأهل القبور

كان بعض الخائفين إذا خرج إلى القبور لا ترقا^(٢) دمعته ولا يأكل ولا
يشرب ثلاثة أيام ويقول . ترى يا أحبابي ما لقيتم في بيوت الحسرات ، آنس
الله غربتكم ، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم ، وهؤن ما قدر عليكم
مولاكم إنه سميع قريب نعم المولى ونعم النصير . ثم يأخذ في البكاء
والتحبيب . فالله الله أبكوا قبل أيام البكاء ، واندروا قبل يوم الأسى .
وأنشدوا :

لأء بدنياه والأيام تنتهٰ والقبر غايتها واللحدٰ مأواهٰ
يلهُو ولو كان يدرِّي ما أَعْدَ لهٰ إذَا لَا حزنه ما كان أهلاهٰ
أو ما جنت يدهٰ لو قد تعرَّفَهٰ ويلهُ ما جنت كفاهٰ ويلهُ

اعلموا عباد الله أن القبور على الأموات توابيت مفولة ، والأعمال في
أعناقهم قلائد مجولة وأرواحهم بالغداة والعشي إلى الجنة أو النار محمولة .
وأنشدوا .

يا أيها الرجل المزخرف قبره ولعله في جوفه مغلولٌ
فيه الحوادث ما أقام نزول^(٣)
فالملك يفنى والنعيم يزولٌ
إلا يغرك ملكه ونعيمه
فاعلم بأنك بعدها محمول^(٤)
وإذا حملت إلى القبور جنازة

(١) مثبور : هالك .

(٢) ترقا : تجف .

(٣) نزول : أي نازلة به إذا حل .

(٤) هذه الأبيات فيها من السذاجة والبساطة ما يجعلها أقرب إلى التشر منها إلى الشعر .

يا إخواننا ماضي الأشوان ونحن على آثارهم فإننا لله وإننا إليه راجعون ،
قد عميت أبصارنا عن حقائق الأمور ، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور *

حكاية عن الأصمسي

يحكى عن الأصمسي رضي الله عنه إنه قال : مررت بأعرابي وهو واقف
على مقبرة فقلت له يا أخا العرب ما هذا الموضع الذي أنت فيه ؟ فقال :
هذا منازل أقوام عهدهم في رغد عيش نفيس ما له خطير
صاحت بهم ناثبات الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر
عبد الله من كان مصيره إلى القبر ما للفرح إليه سبيل ، والقبر يناديه كل
يوم يقول له لا بد لك مني فماذا قدمت لي من عمل صالح ؟ وأنشدوا :
أجأر الدهر ليس له جواز وحسن الظن بالدنيا اغترار
إذا ما رمت يوماً كان يوماً ونقص البدر غاية السرار
ودع حرص الجبان على حياة وأجمل إن عمرك مستعار
وذو الآمال منها في غمار وعند الموت ينكشف الغمار^(١)
ويرجو المرء أن يبقى سليماً وبائي الليل ذلك والنهار
وهل تخطي المنية نفس حيًّا وهاديه رواح وابتكار

حكاية عن الحسين

قبل كان الحسين رضي الله عنه إذا رأى القبور قال : ما أحسن ظواهرها
 وإنما الدواهي في بطونها . فالله الله عبد الله لا تشغلو بالدنيا فإن القبر بيت
العمل ، فاعملوا ولا تغفلوا وأنشدوا :

يا من بدنياه اشتغل وغرئه طول الأمل

(١) وهذا معنى قوله تعالى : - « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

أخي : لو رأيت الميت في قبره بعد ثلاثة أيام لاستوحشت من فقده بعد طول الأنس بناحيته ، ولو رأيت (كيف) تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلاط الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب . وأنشدوا :

غلب الرجال فلم تفهم القلـ
باتوا على قلل الأجيـ^(١) تحرسهم
واسكنوا حفراً يا بشـ ما سـكـنـوا^(٢)
أين الأـسـرـةـ والتـيـجـاـنـ والـحـلـلـ
من دونـها تـضـرـبـ الأـسـتـارـ والـكـلـلـ
أـينـ الـوـجـوـهـ التـيـ كـانـتـ مـحـجـبـةـ
فـأـفـصـحـ الـقـبـرـ عـنـهـ حـينـ سـاءـ لـهـ
قـدـ طـالـ مـاـ أـكـلـواـ دـهـراـ وـمـاـ نـعـمـواـ
فـأـصـبـحـواـ بـعـدـ طـولـ الـأـكـلـ قـدـ أـكـلـواـ

فيـ عشرـ الشـيـابـ ، تـاهـبـواـ لـلـغـدوـ إـلـىـ التـرـابـ ، فـإـنـ الشـيـخـ يـكـفـيهـ مـصـيـبةـ
الـشـيـبـ فـإـنـهـ يـمـهـدـ لـلـقـبـرـ . وـأـنـشـدـواـ :

ما لـلـشـيـوخـ وـلـلـفـدـ
وـالـلـاهـيـ وـالـبـكـورـ
وـهـمـ غـداـ أوـ قـبـلـهـ

نداء القبر لساكنيه

عبد الله ، ما من أحد لا مؤمن ولا فاجر إلا وقبره ينادي بكرة وعشية إما بالبشرى والسرور وإما بالويل والثبور ، فمن فكر فيه وفي وحشته ، وضيقه وغمته ، كان عليه أوسع من الدنيا وأفرج منها ، وأبد له الله خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله ، وجعل القبر خيراً من داره فأكثروا ذكره في الآباء

(١) قلل الأجيال : قممها وأعليها .

(٢) (ما سـكـنـواـ) مـخـالـفـ لـمـاـ وـرـدـ الرـوـيـ عـلـيـهـ مـنـ الـلامـ وـلـيـسـ النـونـ وـلـوـ أـنـهـ قـالـ (ما عـمـلـواـ)
لـاسـقـامـ الـوـزـنـ وـالـقـافـيـةـ .

والأوقات ، وأطعوا جبار الأرضين والسموات ، عساه يجعله لكم روضة من
رياض الجنات ، ويفيكم فيه الذل والحسرات . وأنشدوا :

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها الله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة وفيهم لك يا مغرور معتبر
كانوا ملوكاً تواريهم^(١) قصورهم دهرأً فوارتهم من بعدها الحفر
الدود يأكل أقواماً منعمة نعم ومن دونها الألواح والمذر
أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط هيات ضلت وحارث فيهم الفكر

بكر بن حماد

يحكي عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يوماً إلى القبور وجعل ينظر
إلى امتداد القبور ويفكر في الأحياء والإخوان ، والأصحاب والجيран . ثم
بكى حتى طال بكاؤه ويلت دموعه لحيته ثم جعل يقول :

زرتنا منازل قومٍ لا يزورونا إنا لفي غفلةٍ عما يقادونا
لو ينطقون لقالوا الجد ويحكم جدوا الرحيل فقد آوى المقيمونا
الموت أحدق بالدنيا وعزتها وفعلنا فعل قومٍ لا يمتوتونا
فابكوا كثيراً فقد حق البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكونا

فالله الله جدوا في العمل فإن القبر أمامكم ، والموت يطلبكم يفرق ما
جمعتم ويخرج ما قد بنيت بقطع الأنفاس ، وينقلكم إلى ضيق اللحدود
والأرماس ، فمن قدم إلى القبر عملاً صالحًا وجده روضة من رياض الجنان ،
ومن لم يكن له عملاً وجده حفرة من حفر النيران ، فاستعدوا له يا معشر
الأصحاب والإخوان *

روي عن محمد بن السمك رحمه الله أنه قال : مررت بالمقابر فإذا

مكتوب على قبر :

(١) تواريهم: تخفيهم وتغيبهم.

تمر أقاربى جنبات قبرى
كان أقاربى لم يعرفونى
وذو الميراث يقتسمون مالى
وما يألون^(١) إن جحدوا ديني
وقد أخذوا سهامهم وراحوا فيا الله أسرع ما نسوني !

عبد الله أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور ، وطاعة الشيطان المثير ،
واعملوا لضيق اللحود والقبور .

حكایة عن أَمْرِيْمُ بْنِ أَبِي الْحَوَارِي

حکی عن أَمْرِيْمُ بْنِ أَبِي الْحَوَارِي رَحْمَهُ اللَّهُ أَنْهُ قَالَ : خَرَجَ يَوْمًا
لِلْقَبُورِ فَذَكَرَتِ الْمَوْتَ فِي نَفْسِي وَالْبَلَاءِ فَرَأَيْتُ شَابًا بَيْنَ الْقَبُورِ قَدْ اسْتَفْرَغَهُ
الْخُوفُ وَالْبَكَاءُ وَهُوَ بَيْنَ الْقَبُورِ مُنْصَرِفٌ فَقَلَتْ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ أَيْهَا الْفَتَىُ ،
فَقَالَ . مِنْ هَذَا الْمِبْرَزَ^(٢) ، قَلَتْ وَأَيْ شَيْءٍ قَلَتْ لَهُمْ ، قَالَ : قَلَتْ لَهُمْ مَنْ
تَرْحَلُونَ؟ ، فَقَالُوا حِينَ تَقْدِمُونَ! . ثُمَّ وَلِيَ عَنِي وَهُوَ يَسْكُنُ فَتَبَعَتْهُ فَقَلَتْ لَهُ أَيْنَ
تَرِيدُ؟ فَقَالَ تَلْتَمِسُ الْعِيشَ ، فَقَلَتْ لَهُ كَيْفَ تَلْتَمِسُ الْعِيشَ بَيْنَ الْقَبُورِ؟ ،
فَقَالَ وَأَيْ شَيْءٍ هُوَ الْعِيشُ عِنْدَكُمْ؟ قَالَ الْمَالُ وَالْبَنُونُ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الْلَّذَاتِ
بِالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ، فَوَلِيَ عَنِي وَهُوَ يَقُولُ : أَفْ لِعِيشٍ يَعْبُدُ أَحْزَانًا ، وَنَدَاءً
وَأَشْجَانًا . فَقَلَتْ وَأَيْ شَيْءٍ هُوَ الْعِيشُ عِنْدَكُمْ؟ قَالَ إِنَّمَا الْعِيشَ عِنْدَنَا هُوَ
إِلَقْرَارُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَالْوُقُوفُ بِفَنَاءِ اللَّهِ ، وَالْخُضُوعُ بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَالْتَّلَذُذُ
بِحَلاوةِ مُنْاجَاةِ اللَّهِ ، فَهَنَاكَ تَزَدَّحُ عَلَيْكَ أَعْلَامُ الْفَوَائِدِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَجْمَيلُ
الْعَوَادِيدِ قَلَتْ لَهُ أَخْبَرْنِي عَنِ الصَّادِقِ اللَّهِ فِي حَبِّهِ مَنْ يَشْتَاقُ إِلَى لِقَائِهِ؟ قَالَ إِذَا
نَزَعَ اللَّهُ حُبَ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِهِ ، وَتَبَرَّمَ بِيَقَائِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ . فَحِينَئِذٍ يَشْتَاقُ إِلَى
لِقَائِهِ؟ قَالَ قَلَتْ لَهُ أَخْبَرْنِي عَنِ غَايَةِ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، قَالَ تَرَكَ الْحَلَالَ حَتَّى
لَا يَقْعُدُ فِي الْحَرَامِ ، قَالَ قَلَتْ أَخْبَرْنِي عَنِ غَايَةِ الرِّضَا بِاللَّهِ تَعَالَى قَالَ إِذَا كُنْتَ

(١) مَا يَأْلُونَ : مَا يَحْلِفُونَ مِنْ يَمِينٍ ، وَلَمْ يَأْلَ : لَمْ يَقْصُرْ .

(٢) الْمِبْرَزُ : الْمَكَانُ يَرْزُونَ فِيهِ .

راضياً بكل ما قدر الله تعالى وقضاه ، وأحکمه وأمضاه ، وأنه هو المتفضل ، على المتقين بفضله ، والخاذل لمن شاء بعده ، قلت له أخبرني عن غاية العبادة ؟ قال تجمع الهموم فتجعلها هماً واحداً حتى يستوي عندك العمran والخراب ، وتكون خائفاً من الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قلت له كيف النجاة من مخالفة الناس ؟ قال إنما الناس رجالان عاقل وجاهل ، فالعقل اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره ، وقام مجتهداً بطاعة ربه فهو لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك ، وأما الجاهل فلا يبالي كيف ما كان عليه . فعليك بالبراري والقفار ، والإستئناس بالواحد القهار ، قلت فمن أين القوت ؟ قال تهرب إلى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه ، ويسريعك حتى تهمه في رزقك إنه رزوف رحيم لا يسلفك . ثم تصافحنا وتفرقنا ودعا لي فما رأيت أنور قلباً منه . ووجد على قبر مكتوب :

تناجيك أجدادُ وهنَّ سكوتٌ وسكنها تحت التراب خفوتُ
فيما جامعَ الدنيا لغيرِ بلاحقةٍ^(١) لمن تجمعَ الدنيا وأنتَ تموتُ
عبد الله ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب فإن القبر لا يرحم من
ليس له عمل ، ولا يشفق على من غرّه طول الأمل ، ولا يحن على من ضيع
أيام المهل . وأنشدوا :

ما حال من سكن الثرى ما حاله ؟
أمسى ولا روح الحياة تصيبه
أضحي وقد درست محاسن وجهه
واستبدلت منه المحاسن غبرة
ما زالت الأيام تلعب بالفتى
والمال يذهب صفوه وحلاته
وتفرقت في قبره أوصاله (٢)
وتقسمت من بعده أوصاله (٣)
يوماً ولالطف الحبيب يناله
أمسى وقد صرمت (٤) هناك حباله

(١) غير بلاعنة: فوق ما يتبلع به أي فوق كفافه.

(٤) صرمت حباله: تهتك و تقطعت.

(٣) أوصاله: عروقه.

(٤) أوصاله الثانية ربما قصد بها معنى آخر مثل ماربه.

عيسى والمدينة الخربة

روي أن عيسى بن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى يا خراب الآخر بين أين أهلك ؟ فأجابه شيء من آخر القصر ، يا ابن مريم بادوا . فاجتهد ولا تفرط ، فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم في رقابهم . وأنشدوا :

قف بالقبور^(١) وقل على ساحتها من منكم المغموم في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قبرها قد ذاق برد الأمن من رواعتها
اما السكون لدى العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها^(٢)
لو جاويوك لأخبروك بأسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
اما المطیع فنازل في روضة يفضي إلى ما شاء من راحاتها
وال مجرم الطاغي بها متقلب في حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحة في شدة التعذيب من لدعاتها
عباد الله ما لكم لا تفيقون من غفلاتكم ، وتنتهون من نوماتكم ،
وتصحون من سكراتكم وتملون من شهواتكم ، وتدعون الكثير من لذاتكم .
وتذكرون هول المقابر ، والمصير إلى ضيق الحفائر ، فإن ملك الموت لا
يأتيكم إلا على أذ ما تكونون من طيب عيشكم ولذة دنياكم فبادروا قبل
مبادرته بكم . وأنشدوا :

بناء الفتى في لهوه وعنائه مبتخر يختال في ذاته
ففهمه في كل ما يدنه من شهواته قد غرر الأمل الكذوب
تركه ملقي الجسم بسكرة إذ جاءه ملك النفوس بسكرة
فتقطعت أسبابه وتخربت وتنكر المعروف في حالاته
لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى شقّ الجيوب عليه حين وفاته

(١) في الأصل (القصور) وهو خطأ لأن المقام هنا للقبور لا للقصور.

(٢) أي كلام سواسية.

ابن عباس وابن الخطاب

ذكر في بعض الأخبار أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قتل فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ، قال بماذا ؟ قال آمنت برسول الله ﷺ حين كفر به الناس ، وجالحت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، ومات رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف في خلافتك إثنان ، وقتل شهيداً . فقال له عمر رضي الله عنه : أعد علي ما قلت ، فأعاد عليه فقال : والذي لا إله غيره لو أن لي ما طلعت عليه الشمس وغرت لافتديت به من هول المطلع فإذا كان هذا قول عمر رضي الله عنه إمام السنة ، وحبيب الأمة ، وسراج أهل الجنة في الجنة ، قال هذا عند الفراق والإقطاع وأشدق من هول المطلع ، فكيف بأهل اللهو واللعب ، والبهتان والكذب ، أمثالنا الذين قطعوا أعمارهم في الذنوب ، وأفروا أيامهم في معصية علام الغيوب ، وغفلوا عن القبور ، ولم يتفكروا في هول يوم النشور ؟! والله أعلم وأشاروا :

أراني كل يوم في انتقاده وبعد لا يزول وطول هجر وأيامي تمر بغير شيء وعمر المرء في الأيام يسري
ألا خطوا على قبري كتاباً وقولوا قبر ذي ظلم وتغدر
أتنى الدنيا وفارقتها فقيراً وكل فتى على ذا النهج يجري
وقولوا حين أدفن أي عبد أتنى مولاً في ذلٍّ وفقرٍ
حكى عن داود الطائي رحمه الله أنه مر على امرأة تبكي على قبر وهي تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا أنت في القبر قد أخذوكا
فكيف أذوق لذيَّ الكرى وأنت بيمناك قد وسْلُوكا

قال داود : فلما سمعت تذكرت في الأحباب والأخдан ، والأصحاب
والأخدان ، لا يرى لهم آثار ، ولا على الأرض منهم ديار :

أمرٌ على القبور وأرتقيها كأني ليس لي فيها حبيبٌ
وأكره أن أسائلها فلاني أراها حين تسأل لا تعجبُ

عظة نفسية

عباد الله ما مضى من مضى إلى القبور الحالية من الأمم الخالية لتبقوا
بعدهم إلا النذر اليسير الذي بقى من أعماركم ثم تتبعون إلى القبور ،
وتخرجون من سعة القصور والدور . والحمد لله يا معاشر المؤمنين وجماعة
إخواني المسلمين جدوا واجتهدوا ، وبالعمل الصالح فاستعدوا ، وقدموا
لأنفسكم ما تجدوه في المقابر ، وابكوا عليها قبل حلولها في الحفائر .
وأنشدوا :

لكل أنسٍ مقبرٌ بفنائهم فهم في انتقامٍ والقبور تزيدُ
وفي محشر الموتى أمام قبورهم مما منهم من للحياة يعود
وأنشدوا :

المرء رهنٌ مصائبٌ لا تنتهي حتى يواري جسمه في رمسه
فمؤخرٌ يلقى الردى في أهله ومقدمٌ يلقى الردى في نفسه^(١)
تذكر أيها المغدور أباك وإخوانك ، وتذكر أهلك وجيرانك ، وتذكر
أحبابك وأخداشك أين الذين كانوا لك في الدنيا أحباباً ، وفي أيام حياتك
أصحاباً؟ صحبتهم وصحبوك ، وذهبوا عنك وتركوك ، وأوحشوا الأهل
والآحباب ، وفارقوا القرابة والأصحاب ، قد ضمت أجسادهم المقابر ،
وغيرت أبشرهم^(٢) الحفائر ، وبقيت أرواحهم تنتظر يوماً تبلّ في السرائر
فمنهم من يجازى بنعيم وخلود ، ومنهم من يرث النار وبئس الورد المورود ،
أين لقمان بن عاد ، أين ثمون وشداد ، أين فرعون ذي الأوتاد ، وأين من

(١) الردى: الهلاك والموت .

(٢) أبشرهم: جمع بشرة أي الجلد .

طغى في البلاد وأظهر فيها الفساد ، ذهبت^(١) والله تلك الأجناد ، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد ولا وساد . تذكر أيها الغافل أين الملوك الأكابر ، وأين الطغاة الجبار ، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر ، وقادوا الجيوش والعساكر ، وكانت الخطباء تذكرونهم على المنابر حوتهم والله التواب إلى الحفائر ، ويقروا مرتنهين بأعمالهم في ظلمات المقابر ، ونزلوا على ما قدموا من ذخائر الأعمال قد قطعت الديدان أو صاحبهم ، وغير البلاء أحوالهم . قد سالت العيون منهم على الخدود ، وصارت لحومهم قوتاً للهواه والدود ، وقسمت من بعد دفنهم في التراب أموالهم ، ونکحت من عدوهم عيالهم وأنشدوا :

لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحا
فظل حيران يذري الدمع سفاحا^(٢)
فرب دمع جري للخير مفتاحا
خوف القبور ستلقى الروح والرحا
كان في قلبه للنور مصباحا
واستبدلا بفساد الدين إصلاحا
لأنفساً من جميع الخلق مجتاحة
وإن تأخر عن تبكيتهم سحرا
إلا أعراضهم ذلاً وأتراحا^(٤)
هل تستطيعون لي بالرد إنصاصحا^(٥)
لما فقدتم من الأجساد أرواحا

هل كان قبلك للذات مرتاحاً
له عبد جنى ذنباً فأحزنه
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به
ورب عين رأها الله باكية
مستعبراً قلق مستيقظ فطن
يا صاحبي دعا^(٣) التسويف وبحكمها
لا تأمن وقوع الموت إن له
إن لم يبيتهم ناداهم سحراً
لا يترك الموت بيتأ حشو فرح
أهل القبور أبينوا عن قبوركم
ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم

(١) ذهبت: هلكت وانصرمت.

(٢) سفاحاً: مسفوحًا .

(٣) دعا: أي إتركا .

(٤) الأتراح: الأحزان .

(٥) هذا البيت غير مستقيم ولو أنه قال: - (لو يستطيعون لنا بالرد إنصاصحاً) لاستقام .

يعزز على بآبدان منعة أمسى بها الدود جوألاً وسواها
الناس في غفلة عما يراد بهم من كان ذا بصير فالصريح قد لاحا

حكاية عن ابن السمك

حكي عن ابن السمك رحمه الله أنه حضر يوماً جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه معاشر الإخوان لا متاهب لموت يوصف له ويراه أمامه ، لا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره ، لا شاب عازم قد بارز لمنيته ، لا من ليس بيغيره شباب مته ولا شدة قوته ، إلا شيخ قد بادر لانقضاض مده فشعر السير فيما بقي من رمه ، ماذا يتنتظر من دفن أباه ، وفراً أمّه وأخاه ؟ ما فرح من القبر ماواه ؛ والترب فراشه وغطاه . وأنشدوا :

الا إنما الدنيا بلاء وفتنة وبينما الفتى فيها مهاب مسد
إذا انقلبت عنه وزال نعيمها فأصبح من ترب القبور يمهد
فكن خائفاً للموت والقبر بعده ولا تكُ من غره اليوم أو غد

حكي عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال : دخلت على مريض وهو في شدة السكريات فقلت له كيف تجدى ؟ فبكى ثم قال :

رحلت عن الدنيا وقامت قيامتي غداة أقل الحاملون جنائزني
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كانهم لم يعرفواقط صورتي غداة أتى يومي علي و ساعتي

إخواني ما هذا لمن مضى ، بل والله لمن مضى ولم يبقى ، لا بد من القبر ووحشته ، ومن الموت وسكتته ، فانظروا لأنفسكم ما دام النظر ينفعكم ، وتفكروا في وحشة القبر ما دام التفكير يباح لكم ، من قبل وقوع

السكرة وننزل الحسرة ، وحيث لا تقال العترة . فإن الأيام غرور ، وهي طريق إلى القبور . وأنشدوا :

ما للمقابر لا تجب إذا دعاهن الليب
حفر يستر فوقهن من الجنادل والكثيب
فيهن أطفال وولدان وشبان وشيب
كم من حميم لم يكن نفسي بفرقته تطيب
غادرته في بعضهن مجدلاً وهو الحبيب

حكاية عن بعض الصالحين

حكي أن رجلاً من الصالحين رحمه الله حضر جنازة ، فلما وضعوا في قبرها وانصرف أهلها ، وقف على قبر صديق له فناداه يا حبيب . يا فلان الصديق فلم يرجه أحد ، فأنشأ يقول :

أحبيبِ مالك لا تجيب منادياً أنسٍت بعدي جملة الأحباب

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل^(٢) وتراب
أكل التراب محساني ونسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أحبابي
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم عقدة الأنساب

يا مسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم وأحبابكم وجيرانكم وأصحابكم
فاعتبروا^(٣) بهم وعظوا أنفسكم وأبكونا طول حياتكم ، أيام وحشتكم ، وبعد
رقدتكم ، وطول غربتكم وإنفرادكم في قبوركم ووحدتكم ، فعسى الله مولاكم

(١) أفال العثرة : أفاق وقام من سقطه وكتبته .

(٢) جنادل : صخور .

(٣) اعتبروا بهم : من الاعتبار .

أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بآنس كرامته ، وينورها بنور مغفرته ، ويجعلها لكم
أول منزلة من منازل الجنة ، وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة ، إنه المنان
الكريم ، المتفضل الرحيم *

موعظة ابن عباس

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إرحم ما يكون المولى
جل جلاله بعده إذا دخل قبره ، وتفرق الناس وأهله ، فمن أكثر من ذكره
وتجده روضة من رياض الجنة . وما من يوم إلا والأرض تنادي بخمس
كلمات ، يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني ، يا ابن آدم
تضحك على ظهري وسوف تبكي في بطني ، يا ابن آدم تفرح على ظهري
وسوف تحزن في بطني ، يا ابن آدم تذنب على ظهري وسوف تعذب في
بطني ، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وسوف يأكلك الدود في بطني ، يا
ابن آدم كم من محسود في حياته يود إذا نزل في حفرته لو كان كل ما جمعه
وخلفه لأعدائه وحساده . فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم ويكون هو
في قبره أو في رمهه مثوراً . وأنشدوا :

أخلق الموت جدائِي ومحا حسني الْيَلِي
صررت بين النعيم في منزل بعد والقلَّى^(١)
وجفاني أحبتي حين غيَّبت في الفلا

يا أخي تفكُّر في تلك الأكفان . وتغيير الروائع وصولة الديدان ، ونهش
العقارب والحيات ، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات . وأنظروا إلى
أحبابكم في بسط الأرماس ، كيف عدمو الأناس والحرّاس ، وانقطعت عنهم
الحركات وسكتت منهم الأنفاس وأنشدوا :

أتعمِّي عن الدنيا وأنت بصيرٌ وتتجاهل ما فيها وأنت خبيرٌ

(١) القلى : البعض والجفاء .

وتصبح تبنيها كأنك خالد
لقد كان فيما قد بلوت^(١) نذير
متى أبصرت عيناك أمر ولم يكن
يخبرنا أن البقاء يسير
فدونك فاصنع كلما أنت صانع
فإن بيوت المتقين قبور

حكاية عن الحسن البصري

يحكى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه نظر إلى جنازة قد وضعت في لحدتها فقال : يا لها من موعظة بلغة لو صادفت قلوبأ حية ، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذى نسب فرحاً . ثم أشار إلى امتداد القبور فبكى وقال : هؤلاء أهل محلة قد كفى من جلس إليهم شرهم ، وإن ترحم عبد عليهم وسل إليهم ما ترحم به . عباد الله اعلموا أن القبور متزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر . أيها المختلفون من بعد أخيه أنت الميت من بعده غداً والباقي بعده هو الميت في أثرك ، الأول فال الأول حتى يتوفوا جميعاً فكأنما بكم قد عتم الموت واستويتم جميعاً في سكراته ، وحللتكم جميعاً في القبور إلى يوم الشور . فالله الله نفكروا في طول البلاء في ظلمات بين أطباق الثرى . وأنشدوا :

أخي ما بال قلبك ليس ينقي كأنك لا تظن الموت حقاً
أيا ابن الدين فنوا ويدوا أما والله ما بادوا وتبقى
وما أحد بزادك منك أحصى وما أحد بزادك منك أشقي
وما للنفس عندك مستقر إذا ما استكملت أجلاً ورزقاً

تفكروا في الملوك العتاة ، والجبابرة والطغاة ، الذين عمروا الدنيا
وملكوها وأقطارها ، وسكنوا المشيد من قصورها ، كانوا أشد منكم قوة
وآثاراً ، وأقوى أجساماً وأطول أعماراً خلفوا ما كسبوا للأهل والأحباب ، وعمر
ديارهم من بعدهم الأصحاب ، وانصرم عنهم الليل والنهار ، ونزلوا على ما

(١) بلوت : من الابتلا، أي اختبرت .

عملوا من الأوزار ، فلو أبصراً تموهم بعد قليل في ظلمات القبور وقد تقطعت منهم الجلود ، وتمزقت الخدود ، وضيقت على أجسادهم اللحود ، واتخذ الخليل من بعدهم خليلاً ، وصارت أجسادهم للدود مقيلاً . فتفكر يا أخي وكن إلى التوبة مسرعاً عجولاً ، ولا تطع الشيطان إنه كان لإنسان خذلاً ، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان ، فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران ، ويدخلنكم برحمته الجنان . وأنشدوا :

إعمل لمثواك في الضريح
واندم على فعلك القبيح
ولا تقصر وفيك روح
فسوف تبقى بغیر روح
واقرح^(١) الخد من دموع
بالجد من قلبك القرير
والتمس الصفح قبل يوم
تنقل فيه إلى الصفيح^(٢)
يا نفس إني غداً طريحة
والترب يحشى على الطريق
نوحى فلو قد حواك قبر لم تقدري فيه أن تنرجي

أحبابي قوموا بنا إلى الحزن والبكاء وإلى طول الأسف والأسى ، لعل الله يرحمنا في ظلمات القبر وعسى ، فإن القبر ينادي في الصباح والمسا *

قيل وقف بعض الصالحين في المقابر وأنشأ يقول :

أغضاب أحبابنا أم رقود فإلى كم يكون هذا الصدودُ
إن تكونوا قوماً نياماً فهباوا كم تناموا عنّا ونحنْ قعودُ
أو تكونوا هجرتمونا بذنب كان مناً فإننا لا نعودُ

حكي عن بعضهم رضي الله عنه أنه قال : مات لي صديق فاغتمنت عليه لما كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة ، فرأيته بعد موته في المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول :

(١) القرح : الجرح .

(٢) الصفيح : صخور القبور .

أنا لكم إخوتي نذير
 من هول ما ضمت القبور
 وإنما يبتلى الخبیر
 عاينت ما لم تعاينوه
 جداً فقد أعنیز النذير
 إن الذي حل بي جليل
 فلا يغرنك الغرور
 فإنما أنت في غرورٍ
 والقبر والبعث والنشور
 فإن قدامك المنايا
 إما إلى جنة وإما إلى جهنم لها سير

ف الله يا معاشر الإسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام ، فإن أمامكم
 وحشة القبور بعد سكرات هول الحمام ، فمن ضيع في البطالة ، والجهالة
 أيامه ، وكثرت في صحفته أوزاره وأثامه فمقام الحسرة غداً في القبر مقامه .
 وأنشدوا :

أبصر وتب يا رجلُ
 قد أزف التنقلُ
 إلى محل (ضيق)^(١)
 تذهب فيه الحيلُ
 مالك فيه مؤنسٌ
 إلا التقى والعملُ
 أي غلامٍ قام في
 محرابه يبتهلُ^(٢)
 يقول في سجنته
 ودمعه ينهملُ
 يا ظاهر يا باطن
 إغفر ذنبي كلها
 فشأنك التفضلُ
 وتب على توبه وهي المنى والأملُ

نباش القبور

روي عن سعيد بن جبیر^(٣) رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس

(١) سقطت كلمة (ضيق) من الأصل وزادها عثمان خليل لاستقامة المعنى .

(٢) يبتهل : من الابتهاج وهو التضرع والدعاء .

(٣) من السلف الصالح الذين تعلمهم الحجاج بن يوسف الثقفي لعنه الله .

في مجلس ابن عباس رضي الله عنهمما إذ وقف رجل بين يديه فقال : يا ابن عباس : ما أذل العاصين بين يدي الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى يا ابن عباس : ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل ، وأشد تحليل من لم يوفق بالرحيل . قال ثم خرج . فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له : يا ابن عباس إن هذا الفتى نباش وإنما يتستر^(١) بهذه المقالة ، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتى من أكفانهم . قال ابن عباس : لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعيني وأمسنه بكفي . فقال له الرجل إن شئت لأريشك ذلك . فقال قد شئت . فلما هجم الليل إذا الفتى قد أقبل وفي يده اليمنى قنديل وفي اليسرى غل حتى توسط المقابر ، ثم رمى بطرفه شاصاً وقال : سلام عليكم أهل مضائق اللحود ، ومطعم البلاء والدود ، ما أبعد سفركم ، وما أوحش طريقكم ، فليت شعري ما حالكم أرتهتم بأعمالكم وقطعتم دون آمالك ، بل ليت شعري أنتم الحياة حل بكم ، أم فرح البشري بالقدوم على ربكم . سبقتمونا فلبيتم ، وأجبتم قبلنا إذ دعيمتم ، ونحن للقدوم عليكم متظرون ، وللمنهل الذي وردتموه واردون ، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه ، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه . ثم نزل في قبر قد احتفه لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادي ، يا ويلتي إذا دخلت في قبري وحدي ونطقت الأرض من تحتي فتقول لي لا مرحاً ولا أهلاً ، ولا سعة ولا سهلاً بمن كنت أمقته وهو على ظهري ، فكيف وقد صرت اليوم في بطني لأضيقن (عليك)^(٢) أرجائي ، ولأذيقنك مكروره بلا شيء . ويلي إذا خرجت من لحدي حاملاً وزري على ظهري وقد تبراً مني أبي وأمي . بل ويل من طول كذبي إذا أسمعني منادي ربي أين فلان بن فلانة فأبرزت من بين جيرتي ، وقد بدت إلى الناس سريرتي ، وقامت عرياناً ذليلاً ، وقادست كرياً طويلاً . ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدي جبار السموات والأرض .

(١) في الأصل (يشتر) وهي تحريف .

(٢) (عليك) زيادة ، على الأصل لاستقامة المعنى .

ويلي إذا وقفت أمام ربي فقال لي عبدي استرت بمعصيتي عن المخلوقين ، وبأرزني بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؟ ثم خرّ مغشياً عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال : يا ذخري ويا ذخيرتي ومن هو أعلم بطريقتي وسريرتي ، يا من عليه اعتمادي في حياتي ، ومن إليه ألجأ بعد مماتي ، لا تخذلني بعد الموت ، ولا توحشني في قبري يا سامع كل صوت ، فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتى وقف على شفير القبر وجعل ينادي ، ليك ليك حبيبي ما أنسشك للذنوب والخطايا ، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا . ثم التفت إلى الذي سعى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش ، فأرشده إلى ابن عباس ، فما أحبه إليه وأثره لديه ؛ يا ليت كل النباشين مثله . وأنشأ يقول :

قف بنا بالقبور نبكي طويلاً
ونداوي بالدموع داء جليلًا
فتعسى الدمعُ أن يبردَ منا
بعض لوعاتنا ويشفي الغليلًا
وننادي الأحباب كيف وجدتم
سكرة الموت بعدها والمقيلاً
لو أطلقوا الجواب قالوا وجدنا
سكرة ترك العزيز ذليلًا
بدلوا بعد القصور قبورًا
ثم بعد اللباس ردمًا ثقيلًا

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل ، وبادروا بانتوية قبل انقضاء الأجل ، واسحلوا في قلوبكم نيران الخوف والوجل ، وتزودوا للقبر بينما أنتم في فسحة ومهل ، فإن الموت آت ، وال عمر فات ، والطريق طويل ، وإنزاد قليل ، وهو القبر هائل ثقيل . وأنشدوا :

تضرع^(١) في دجى الليل إلى مولاك يكفيكَا
ولا تأمن هجوم الموت إن الموت يأتيكَا
كائي بالذي يهواك في القبر يدليكَا

(١) في الأصل أضرع وهذا لا يستقيم معه الوزن .

وقد أفردت في لحدك فرداً بمساويك
 وأسلمك الذي قد كان في الدنيا يصافيك
 فيا سؤلي وبما ذخري وكلخلق راجيك
 وبما من ليس منا أحد يحصى أياديك
 تجاوز عن مقال ثم حقق أمني فيك
 يا أخي قم بين يدي مولاك إذا دخل الليل البهيم ، وأسأله لعله يكفيك
 في قبرك العذاب الأليم .

حكاية عن ابن الأسود

حكي عن الحجاج بن الأسود أنه قال : رأيت في المنام كأنني دخلت
 في المقابر فإذا أهلها نائم في قبورهم وقد تشققت الأرض عنهم ، فمنهم
 النائم على التراب ، ومنهم النائم على القباطي ، ومنهم النائم على
 السنديس ، ومنهم النائم على الإستبرق ، ومنهم النائم على الحرير ، ومنهم
 النائم على الديباج ، ومنهم النائم على الياسمين والريحان ، ومنهم النائم
 كالمتبسس في نومه ، ومنهم حائل اللون ، ومنهم من قد أشرق نوره ، ومنهم
 من قد اشتد كربه ، ومنهم من قد اغتم في ضيق القبر ووحشته . فبككت في
 منامي مما رأيت ثم قلت : يا رب لو شئت لسوت بينهم في الكرامة ! فناداني
 مناد من بينهم يا حجاج هذا الذي تراه من تقاضل الأحوال إنما هي منازل
 الأعمال ، ولكل أمريء منهم ما قدم . فاستيقظت فرعاً مرعوباً . وأنشدوا :

تحرك إن قدرت وقم طويلاً فسوف يطول نومك في التراب
 وحقق ما تقول فأنت عبد تسأله ثم تطلب بالجواب
 وكفر ما عملت وكن مُجدداً وتب لله تسعد بالمثاب

عبد الله ليس لكم دواء من جميع أمراض الشهوات إلا التوبه ، والندم

على ما سلف وحسن الأوبة^(١) لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من
الضمائر ، وما طويتم عليه خفيات السرائر ، وينور لكم في ظلمات الأجداث
وضيق القبور ووحشة الحفائر . وأنشدوا :

نعت نفسها الدنيا إلينا فأسمعت ونادت ألا جدوا الرحيل وودعت
وزمت^(٢) مطايانا إلى بزخ البلى وساقت بنا سوقاً حيثاً فأسرعت
سلام على أهل القبور أحبتني لقد بليت أجسامهم وتقطعت
فما موت الأحياء إلا ليبعثوا يقيناً وتجزى كلُّ نفسٍ بما سعت

عبد الله ما لكم تدعون إلى الرجوع إلى الله فلا تجيرون ، والموت
والقبر فلا تذكرون ، فإنما الله وإنما إليه راجعون ، ذهب السامعون والواعظون .
ويقي الجاهلون والغافلون . فلا سامع يعي ويسمع ، ولا واعظ يداوي
ويتفع . كل قد شغل بالأمني والغرور ، ونسى الرحيل إلى القبور . ووجد
على قبر مكتوباً :

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| كلُّ حي مصيره ك المصير | لا تشق بالحياة من بعد قبري |
| فمضى وانقضى ك يوم قصير | كنت في نعمة وفي خفض عيش |
| وجفاني الصديق فوق القبور | ثم أفردت في القبور وحيداً |

حديث في منكر ونكير

روي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام ليلة الإسراء : « كفى
بالموت طامة »^(٣) فقال جبريل عليه السلام : ما بعد الموت أظم منه وأعظم .
فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك يا جبريل ؟ » قال الملكان الأزرقان الأسودان
يطآن في شعورهما ، ويخرقان الأرض بأنيا بهما ، بيد كل واحد منهمما عمود لـ

(١) الأوبة : من الإياب الرجوع .

(٢) زم البعير : خطمه .

(٣) طامة : كثيرة عظيمة غالبة .

ضرب به الجبال لقلعها من أصولها ، أعينهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، يبتلي بهما كل مؤمن وكافر ، فيأتيانه في قبره فيروعنه ويقعدانه ويعرضان عليه عمله ، ويريانه مقعده من الجنة أو النار . فقال ﷺ : « أما الكافر لهما أن يروعانه^(١) ويفعلان به ذلك ، وأما المؤمن فكيف ؟ » قال جبريل عليه السلام كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة من حين يدخل قبره ، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنبه في الدنيا فإذا خرج من قبره خرج مغفوراً له ثم لا يدرى روعة بعدها أبداً *

غورو

ذكر أن بعض الملوك بنى قصراً وشيده فأعجب بذلك وسرّ به ، فلما كان في بعض الليل سمع قائلاً يقول :

كأني بهذا القصر قد باد^(٢) أهله وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيد القصر من بعد بهجة وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديشه تنادي بليل معولات حلاله^(٣)
فخذ عدة للموت إنك ميت وإنك مسئول بما أنت قائله؟
فأجابه الملك وهو يقول :

أقول بـأنَّ الله حق شهادته فذلك قول ليس تخفي فضائله
فأجابه الهاتف وهو يقول :

(فوالله يا فدم)^(٤) إنك ميت وقد أرف الأمر الذي أنت نازله

(١) يروعانه : من الروع الفزع .

(٢) (١) باد أهله : هلكوا .

(٣) حلاله : جمع حلبة أي زوجة .

(٤) هذه الزيادة لنا حتى يستقيم الوزن . (الجميلي) .

فأجابه الملك وهو يقول :

متى ذاك حدثي هديت فإني سأفعل ما قد قلته وأعاجله ؟
فأجابه الهاتف وهو يقول :

تقيم ثلاثة بعد عشرين ليلة إلى منتهى شهر وما أنت كامله
قال فلم يتم الشهر حتى مات . وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

تمنت نفسه قصراً مشيداً يلد به ليعمره جديداً
فأخرجبه إلى جدث فريداً
فقل لذوي الترجم في الأماني ولا يبغون في التقوى مزيداً
تهابوا الموت إن له مجالاً
ولما تم عاجله حمام ولا يخشى الجيوش ولا الجنوداً
ويختطف الملوك ذوي المعالي

الملك الزاهد

حكي عن عباد المهلي أنه قال : كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبد ثم بعد ذلك مال إلى الدنيا وغرورها فبني داراً وشيدها وأمر بفرشها ففرشت الدار ونجدت ، وأمر أن يصنع طعام ودعا الناس إليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويسربون وينظرون إلى بنائه ويعجبون منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه ، فمكث بذلك زماناً حتى فرغ من أمر الناس ^(١) ثم أجلس نفراً من خاصة إخوانه فقال لهم : أترون سروري بداري هذه وقد حدثني نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثل هذه فأقاموا عندي أياماً استمتع بحديثكم ، فأقاموا عنده أياماً يأكلون ويسربون ويلهون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبني ، إذا سمعوا ذات ليلة هاتفاً يقول بصوت جهير :

يا أيها الرجلُ الناسِي منيَّه لا تأمنْ فإنَّ الموتَ مكتوبٌ

(١) أمر الناس : شئونهم وشواغلهم .

على الخلاائق إن سروا وإن كرهوا فالموت حتم الذي الآمال منصوب
لا تبنين دياراً لست ساكنها وراجع النسك كيما يغفر الحوب^(١)

قال فخرج وخرج أصحابه وراغبهم ما سمعوا ، ثم قال لأصحابه : هل تجدون ما أجد ؟ قالوا وما تجد ؟ قال أجد مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت ، ثم أمر بالشراب فأهريق^(٢) وأمر بالملاهي فانخرجت ثم قال : اللهم إنيأشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك إني تائب إليك من جميع ذنبي ، نادم على ما فرطت في أيام مهلي . ثم اشتد به الأمر فلم يزل يقول الموت حتى خرجت روحه ، وتفرق أصحابه عنه وأصحابه . وأنشدوا :

يا عجباً للناس لو أبصروا وحاسبوا النفس وقد فكروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر
والموعد الموت وما بعده حشر فذاك الموعد الأكبر
عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في وحشة يقرب
وجيفة آخره يفخر !؟ ما بال من أوله نطفة
أصبح لا يملك تعجيل ما في كلّ ما يقضي وما يقدر
وأصبح الأمر إلى ربّه لا فخر إلا فخر أهل التقى
غداً إذا ضمهم المحسرون

موعظة للبهلوان

حكى عن بعض السادات أنه قال : نظر إلى بهلوان وأنا أبني داراً فقال من هذا الدار ؟ ، فقلت لرجل من كبار أهل الكوفة ، فقال أرنيه فأريته إياه ، فناداه يا هذا لقد تعجلت الجنابة قبل العناية ، إسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عبد أزعج للرحيل كتب على

(١) الحوب : الظلم .

(٢) أهريق الماء : صبه .

نفسه كتاباً وأشهد على عقد ضمائره شهوداً هذا ما اشتري العبد الجافي من
الرب الوفي اشتري منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع ، فما
أدرك المشتري من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك . شهد على
ذلك العقد وهو الأمان والخواطر وذلك في إدبار الدنيا وإقبال الآخرة ، ولهذا
الدار حدود أربع ، فالحد الأول ينتهي إلى مبادئ الصفا ، والحد الثاني إلى
ترك أخلاق الجفا ، والحد الثالث ينتهي إلى مدارج أهل الوفا ، والحد الرابع
ينتهي إلى السكون والتسليم والرضا في جوار من على العرش استوى ، ولهذه
الدار شارع ينتهي إلى دار الخلد والسلام وخيم قد ملئت بالولدان والخزام^(١)
ليس فيها أسمام ولا ضر ولا آلام ، ولا يذوق ساكن هذه الأماكن سكرات
الحمام . يا لها من دار لا ينقضي نعيها ، ولا يبيد كريمها ، دار أست
 يجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود ، وجعل بلاطها من البهاء
والنور ، وعلى خيامها من جوار بهن كمل السرور ، من العين الحور ، ليس
لهن سوى الدين والتقوى مهور ، فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل
وهم على وجهه وجعل البهلوان ينادي خلفه ويقول :

يا ذا الذي طلب الجنان لنفسه لا تهربن فإنه يعطيك
وأنشدوا :

طاب المقام وطاب فيه نعيمه في دار عدن والجليل يراه
فأله الله يا عباد الله لا تغتروا ببناء الدور ، وتشييد القصور ، فعما قليل
تخر布 وتخرجون منها إلى ضيق اللحود وظلمات القبور وأنشدوا :

سلام على أهل القبور الدوارس^(٢) كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من باردة الماء شربة ولم يأكلوا من كل رطب وباس

(١) الخزام والخزامي : نبات طيب الرائحة .

(٢) الدوارس : جمع دراسة أي فانية .

*** في ما يعشر أهل الدنيا تفقدوا أهل القبور بالدعاء الحسن وتلاوة القرآن ***

حديث في هدية أهل القبور

فإنه روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من دخل المقابر وقرأ قل هو الله أحد عشر مرات وأهدي ثوابها للموتى ، غفر الله تعالى للموتى وأدخل في قبورهم النور والسرور ، ويكتب الله تعالى للقارئ بكل ميت مات من يوم أهبط الله آدم إلى الأرض إلى يوم القيمة عشر حسناً * »

الصدقة والدعاء للميت

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « أهدوا إلى موتاكم » قيل وما نهدي يا رسول الله إلى الموتى ؟ قال : « الصدقة والدعاء » وما من أهل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور ، فيقف على شفير القبر فيقول يا صاحب القبر هدية أهداها إليك أهلك أقبلها ، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شيء^(١) . فالله لا تغفلوا عن موتاكم ولا تسوهם من الصدقة والدعاء فإنكم تدخلون عليهم بذلك السرور ، ويعتبطون بها في القبور *

رجاء الأموات للأحياء

وقد جاء في الحديث أن الموتى يرجون الأحياء من الأحباب إلى رأس أربعين سنة ، فمن أيساهم أيامه رحمته ، ومن فرحمهم أكرمه تعالى بتحيته . وفقنا الله وإياكم للأعمال الصالحة ، وأعانتنا وإياكم على طلب الرغائب والخيرات آمين برحمة الله فإنه مجيب الدعوات وقاضي الحاجات ، ومقيل العثرات^(٢) . وصلى الله على من أخرجنا من الظلمات إلى النور

(١) وقد ورد هذا في السنة الصحيحة وأجمع عليه سلف هذه الأمة .

(٢) مقيل العثرات : الناهض من الزلات .

المطهر من الآفات ، المجتني من أطيب الثمرات ، وعليه منا أطيب السلام
والتحيات ، ما دامت الأرض والسموات ، آمين آمين فهو مجتب الدعوات
وقاضي الحاجات ، وغافر الذنوب والزلات ، آنس الله وحشتي ووحشتكم
في القبور ، وأنس روعتي وروعتكم يوم النشور وأحلنا وإياكم برحمته دار
السرور . آمين آمين *

١٣ - مجلس في فضل الصيام

قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبْ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ ﴾ أَيُّهَا الغافلُ عَنِ الثَّوَابِ الْكَثِيرِ ، وَالسَّاهِيُّ عَنِ الْمُلْكِ الْكَبِيرِ ، وَاللَّاهِيُّ عَنِ لِبَاسِ السَّنْدُسِ وَالْحَرِيرِ ، الْمُتَقَاعِدُ عَنِ الْيَوْمِ الْعَبُوسِ الْقَمَطِيرِ ، النَّائِمُ عَمَّا أَتَى بِهِ مُحَمَّدُ الْبَشِيرُ التَّذِيرُ ، الَّذِي أَنْقَذَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ جَهَنَّمْ وَحَرَ السَّعِيرِ . يَا غَافِلُ يَا سَاهِي أَتَاكَ شَهْرُ رَمَضَانَ ، الْمُتَضَمِنُ لِلرَّحْمَةِ وَالْعَفْرَانِ ، وَأَنْتَ مُصْرِرٌ عَلَى الذَّنْبِ وَالْعُصُبَانِ ، مُقِيمٌ عَلَى الْأَثَامِ وَالْعُدُوانِ مُتَمَادٍ فِي الْجَهَالَةِ وَالْطَّغْيَانِ ، مُتَكَلِّمٌ بِالْغَيْبَةِ وَالْبَهْتَانِ ، مُتَعْرِضٌ لِسُخْطِ الرَّحْمَنِ ، قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ قُلْبِكَ الشَّيْطَانُ ، فَأَلْقَى فِيهِ الْعَفْلَةَ وَالنَّسِيَانَ ، فَأَنْسَاكَ نَعِيمَ الْخَلْدِ وَالْجَنَانِ ، فَظَلَّتْ تَعْمَلُ أَعْمَالًا أَهْلَ التَّيْرَانِ فَإِنْ كُنْتَ يَا مَسْكِينَ كَذَلِكَ فَكِيفَ تَرْجُو الْفُوزَ بِالرَّضْوَانِ ، وَالْحَلُولَ فِي دَارِ الْخَلْدِ وَالْأَمَانِ ، وَالْخَلاصِ مِنْ دَارِ الْعَقْوَةِ وَالْهُوَانِ . وَأَنْتَ مُطَعْمَكَ حَرَامٌ ، وَلِبَاسُكَ حَرَامٌ ، وَلِسَانُكَ لَا يَفْتَرُ عَنْ قِبَعِ الْكَلَامِ وَبِصَرِكَ حَدِيدٌ إِلَى مَا حَرِمَ مِنَ الْحَرَامِ عَلَيْكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَيَدُكَ مَمْدُودَةٌ إِلَى مَا نَهَاكَ عَنِهِ الْمُلْكُ الْعَلَامُ ، وَقَدْمُكَ تَسْعَى إِلَى مَا هُوَ إِثْمٌ وَحَرَامٌ ، وَأَنْتَ فِي جَمِيعِ أَمْوَارِكَ وَأَفْعَالِكَ مُخَالِفٌ لِلْقُرْآنِ وَالْأَحْكَامِ ، تَارِكٌ لِسَنَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . فَجَسْمُكَ مِنَ الْجَوْعِ مَتَعْوِبٌ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْغَرَوبِ ، وَيَلْحِقُكَ النَّصْبُ وَالْلَّغُوبُ ، وَصُومُكَ عَنْ

مولاك بالطرد محجوب وأخاف أن تكون في النار على وجهك مكبوب ،
 لمخالفتك لعلام الغيوب . فخمص^(١) ويحك بطنك عن أكل الriba والحرام ،
 وأحبس لسانك عن الواقع في جماعة الإسلام ، وغض طرفك عما هو عليك
 أعظم من أعظم الآثام ، وهو النظر إلى ما لا يحل لك من حرم الأنام ، وامتثل
 ما أمرك به أحكم الحكام ، وقم بين يديه في الليل البهيم إذا هجع النوام ،
 وتضرع إليه إذا أدهم الليل بداجي الظلام . وحيثند يصح لك القبول لشهر
 رمضان ، وتفوز بالنعيم الأبدي في دار السلام ، وتنجو من الأهوال والعقاب
 الغرام . فليكن - ويحك - بصرك من النظر إلى المحارم معدولاً ، وسمعك عن
 سماع القبيح من القول معزولاً ويطنك من أكل الحرام محمولاً وقلبك بالفكرة
 في الحسنات والمعاد^(٢) مشغولاً ، وذكر مولاك وسيدك في لسانك
 مجعلولاً ، ومالك في طاعة العزيز الجبار مبذولاً ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
 كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسْئُولاً﴾^(٣) وقد أعلمك مولاك أن الشيطان كان للإنسان
 خذولاً ، فلم خنت عهد مولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلوماً جهولاً .

وأنشدوا :

| | |
|--|---|
| قابلوا بالمتاب شهر الصيام واجب حقه وקיד الزمام واقطعوا ليله بطول القيام ليس يخفى عليه فعل الأنام وخطايا من الذنب عظام عند عبد يراه تحت الظلام آمن في القيام خزي المقام | قل لأهل الذنوب والأثام إنه في الشهور شهر جليل وأقلوا الكلام فيه نهاراً وأطلبوا العفو من إله عظيم كم له فيه من إزاحة ذنب كم له فيه من أيام حسان كم له فيه من عتيق شهيد |
|--|---|

(١) خمس . جاع .

(٢) المعاد : يوم القيمة .

(٣) الاسراء : ٣٦ .

إن دعاء مذلل بخضوع
 أين من يحذر العذاب ويخشى
 أين من يستهني التذاذاً بحورِ
 إلتمس فيه ليلة القدر واترك
 واجتهد في عبادة الله واسأل
 يا لها خيبة لمن خاب فيه
 يا لها حسرة لمن كان فيه
 يا إله الجميع أنت بحالٍ
 وأمتنى على اعتقاد جميلٍ

وخشوع وダメعه (ذو سجام) ^(١)
 أن يصلى الجحيم مأوى اللثامِ
 في جنان الخلود بين الخيام ^(٢)
 إلتماساً لها لذى المِنَامِ
 فضلُه عند غفلة النُّوَامِ
 عن بلوغِ المنى بدار السلامِ
 ساتراً شره بثوبِ الظلامِ
 عالماً فاهدني سبيل القوامِ
 واتباع لسلة الإسلامِ

فضل رمضان

فالله الله عباد الله اغتنموا شهر المتاب ، وما وعدكم فيه من جزيل
 الشواب ، ومن العفو عن الأوزار وعتق الرقاب . وهو شهر لياليه أنسور من
 الأيام ، وأيامه مطهرة من دنس الآثام ، وصيامه أفضل الصيام ، وقيامه أجل
 القيام . شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شهر جعله
 الله مصباح العام ، وواسطة النظام ، وأشرف قواعد الإسلام ، المشرف بنور
 الصلاة والصيام والقيام ، شهر أنزل الله فيه كتابه ، وفتح للثائبين فيه أبوابه ،
 فلا دعاء فيه إلا مسموع ، ولا عمل إلا مرفوع ، ولا خير إلا مجموع ، ولا
 ضرر إلا مدفوع شهر السيميات فيه مغفورة ، والأعمال الحسنة فيه مسورة ،
 والتوبة فيه مقبولة ، والرحمة من الله لملتمسها مبذولة ، والمساجد بذكر الله
 فيه معمرة ، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسروقة . وأنشدوا :

أين أهل القيام الله دأباً بذلوا الجهد في رضا الجبار
 أنتم الآن في ليالي عظامٍ قدرها زائدٌ على الأقدار

(١) لو أنه قال (في انسجام) لكان أوفى .

(٢) (في الخيام) أصح من (بين الخيام) .

تأمينوا اليومَ من عذابِ النارِ
 لا يخافون سطوةِ الفهارِ
 شهرٌ زلفٌ وتبويةٌ وادكارِ
 واستجิروه من عذابِ النارِ
 صاديٌ واقلعوا عن الإصرارِ
 في خطایاه مكثراً الأوزارِ
 فاقتضى حمده سبیلُ الخيارِ
 ربکم جهرةٌ وفي الإسرارِ
 داءها بالرجوع للغفارِ
 ماحياً للذنوب والإصرارِ
 فاستزيدوا من العبادة فيها
 أين من يركب الذنوب اغتراراً
 قد أهل ال�لاّل من رمضان
 فاذكروا الله فيه ذكراً كثيراً
 وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب
 رب من كان مسرفاً مستمراً
 ثم إن الإله تاب عليه
 فاعملوا أيها المisionيون وادعوا
 واحذرزوا غفلة القنوط وداوروا
 تجدوا الله في المعاد كريماً

إخوانى هذا شهر ليس مثله فيسائر الشهور ، ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة في سائر الدهور ، الذنب فيه مغفور ، والسعى فيه مشكور ، والمؤمن فيه محبور^(۱) والشيطان وبعد مثبور ، والوزر والإثم فيه مهجور ، وقلب المؤمن بذكر الله معمور ، وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحل عنكم ، شاهد لكم وعليكم ، مؤذن بشقاوة أو سعادة ، أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مستثول ، من عند رب لا يحول ولا يزول ، يخبر عن المحروم منكم والمقبول . فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام ، واقطعوا ليه بطول البكاء والقيام ، فعلكم أن تفوزوا بدار الخلود والسلام ، مع النظر إلى وجه ذي الجلال والإكرام ، ومرافقة النبي عليه الصلاة والسلام . وأشدوا :

| | |
|--|---|
| بقلب من معاصيه معيب بلا عمل ولا قول مصيّب يؤديه إلى أجل قريب نفوساً ليس تألم للذنوب | إلا داع إلى الله المجيب إلا باك لأيام تقضى إلا باك على أمد بعيد فإن الموت يندبنا ويبغي |
|--|---|

(۱) محبور : مسروح .

تنادي للترحال كل يوم
 كأن يقينا بالموت شك
 وشهر الصوم شاهده علينا
 فيما رباء عفواً منك وألطف
 وهذا الصوم لا يجعله صوماً
 سلام الله ما هبت عليه
 ولا تصنفي إلى الداعي القريب^(١)
 وبنلني الحق بالإفك المريء
 بأعمال القبائح والذنوب
 بفضلك للمحير والكثير
 يصيرنا إلى نار الهيبة
 قبول أو شمال أو جنوب

عبد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة ، فلا تصرفوه عنكم بالسخط والنقمـة . لأنـه شهر عظيم ، زكي مبارك كريم ، من أطاع فيه الملك الجبار ، واتبع فيه السنة والأثار ، غفر الله له ما قد سلف من الذنوب والأوزار ؛ وخاصة برحمته من عذاب النار ، وأباحـه بلطـفـه دارـالـرـحـمـةـ والـقـرـارـ ، مع مجاـورةـ النـبـيـ مـحـمـدـ الـمـخـتـارـ ، صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ آـلـهـ السـادـةـ الـأـخـيـارـ ، وـمـنـ عـصـىـ فـيـهـ الـمـلـكـ الـقـهـارـ ، وـخـالـفـ الـقـرـآنـ وـالـأـثـارـ ، وـعـمـلـ بـأـعـمـالـ الـفـجـارـ ، وـلـمـ يـوـقـرـ شـهـراًـ عـظـمـهـ إـلـهـ السـتـارـ ، غـضـبـ عـلـيـهـ مـقـدرـ الـأـقـدـارـ ، وـلـعـنـهـ كـلـ شـيـءـ تـخـلـعـ بـالـلـيـلـ وـالـنـهـارـ ، هـكـذـاـ روـيـ عنـ الصـادـقـ الـمـصـدـوقـ مـحـمـدـ الـمـخـتـارـ ، قـالـ اللـهـ الـمـلـكـ الـجـبـارـ *

تقسيم الصوم

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقوون ﴾^(٢) الصيام ينقسم على أحد عشر ضرباً ، صيام الفرض^(٣) وصيام الظهار^(٤) وصيام النقل^(٥) وصيام الوطء في رمضان^(٦) وصيام

(١) الداعي القريب : داعي الموت .

(٢) البقرة ١٨٣ .

(٣) صيام رمضان .

(٤) الظهار : قول الرجل لأمرأته : أنت على كظهر أمي .

(٥) النقل : الانتقال من دين إلى دين الإسلام .

(٦) وهو كفارة عن هذه الجريمة .

كفارة اليمين^(١) وصيام فدية الأذى^(٢) وصيام التمتع والقران^(٣) وصيام إفساد الحج^(٤) وصيام كفارة قتل الصيد^(٥) وصيام التوافل^(٦) وصيام النذر^(٧) .
والأيام المنهي عن صيامها ستة ، يوم الفطر ، ويوم الأضحية ، وثلاثة أيام بعد أيام التشريق ويوم الشك^(٨)

الصوم اللغوي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ كِتَابًا عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ الصوم ضربان ، صوم لغوي ، وصوم شرعي ، فالصوم في اللغة هو الإمساك وكل ممسك عن شيء فهو صائم . ودم أعرابي قوماً فقال : يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفواحش . قال الله تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ يعني صمتاً . يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس ويقال صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة . قال الشاعر :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجَمَّا
أَيْ خَيْلٌ تَصْهَلُ وَخَيْلٌ لَا تَصْهَلُ *

صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع إلى اللغة لأن ما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمه الصوم في رمضان وفي غير رمضان ، فصوم اللسان ترك

(١) خاص للحج إن ترك شيئاً من أعمال الحج .

(٢) صيام فدية الأذى ثلاثة أيام .

(٣) من استمتع بجارته أو تزوج في الحج .

(٤)

إفساد الحج لأي سبب كان .

(٥)

قتل الصيد في مكة أيام الحج .

(٦)

صوم التوافل مثل الستة البيض .

(٧) من نذره لشيء ما .

(٨) اليوم الذي يشك فيه هل من شعبان أم من رمضان .

الكلام إلا في ذكر الله تعالى ، وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه ، وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى لأن النبي ﷺ قال : « من نظر إلى امرأة نظرة حراماً حشا الله عينيه يوم القيمة بمسامير من نار حتى يقضى الله بين الخلق ثم يؤمر به إلى النار إلا أن يتوب » وعلى كل نظرة لفحة من لفحات جهنم *

عقاب نظرٌ في الحرام

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال : نظرت يوماً إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى ، فرأيت في المنام كان القيمة قد قامت وقد نشر الخلاق في صعيد واحد وجيء بجهنم ونصب الصراط على متنها وقال الله تعالى لي جز يا عبدي فاقتصرت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهي فتأثير فيه هذه اللمعة ، فقال الله تعالى يا عبدي نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك . هذا في المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر ، ولم يغض البصر ؟ وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك بحق ولا ملك وأن لا تبسطهما إلا بما هو لله عز وجل رضي . وصيام البطن أن تخمسه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامي ظلماً . وصيام القدمين أن لا تسعى بهما في غير طاعة الله عز وجل لأنه قد قال رسول الله ﷺ : « من مشى في إفساء عيب أو كشف عوره لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله في النار ، وكشف الله عورته يوم القيمة على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر به إلى النار . وصيام الفرج القعود عن الفواحش لأن رسول الله ﷺ قال :

عقوبة الزنا

« من زنى بأمرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كاثنة من كانت من النساء فتح الله عليه في قبره ثلاثة باب من جهنم يخرج عليه منها حبات وعقارب من نار جهنم وشهب من نار فهي تحرقه وهو معدب مما يلقى

من حيات جهنم وعقاربها ويبعث يوم القيمة وهو يتاذى به الناس من ربع فرجه ثم يؤمر به إلى النار وهو يؤذى أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب » وقال ﷺ : « من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرخ رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسة وعشرين عاماً » وقال ﷺ : « عفواً عن نساؤكم » من فسد به ، وما من رجل زنى بأمرأة إلا جيلد بين يدي الله تعالى يوم القيمة ثمانين سوطاً من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو في مشيئة الله عز وجل *

آفات الزنا

وقال ﷺ : « الزنا يورث صاحبه ست خصال ثلاثة معجلات - يعني في الدنيا وثلاث مؤخرات - يعني في الآخرة - فاما التي في الدنيا فإنها تذهب بالباء ، وتورث الفقر ، وتقصـرـ العـمـرـ ، وأما التي في الآخرة فإنها توجب سخط الله ، وسوء الحساب ، والدخول في النار » .

وقال ﷺ : « مررت ليلة أسرى بي على أناس أمائهم موائد حسان وعليها لحم مشوي كأحسن ما يكون من الشواء ، وحولهم جيف أتنـنـ ما يكون من الجيف وهم يأكلون في الجيف ويتركون الشواء ، فقلت حبيبي جبريل من هؤلاء ، قال : الزناة من أمتك يا محمد تركوا ما أحل الله لهم ، وأقبلوا على ما حرم عليهم ، فالليوم يطعمون بما يكرهون ، ويحرمون ما يشتهون » ألا وإنه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحد الحدود وكذلك من عمل عمل قوم لوط حشره الله يوم القيمة أتنـنـ من الجيف يتاذى به أهل الجمع ، ثم يؤمر به إلى النار ، فإذا دخل النار أمر به فأدخل في تابوت من نار فيسمـرـ عليه مسامير فوق صفاتـ التـابـوتـ حتى يشدـ فيـ تلكـ المسـاميـرـ ، فـلـوـ وضعـ ماـ عـلـىـ عـرـقـ منـ عـرـوـقـهـ منـ الأـلـامـ والأـوـجـاعـ عـلـىـ أـرـبـعـمـائـةـ أـلـفـ أـمـةـ لـمـاتـواـ جـمـيـعـاـ ، وـهـوـ أـشـدـ مـنـ فـيـ النـارـ عـذـابـاـ . ومن تاب ورجع في حياته فإن الله يغفر له ولا يسألـهـ عنـ ذـلـكـ بـعـدـ وـفـاتـهـ . فـهـذـاـ صـيـامـ الـجـوـارـحـ وـهـوـ فـرـضـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ أـبـدـ الدـهـرـ فيـ رـمـضـانـ وـفـيـ غـيـرـهـ .

فَاللَّهُ أَللَّهُ عِبَادُ اللَّهِ صَوْمُوا جَوَارِحُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الطَّاعَاتِ تَفْوزُوا بِنَعِيمِ الْأَبْدِ فِي قَرَارِ الْجَنَّاتِ ، وَالْمُتَمَتِّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى^(١) جَبَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ .

الصوم الشرعي

والصوم الشرعي هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر، ويجوز صوم رمضان بنية في أوله. فهذا حد الصيام في اللغة والشريعة.

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ فِيهِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَأَصْحَابُهَا ... إِنَّ الْمَعْنَى فِرْضٌ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ كَمَا فِرْضَ عَلَى الْأَمْمَ الْمَاضِيَّةِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ، قَالَ مُجَاهِدٌ : هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ *

روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الأكل لم يطعم شيئاً إلى الليلة المقبلة؛ وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة، ورخص الله تعالى في ذلك لهذه الأمة *

وقيل إشارة الله تعالى بقوله : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ إلى الأمم الخالية وهذه الآية مدح لأمة محمد ﷺ لأن ما من أمة ولا نبي إلا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى أمه صيام شهر رمضان، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم. وقيل إشارة الله تعالى بهذا إلى النصارى وكانوا قد فرض عليهم إذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام حتى بعث الله محمداً ﷺ رحمة لهذه الأمة وفرض عليهم شهر رمضان، فبقي الأمر على تحريم الطعام والشراب بعد

(١) اللهم متنعنا بالنظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم .

النوم ، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع أربعون رجلاً في الأمر منهم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، جامعوا نسائهم بعد النوم *

حكاية الأنصاري

وجاء رجل من الأنصار يكفي أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بني النجار فصلى مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته : على رسلك ^(١) حتى أ suction طعاماً صنعته ، فذهبت ثم عادت إليه وقد نام من تعبه فقالت له : الخيبة الخيبة ، حرم عليك والله الطعام والشراب فبات طاوياً ^(٢) ، وأصبح صائماً وعمل في أرضه فأصابه من التعب ما غشي عليه فرأه رسول الله ﷺ يهادي بين رجلين فقال له : « مالي أراك أبا قيس طليحاً؟ » والطليح هو الضعيف - وفي لغة أخرى هو التمايل - فأخبره بخبره فرق له رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه ، وكانت قصة الأنصاري أولًا ، وكانت قصة عمر والأربعين رجلاً رضوان الله عليهم آخرًا ، فأنزل الله تعالى في قصة عمر وبدأ بها لأن الجناح في الوطء هو أكثر منه في الأكل *

قصة عمر بن الخطاب وغيره

فأنزل الله في قصة عمر رضي الله عنه وفي الأربعين رجلاً الذين وقعا في الوطء هذه الآية ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفت إلى نسائكم ﴾ ^(٣) إلى قوله ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ وقال الله تعالى في قصة صرمة بن قيس ﴿ وكلوا وشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ ^(٤) . وهذه رحمة من الله تعالى لأمة محمد ﷺ . وقيل إن

(١) على رسلك : بالكسر أي على مهلك .

(٢) طاوياً : جائعاً من الطوى وهو الجوع .

(٣) البقرة ١٨٧ .

(٤) البقرة ١٨٧ .

النصارى فرض عليهم صيام شهر رمضان في الإنجيل فكانوا يصومون شهراً فمرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة أيام ، فبرا فزادوا فيه عشرة أيام فكانوا يصومون أربعين يوماً ، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فأكل لحمًا فأوجع فاه فاشتكى فجعل عليه إن برأه يزيد فيه سبعة أيام فبرا فزادوا فيه ، ثم إنه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا اجعلوه في حين لا حر ولا قر فحجبهم الله تعالى عن فضل الشهر العظيم ، للإله الكريم الحكيم ، وجعلهم من أصحاب الجحيم ، وجعل ثوابهم لأمة النبي الرؤوف الرحيم *

الأعرابي المجتهد

روي عن النبي ﷺ أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس^(١) يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « خمس صلوات في اليوم والليلة » فقال هل علي غير هذا ؟ فقال : « لا إلا أن تطوع » قال رسول الله ﷺ : « وصيام شهر رمضان » قال هل علي غيره ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال له : هل علي غيرها قال « لا إلا أن تطوع » قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال النبي ﷺ « أفلح إن صدق »^(٢) .

ثواب الصيام

وروي عنه ﷺ أنه قال : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » فارغبوا رحمة الله في هذا الثواب العظيم ، والملك الجسيم ، وصوموا واحتسبوا ثوابه عند رب الرحيم ، فإنه شهر أنزل فيه القرآن من عند الملك الرحمن على النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

(١) ثائر الرأس : أشعث أغبر .

(٢) وفي رواية أخرى (أفلح الأعرابي إن صدق) .

فأرغبوا في فضله ، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولي العقول والألباب ؛ ولا
تعملوا أعمالاً من خالف السنة والكتاب مما تدرؤن أترؤن غيره أم لا .

فضل الصلاة على النبي

وقال رسول الله ﷺ : « أخبرني جبريل عليه السلام قال : يا محمد من
ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار أبعده الله .
قال النبي ﷺ آمين ؛ ثم قال جبريل عليه السلام : من أدرك والديه أو
أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعده الله ، فقال رسول الله ﷺ آمين ، ثم
قال جبريل يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له
فيه فدخل النار فأبعده الله فقال رسول الله ﷺ آمين ». فالله إياكم والمorts أن
يفجراكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره وقد فاز العاملون وخسر المبطلون *

صيام الدهر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال
فكأنما صام الدهر كله ». وفقنا الله وإياكم لأعمال البر برحمته . قال الله
تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم » ^(١) سماهم باسمه ورسمهم برسمه ، وشرفهم حين عرفهم فقال « يا
أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » سهل عليكم بذلك موارد الخطاب .
فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسماء
المؤمنين ، وأجل صفات العارفين ، وأعلا مقام المحبين ، فقال « يا أيها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » ثم زاد بياناً فقال « أيامًا » ثم زاد بياناً فقال
« معدودات » ثم زاد بياناً فقال « شهر » ثم بين أي شهر فقال « شهر
رمضان » ثم بين ورقق ويسر فقال « كلوا وشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط

. (١) البقرة ١٨٣

الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم بين تمامه فقال **﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ﴾** فكأنه سبحانه قال كتب عليكم الصيام أياماً في السنة ووعدتكم عليها المقام في الجنة ، كتب عليكم الصيام شهراً ، ووعدتكم الثواب دهراً . كتب الله الصيام على عباده وكتب الرحمة على نفسه ، كتب الصيام أياماً معدودات ، وكتب لكم على نفسه الحصول في الدرجات ، كتب عليكم أن تصوعوا شهراً وكتب لكم بالحسنة عشرأً *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام رمضان في إنصات وسكون ، وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والأذى اقترب من الله تعالى يوم القيمة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش إلا فرسخ أو ميل » شك عطاء بن يسار في هذا الحديث *

وروي عنه ﷺ أنه قال : « لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة » الاشارة في قوله تعالى **﴿أَيَامًا معدودات﴾** كأنه سبحانه يقول فريضتي عليكم معدودة ، وعطيتكم لكم (غير) محدودة ، عبادتكم لي بارة ونعمتي عليكم بارة طاعتكم من الحين إلى الحين ، وثوابي لكم أبد الأبدية . صيامكم لي من العام إلى العام ، وإياحتي لكم من الجنة أحسن المقام . اعلموا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حياكم بشهر الصيام ، وشرفكم بملة الإسلام ، وجعلكم من خير أمة أخرجت للأنام ، بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فلا تدنسوا شهركم بالإفك والزور ، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور ، تفزوا في الجنان^(١) بالولدان والمحور *

التوبة في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا

(١) الجنان : الجنة .

باب التوبية فإن الله تعالى قد وكل به ملائكة لا يغلقونه ما دام الصائمون
يصومون *

أحاديث عدّة في فضل رمضان

وروي عنه ﷺ أنه قال : « للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيقومون فإذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحد » *

وروي عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصفدت^(١) الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم^(٢) ، ويَا باغي الشر أقصر » *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله ملكاً رأسه تحت العرش - عرش رب العالمين - ورجلاه في تخوم الأرضين ، له جنان أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوطة حمراء ، والأخر من زبرجدة خضراء ينادي كل ليلة من شهر رمضان ، هل من تائب فيتап عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من طالب حاجة فيسuff ب حاجته .

يا طالب الخير أبشر ، ويَا طالب الشر أقصر وأبصر ». فأين أنت يا إخواننا من هذا التعيم المقيم ، وهذا الثواب العظيم ، من عند الإله الكريم ! ثم اجتهدوا في هذا الشهر تسعدوا في باقي الدهر ، واجتهدوا في هذه الأيام القليلة ، تفزوا بالنعم الجزيلة ، والراحة الدائمة الطويلة . اجتهدوا في شهر رمضان تفزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسان .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشيكم^(٣) الله فيه بالرحمة ، ويغفر فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ،

(١) صفت : قيدت من التصعيد وهو التقيد .

(٢) هلم : أسلوب نداء أي أقبل ، وينادي بها الواحد والجمع والمؤنث .

(٣) يغشيكم : يشملكم .

وينظر فيه إلى تنافسكم ، ويباهي بكم الملائكة ، فأدوا فيه أنفسكم خيراً فإن الشقي كل الشقي من حرم فيه رحمة الله تعالى ». فالله الله عباد الله إياكم والحرمان ، والتمادي في العصيان ، ولا ترضاوا في أديانكم بالنقصان ، في الشهر الفاضل شهر رمضان .

عظيم فضل رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لو يعلم الناس مالهم في شهر رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان » فقالوا يا رسول الله حدثنا به فقال . « إن الجنة لترى من الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كانت أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصدق ورق الجنان وخلق المصارح فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتترى الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين ، هل من خاطب لنا إلى الله فيزوجه ؟ ثم يقلن يا رضوان ما هذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية^(١) يا خيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان ، فتفتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ ، ويقول الله تعالى يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين والقائمين من أمة محمد ﷺ ولا تغلقها حتى ينقضي شهرهم هذا ، فإذا كان اليوم الثاني أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تفتحها حتى ينقضي شهرهم هذا ، فإذا كان في اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن أهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وعنة الجن وغلهم في الأغلال ثم أقذف بهم في لجع البحار كي لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صيامهم ، فإذا غلقت في شهركم أبواب النيران ، وفتحت أبواب الجنان ، وصفد فيه الملعون الشيطان ، فأولى أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان ، وأن يمنحكم بمنه وفضله دار الخلود والرضوان ، كما فضلنا بشهر

(١) التلبية : قول ليك اللهم ليك ، وهنا يلبي الحور العين أي يقول لهن ليك ومعناها إقامته على طاعتهن .

التجاوز والغفران ، وهو الكريم المتفضل المنان *

الصيام والقرآن شفيعان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيمة ، يقول الصيام رب عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفعني فيه ، ويقول القرآن رب عبدك منعته النوم بالليل وتلاذ وحرم النوم من أجلي فشفعني فيه فيشفعان » .

ويا أخي إذا كان شهر رمضان في القيمة شفيعاً فكن لولاك فيه عبداً ساماً مطيناً ، ول يكن قلبك عن معصيته رفيعاً^(١) .

الصيام باب العبادة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل شيء باب وباب العبادة الصيام »^(٢) وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن بباب فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجاباً . أين من يدل على طريق السعادة ! عسى أصل بعد النقصان إلى الزراية ، وألزم نفسي الإجتهاد في العبادة وأنشدوا :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| أطير إليه منشور الجناح | الا خيرا المقترن النواح |
| سيسلئ ما بقلبي من جراح | فأسأله وألطفه عساه |
| بنور هدى كمنسلخ الصباح | ويجلو مادجا من ليل جهلي |
| نهاني الله من أمر المزاج | سأصرف همتي بالكل عما |
| إلى شهر العفاف مع الخشوع | إلى شهر الخضوع مع الصلاح |

(١) رفيعاً : ساميأً راقياً .

(٢) لقوله تعالى في الحديث القدسـي : - « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » فالصوم لله سبحانه وتعالى وهو يجزي به عبده ، لأن الصوم هو العبادة الوحيدة الفريدة التي لا يمكن أن يشوبها الرياء ولا الشرك الخفي ، فهي بين العبد وربه وهو يجازي عبده بها وعليها .

بدار الخلد والحرور الملاح
وبالملك الكبير بلا براح
لهذا الشهر من قبل الرّواح
ويغفر زلي قبل افتضاحي

يجازي الصائمون إذا استقاموا
 وبالغفران من رب عظيم
 في أحبابنا اجتهدوا وجدوا
 عسى الرحمن أن يمحو ذنبي

فضل السحور

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « تسحروا فإن الله يحب المتسحرين
والملائكة تصلي على المتسحرين وتستغفرون لهم » .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « لاتزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخرجو
السحور » .

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن إذا قام في رمضان إلى السحور
فترضاً وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة ، فإذا فرغ
ودعا أمنوا على دعائه ، ويكتب الله تعالى له بعدهم حسانات ، ويرفع له في
الجنة بعدهم درجات ، ويمحو عنه بعدهم سيئات ، ثم لا يزالون يدعون
ويستغفرون له إلى يوم القيمة » فالله الله اغتنموا في هذا الشهر المكرم هذا
الثواب المعظم ، ولا تقطعوا نهاره بالغيبة وقبع الكلام ، وتغفلوا في ليله عن
طول القيام ، وتفطروا فيه على السحت والحرام . وتصوموا بجارحة واحدة
وتهملوا سائر جوارحكم في المعاصي والآثام » فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام .
وأنشدوا :

أتعصي بعد شيب الرأس جهلاً كما قد كنت تعصيه غلاماً
أراك من التهاون لا تبالي ولا ترعى الصلاة ولا الصياماً
وتفرح بالفطور ولا تبالي حلالاً كان كسبك أم حراماً
عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم ، المخصوص بالفضيل
والتكريم الذي بلغنا الله اليه في صحة من الأجسام ، وسلامة من عوارض
الأسمام ، فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التي سوغها ، وفضل هذه

الأيام التي بلغها ، أن يحفظها من التخلط والإلتباس ، وأن يكف أذاه عن جميع الناس ، وأن يحذر لغو الكلام ، ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام .

شدة العقوبة في رمضان

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « من سرق في رمضان أو زنا أو غصب أو انتهك حراماً أو شرب خمراً أو تعدى ظلماً لم يتقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول ». فكل من يؤذى في رمضان ويظلم على مثل ما يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم . فكم من صائم عن الطعام مفتر بالكلام ، دائم على القيام مؤذ للأئم ، فهو من لسانه وفعله موزور^(١) وعلى صيامه وقيامه غير مأجور . أين من زاغ عن الهدى ، ودار على سبيل الردى ، بل أين من رانت الذنوب على قلبه ، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه ، ولم يخف من عذاب ربه ، ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وأنظر لنفسك يا مسكين قبل أن تصل إلى حلفك السكين ، وانتبه من نومك يا مغرور فإن ربك كريم غفور . إلى أي وقت تعانق حوبتك^(٢) ، ولأي يوم تؤخر توبتك ، إلى حول حائل أو إلى عام قابل ، كلا والله ما إليك الأقدار ، ولا يدرك المقدار ، لعلك إذا انقضى عنك شهر الصوم ، لم يبق من عمرك إلا يوم يا هذا إذا أنت صمت فلتansom جوارحك كلها^(٣) ، بطنك من الحرام ، ولسانك من قبح الكلام ، وبصرك ويدك وسمعك من الإجرام ، واكتساب الآثام .

كُفُّ الجوارح عن الشرور

عبد الله ينبغي لمن أصبح صائماً أن يقول لسانه إنك اليوم صائم من

(١) موزور : محمل بالأوزار والآثام ، غير مأجور على صيامه لأن الله سبحانه وتعالى لم يتقبل منه .

(٢) الحوبة : النفس ، وشهواتها .

(٣) وهذا ما لا يحدث عند أكثر الناس مما يفسد صيامهم .

الكذب والنميمة ، وقول الزور والباطل والغيبة ، ولعینه إنکما اليوم صائحتان عن النظر إلى ما لا يحل لكما ، وللأذنين إنکما اليوم صائحتان من الإستماع إلى ما يكره ربکما ، وللليدين إنکما اليوم صائحتان من البطش فيما حرم عليکما من الغش في البيع والشراء والأخذ والعطاء ، وللبطن إنکما اليوم صائمة عن المطعم فانظري على ماذا تفطري وتجنبي المطعم الخبيث الذي تدعين إليه فإن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب ، وللقدمين إنکما اليوم صائحتان من السعي إلى ما يكتب عليکما وزره ويقى قبلکما تباعته وإثمها . ومن وقف لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبیه ﷺ . ومخاطبة ابن آدم لجوارحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها ما دام حيًّا ، وهكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء وفقنا الله وإياكم لاستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصة عاجلة بكرمه . فالله الله عباد الله امثلوا في هذا الشهر المكرم وفي غيره لأوامر الله تعالى وانتهوا عن نواهيه *

أصل رمضان في اللغة

قال الله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾^(١) فما جعله هدى فلا يكون ضلاله ؛ وما جعله بياناً فلا يكون جهالة ، وما ضعف فيه الأجر فلا يجعلوه بطالة *

شهر رمضان ، قيل سمي شهر رمضان لشدة الحر فيه^(٢) ، وقيل أخذ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعضة وال فكرة والإعتبار بأمر الآخرة . قال الخليل : الرمضاء الحجارة الحارة ، ورمضن الإنسان إذا مشي على الرمضاء ، فسمي رمضان بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها ، وقيل سمي بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلاً ، ويطهر القلوب تطهيراً . وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي قبل الخريف . وقيل رمضان ورفض بمعنى

(١) البقرة ١٨٥ .

(٢) وقيل أرض رمضان أي شديدة الإنهاك لشدة حرارتها .

واحد وهو من الحروف المتعاقبة ، يرفض قوماً إلى محل القرابة والزلفى^(١) ، ويرفض آخرين إلى محل بعد والسخطة . وقيل سمي شهرأ لشهرته . وهو شهر الإيقان ، وشهر القرآن ، وشهر الإحسان ، وشهر الرضوان ، وشهر الغفران ، وشهر إغاثة اللهفان ، وشهر التوسعة على الضيافان ، وشهر تفتح فيه أبواب الجنان ، ويصفد^(٢) فيه كل شيطان ، وهو شهر الأمان والضمان . شهر يخفف فيه عن المملوك . تزهر فيه القناديل ، وينزل فيه بالرحمة جبريل ، ويتلئ فيه التزييل ، ويسمح فيه للمسافر والعليل ، شهر رمضان للعباد مثل الحرم في أم البلاد^(٣) الحرم يمنع منه الدجال اللعين ، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين . شهر رمضان في الدنيا ، مثل الجنان في العقبي ، سدر مخصوص ، وطلع منضود ، وظل ممدود ، وملكه خلود ، متصل ليس بييد ، وفي رمضان بذل المجهود ، ورضي طلب المعبد ، وحفظ الحدود ، وإظهار الكرم والجود . أقبل الصوم يا مسكين ، وكلنا مساكين ، وأنت عاكف على ما يسخط الجبار ، مصر على الآثام والأوزار ، عامل بأعمال أهل النار ، متشبه بالنساك والأخيار ، وأنت في جملة الفساق والفحار ، وقد أطلع على سرك وضميرك عالم الضماير والأسرار . وشهر الصوم شاهد عليك ، والملاذكة تلعنك والله لا ينظر إليك ، وهو جل جلاله يعارضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك ، فلا يجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور . والله سبحانه ينظر من عبده إذا لم ير أثراً لشهر رمضان من ملكه لجوارحه ، يقول جل جلاله هذا عبدي لا يعرف لشهري هذا فضلاً ، وأنا لا أعلم الآن له عندي فضلاً *

عظة بلية

أفق يا ذا الغي والمحال ، واستيقظ ياذا السهو والإغفال ، وانتبه من

(١) الزلفى : القربي والتقرب .

(٢) يصفد : يقيد ومنه التصفيد أي التقييد .

(٣) أم البلاد : ويقال أم القرى وهي مكة .

السکرات الطوال . أتفرض يا مسکین أن يرد صومك في وجهك من غير قبول من الله ؟ أتستحسن أن تكون جائعاً عطشان وليس لك جاه عند الله ؟ أين النية المجردة ، أين التویة المجددة ، أين الندامة المؤکدة ، أين الحلال من الطعام ، أين اجتناب الطعمة الحرام ، أين حجر الأوزار والأثام أين الرحمة لذوي الفقر والضعفاء والأيتام ، أين الإخلاص للملك العلام ، أين التزام شریعة الإسلام ، أين الأسوة بالنبي عليه الصلاة والسلام ؟؟ أنظر يا مسکین إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع ، وأحييتك ليلاً بطول السجود والركوع ، إنك فيما تظن صائم ، وأنت في جهالتك جازم ، وفي صلاتك دائم ، وفي يحوار سکراتك هائم . أين أنت من التواضع والخشوع ، أين أنت من الذلة لمولاك والخضوع ، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزین في شهر رمضان ؟؟ كلاً والله حتى تخلص النية وتجردها ، وتطهر الطوية وتتجوّدھا ، وتجتنب الأعمال الدنية ولا تردها ، وتكثر البكاء والحسرة ، وتسلیل الدموع والعبرة ، وتلتزم الفكرة والعبرة ، وتسأل مولاك إقالة العترة ، فحيثما يكون صيامك لك من الذنوب شفاء ، ومن العيوب ستة وجلباباً . أين الصائمون ، أين القائمون ، أين الطائعون ، أين العاملون ، أين السابقون ، أين الخاسعون ، أين الذاکرون ، أين القانتون ، أين الصادقون ، أين الصابرون ، أين المتصدقون ، أين الأمرون بالمعروف ، أين المغیثون الملهوف ، أين الناهون عن المنكر ، أين المستشعرون للفکر ، أين السامعون للعبر ، بادوا والله مع الصالحين ، وانقلبوا مع المؤمنين ، ونزلوا مع النبيين ، وسكنوا مع الصديقين ، وبقينا والله مع الجاهلين ، وسكننا مع الفاسقين وتأسینا بالغافلین ، وأصلحنا على معصية رب العالمین . فصيامك يا مسکین في وجهك مردود وأنت عن رشدك مغیب مفقود ، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود ، وأنت عن باب مولاك بعد مطرود ، وأعمالك بالفسق موصولة ، وجوارحك للعصيان مبذولة ، وألفاظك في الغيبة مجعلة ، وعزيزتك للطاعة محلولة ، وعبادتك في هذا الشهر غير مقبولة ، وفرياض مولاك بالمعاصي مهمولة . وأنشدوا :

والصومُ خصَّ لمن يخشى من النارِ
 الخائفين من الأوزارِ والعوارِ
 (ربُّ) (١) رحيمُ لنقل الوزر ستارِ
 ثوابهم من عظيم الشأن غفارِ
 فأصبحوا في جنан الخلد قد نزلوا من بين حوي وأشجار وأنهارِ

فهنيئاً لمن أطاع الملك الرحمن ، في شهر الرحمة شهر رمضان ، لقد
 فاز بالحور والولدان في دار السلام (٢) والرضوان . صبروا الأيام القليلة ،
 فأعقبهم الراحة الطويلة ، والنعمة الجزيلة كلما تعودت من الخير وما تعمل في
 هذا الشهر ، جوزيت إلى آخر العمر ، فإن الخير عادة ؛ والشر لجاجة . أين
 أنت يا صائم يا قائم ، أقبل على الخير تفوز بسرور دائم . تاجر مولاك فإنك
 تربع وعامله فإنك تفلع ، واعتذر إليه فإنه يقبل عذرك ، واستغفره فإنه يغفر
 ذنبك ، وارغب إليه فإنه يكشف كربلك ، واسأله من فضله فإنه يوسع رزقك ،
 وتب إليه فإنه يعظم حظك يا أخي هذا شهر تستر فيه القبائح والعيوب ، وتلين
 فيه النفوس والقلوب ، وتغفر فيه الأوزار والذنوب ، وينفس الله عن الحزينين
 المكروب ، يقول المولى جل جلاله لملائكته يا ملائكتي أنظروا إلى الألسن
 اليابسة كيف تتبلّذ ذكري ، أنظروا إلى الأحداق (٣) الصلبة كيف تدمّع من
 خوفي ، أنظروا إلى الأقدام المنعمة تتصبّ في المحاريب ابتغاء وجهي يا
 أخي متى أطعّمت في هذا الشهـر لله رب الأرض والسموات رفعت إلى
 الدرجات العالية في قرار الجنـات ، وحصلت مع مولاك مكسيـاً من الحسـنـات
 عرياناً من السيـئـات *

تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة ، صوم الروح وهو قصر الأمل ، وصوم العقل وهو مخالفة

(١) كلمة (ربُّ) زادها عثمان خليل لتفوييم الوزن .

(٢) دار السلام : من أسماء الجنة .

(٣) الأصداق : جمع صدقة ، وهي سواد العين وإنسمها أيضاً (إنسان العين) .

الهوى . وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع . يا أخي من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة ، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة ، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضي ، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيب فهو صائم تقى ، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد ، ومن صام عن المنكر والإغياز وأفطر على الفكرة والإعتبار فهو صائم سعيد ، ومن صام عن الرياء والإنتهاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو سالم ، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غائم ، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقصير آماله فهو صائم مشاهد ، ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زائد . قال الله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَلَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى﴾^(۱) يا أخي هذه رحمة مولاك رضي أن ينقص من حقه لشأ ينقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك . رخص لك أن تفطر الأيام الطوال بالعذر ، ورخص لك أن تفطر متابعاً ، وتقضى إن شئت متفرقاً ليسهل عليك ، وتصوم الأيام القصار عوضاً عن الأيام الطوال ، وهذا الرفق *

تمثيل الشهور كإخوة يوسف

فيل الشهور الإثنى عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام . وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحبت الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحبت الشهور إلى علام الغيب *

نكت في ذلك

نكتة حسنة لأمة محمد ﷺ ، إن كان في يوسف من الحلم والعفو ما

. ۱۸۴ (۱) البقرة

غمر^(١) جفاهم حين قال ﴿لا تثريب^(٢) عليكم اليوم﴾^(٣) فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات ، والعتق من النار ، والغفران من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور ، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأذار *

نكتة حسنة ، الإشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمد़ين عليه في سد الخلل ، وإزاحة العلل بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل . فأحسن لهم الإنزال ، وأصلاح لهم الأحوال ، وبلغهم غاية الآمال ، وأطعمهم في الجوع ، وأذن لهم في الرجوع ، وقال لفتىنه أجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها ، فسد الواحد خلل أحد عشر . كذلك شهر رمضان واحد والشهر أحد عشر وفي أعمالنا خلل وأي خلل ، وتقصير وأي تقصير ، وتفسير في طاعة العليم الخبير . ونحن نرجو أن نتلافى (في) شهر رمضان ما فرطنا فيه فيسائر الشهور ، ونصلح فيه فاسد الأمور ، ويختتم علينا بالفرح والسرور ، ونعتصمه فيه بحبل الملك الغفور . إن شاء الله تعالى بمنه وإحسانه ، وعفوه وغفرانه ، إنه سميع بصير ، وهو نعم أولى ونعم النصير *

أولاد يعقوب ورمضان

وإشارة أخرى ، كان ليعقوب أحد عشر ولداً ذكوراً وبين يديه حاضرين ينظر إليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يbedo من أفعالهم ، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم ، وارتدى بقميص يوسف بصيراً ، وصار بصره منيراً ، وصار قوياً بعد الضعف ، بصيراً بعد العمى فكذلك المذنب العاصي إذا شرم روانه رمضان ، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن ، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان ، وترك الغيبة وقول البهتان ، يصير إن شاء الله مغفوراً له بعد ما كان عاصياً ، وقريباً بعد ما كان قاصياً ، ينظر بقلبه بعد العمى ، ويسعد بقربه بعد

(١) غمر : الغمر الكثير .

(٢) لا تثريب : لا لوم .

(٣) يوسف ٩٢ .

الستقا ، ويقابل بالرحمة بعد السخط ، ويرزق بلا مؤونة ولا تعب ، ويوفّق طول حياته ، ويرفق بقبض روحه عند الوفاة ، ويفضل بالمغفرة عند اللقاء ، ويحظى في الجنان بدرجات الإلقاء .

فأَللَّهُ أَللَّهُ اغْتَنَمْنَا هَذِهِ الْفَضْيَلَةَ ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ ، تَعْبُدُكُمُ النِّعَمَ الْجَزِيلَةَ^(١) ، وَالدَّرْجَةَ الْجَلِيلَةَ وَالرَّاحَةَ الطَّوِيلَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . هَذِهِ وَالرَّاحَةُ الْوَافِرَةُ ، وَالْمُتَزَلَّةُ السَّائِرَةُ ، وَالحَالَةُ الرَّاضِيَةُ ، وَالجَنَّةُ السَّرِيَّةُ ، وَالنِّعَمَ الْهَنِيَّةُ ، وَالْعِيشَةُ الرَّاضِيَةُ ، لَا تَنالُ إِلَّا بِالْوَقَارِ ، لَهُذَا الشَّهْرِ الَّذِي عَظَمَهُ الْجَبَارُ ، وَفُضِّلَ بِهِ مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ ، وَمَنْ لَا يَوْقِرُهُ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ *

رمضان في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال بمنى : « إذا كان يوم القيمة بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتي بشاب من أمتي والملائكة يضربونه وجهها ودبراً ، فيتعلن بي ويقول يا محمد المستغاث المستغاث بك ، فأقول يا ملائكة ربى ما ذنبه ؟ فيقولون أدرك شهر رمضان فخصى الله فيه ولم يتتب فأخذته الله فجأة ، فأقول هل قرأت القرآن ؟ فيقول تعلمته ونسيته ، فأقول بش الشاب بش الشاب أنت ، فلا هو يتركني ولا الملائكة يتذكرونك ، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول إلهي شاب من أمتي ، فيقول الله تعالى إن له خصماً قوياً يا أحمد ، فأقول ومن خصمك يا رب حتى أرضيه ؟ فيقول الله تعالى خصمك شهر رمضان ، فأقول أنا بريء من خصمك شهر رمضان ، ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان ؟ فيقول الله تعالى وأنا بريء منمن أنت بريء منه ، فينطلق به إلى النار » فالله الله عباد الله لا تهونوا شهراً عظيم الله حرمته وأوجب حقه وقد فضلتم به عن سائر الأمم ، وهو هدية من الله تعالى إليكم ، وكرامة تفضل بها عليكم ليغفر لكم ذنوبكم ، ويستر عن النار عيوبكم ، ويعشيقكم منه

(١) الجزيلة : الكثيرة ، يقال أجزل له العطاء أي أكثر في عطائه .

الرحمة ، ويرفع عنكم فيه النعمة . ويفضل لكم بجزيل النعمة ، ويشرح
صدوركم بنور الحكمة *

خسران العاصي في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « سمعت جبريل يقول سمعت الله عزوجل يقول يؤتي بشاب يوم القيمة باكيًا حزيناً والملائكة تسوقه بمقامع منحديد ومن نار وهو يقول : الأمان الأمان الأمان ألف سنة ولا أمان له ، ثم يساق في موقف بين يدي الله تعالى فتأمر الله تعالى ملائكة العذاب أن تسحبه على وجهه إلى النار ، قلت يا جبريل من هو ؟ قال شاب من أمتك ؟ قلت وما ذنبي ؟ قال أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتوب إليه كي يغفر الله فأخذته الله بعثة »^(١) فالله عباد الله اسمعوا بأذانكم وتدبروا بقلوبكم فلعل الله يبلغكم مرغوبكم ، ويغفر العظيم من ذنوبكم . هذا شهر كريم وثوابه كريم والمؤثر له عند الله كريم ، يكرمه الله بجنات النعيم ، والمستخلف بحقه عند الله لشيم ، مأواه في قرار الجحيم ، مع الشيطان الرجيم *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتي يوم القيمة بشهر رمضان والناس في الموقف فيقولون من هذا ؟ نبي أم رسول أم ملك ؟ ما رأينا مثل هذا ولا مثل جماله وحسنه ! فيقوم بين يدي الجبار جل جلاله فيقول : من كان له قبلي حق فليقم ، فيقولون من أنت ؟ فيقول أنا رمضان ، قال النبي ﷺ فتقوم أمتي إليه وبهذه قضبان من نور تضيء ما بين المشرق والمغارب ، فمنهم من يعطي قضيباً يضيء له مسيرة شهر ، وأخر قضيباً يضيء له مسيرة جمعة ، وأخر مسيرة يوم ، وأخر مسيرة ساعة ، وأخر موضع قدميه ، فمن شاء فليوقره ومن لا يوقره فيُسامِّ عذاباً يصبه عند الأنوار من الحسرة والندامة » فيا معشر أهل رمضان وقرروا شهراً تنعموا فيه دهراً ، ووقدروا الخطر اليسير تجازوا بالملك

(١) بعثة : فجأة .

الكبير ، ووقرروا الأيام القلائل تصيروا إلى الكرامة والفضائل ، وقرروا اليسير من الأيام تنظرون إلى وجه ذي الجلال والإكرام *

موعظة للحسن البصري

روي أن الحسن البصري مرّ بقوم يضحكون فوق عليهم وقال : إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستيقن فيه بطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون ، وخاب فيه الباطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءاته . فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين ، في شهر شرفه رب العالمين . فالله الله أصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة ، وأحرصوا فيه على طلب طريق الإستقامة ، إلى أن يقضي بهم إلى دار الكرامة ، والخلد والمقامة ، وسرمد^(١) العز والكرامة ، وينجيكم من هول يوم الطامة^(٢) *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه الصلاة والسلام ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام ، كان ينام من الليل نصفه ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً » *

الصيام بباب العبادة

روي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال : ليس في العبادات أفضل من الصيام لأنها بباب العبادة . وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنب العظيم وليس في الذنب إلا عظيم ، لأننا إنما نعصي بها رب العظيم . وقد قالوا لا تنظر إلى صغير ذنبك ولكن انظر من عصيت !

(١) السرمد : الدائم .

(٢) يوم الطامة : يوم القيمة .

تاب الله علينا حتى لا نعصيه . فالله الله عباد الله غضوا أبصاركم في هذا الشهر العظيم وفي غيره عن النظر إلى المحظورات ، واحبسوا ألسنتكم عنأخذ أعراض المسلمين والمسلمات ، وأكثروا فيه من الصدقة على أهل المسكنة من ذوي الحاجات ، وقوموا في لياليكم فيه بكثرة الصلوات ، واسكبوا من أعينكم وأكف العبرات ^(١) ، وتضرعوا إلى الله في إقالة العثرات .
عساه يبدل سيئاتكم بالحسنات *

فإن قيل ما الحكمة في فرض شهر رمضان ؟ ففيه أقوال ، أحدها أن الله تعالى أمنا أن نصوم فيه ونجوع لأن الجوع ملاك السلامة في باب الأديان والأبدان عند الأطباء والحكماء . وقيل ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ؛ والحكمة ملك لا يسكن إلا في بيت خال *

فضل الجوع

روي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه أنه قال : من شبع من الطعام عجز عن القيام ، ومن عجز عن القيام افتضح بين الخدام ، وإذا امتلأت المعدة رقدت الأعضاء عن الطاعات ، وقعدت الجوارح عن العبادات .
وأنشدوا :

تجوّع فإن الجوع يورث أهله عوّاقب خير عمّها الدهر دائم
ولا تك ذا بطن . رغيب وشهوة فتصبح في الدنيا وقلبك هائم
وروي عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى عليه أنه قال : تجوّع
بالنهار وقم بالأسحار تر عجباً من الملك الجبار *

وروي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه أنه قال : لو كان الجوع يماع في السوق لكان المريد محققاً إذا دخل السوق إن لا يشتري شيئاً غيره ،

(١) العبرات : الدموع .

والله تعالى قد فضلكم بـدين الإسلام ، ومن عليكم بشهر الصيام ، والله أعلم . وأشدوا :

عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهذا
بـأرديـة الشهادـ واستعملـوا الكـذا
على بلـغ الأقوـات^(١) واستقرـوا الـبعـدا
أولـك قـوم حـسن اللهـ فعلـهم الخـذا

قـيل أمرـهم المـولـى جـل جـلالـه بالـصـيـام لأنـه ليسـ علىـ أـهـلـ النـارـ شـيءـ
أشـدـ منـ الجـوعـ وـذـلـكـ أـنـ اللهـ تـعـالـى يـلـقـيـ عـلـيـهـمـ حـتـىـ يـنـسـواـ كـلـ العـذـابـ منـ
شـدـةـ الجـوعـ . فيـسـطـعـمـونـ مـالـكـ خـازـنـ النـارـ فـيـأـتـيـهـمـ بـطـعـامـ الغـصـنةـ كـمـاـ قـالـ اللهـ
تعـالـىـ «ـ إـنـ لـدـيـنـاـ أـنـكـالـاـ وـجـحـيـماـ وـطـعـامـاـ ذـاـ غـصـنةـ وـعـذـابـاـ أـلـيـماـ »^(٢)ـ فـيـعـبرـ فـيـ
حـلـوقـهـمـ فـيـقـولـونـ إـنـاـ كـنـتـلـعـ الغـصـنـصـ فـيـ الدـنـيـاـ بـالـمـاءـ فـيـسـقـونـ المـهـلـ كـمـاـ
قـالـ تـعـالـىـ «ـ وـإـنـ يـسـتـغـيـثـوـنـ بـيـغـاثـاـ بـمـاءـ كـالـمـهـلـ »ـ الآـيـةـ . فـأـمـرـ اللهـ تـعـالـىـ أـمـةـ
مـحـمـدـ صلـوةـ رـحـمـةـ وـسـلـامـ عـلـىـ مـحـمـدــ بـصـيـامـ هـذـاـ الشـهـرـ لـيـصـرـفـ عـنـهـمـ ذـلـكـ الجـوعـ ، وـذـلـكـ أـمـرـ اللهـ
تعـالـىـ بـصـيـامـ سـائـرـ الـأـمـمـ ، فـأـمـنـتـ بـهـ هـذـهـ الـأـمـةـ وـكـفـرـتـ بـهـ سـائـرـ الـأـمـمـ ، وـهـذـاـ
مـنـ لـطـفـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ أـمـةـ مـحـمـدـ صلـوةـ رـحـمـةـ وـسـلـامـ عـلـىـ مـحـمـدــ . وـأـشـدواـ :

إـذـاـ مـرـءـ لـمـ يـتـرـكـ طـعـامـاـ يـحـبـهـ وـلـمـ يـعـصـ قـلـباـ غـاوـيـاـ حـيـثـ يـمـاـ
قـضـىـ وـطـرـأـ مـنـهـ يـسـيرـاـ وـأـصـبـحـتـ إـذـاـ ذـكـرـ أـمـثالـهـ تـمـلاـ الفـمـاـ
وـقـيلـ فـرـضـ عـلـيـهـمـ صـيـامـ شـهـرـ رـمـضـانـ لـأـنـ الزـهـدـ زـهـدانـ ، زـهـدـ فيـ
الـحـالـ وـزـهـدـ فيـ الـحـرامـ وـأـشـرـفـهاـ الرـهـدـ فيـ الـحـالـ ، فـأـمـرـهـمـ اللـهـ تـعـالـىـ بـصـومـ
هـذـاـ الشـهـرـ حـتـىـ يـعـطـيـهـمـ ثـوابـ زـهـدـ الـحـالـ وـالـحـرامـ . وـقـيلـ أـرـادـ اللـهـ تـعـالـىـ
بـذـلـكـ إـنـتـهـاـ الـأـغـنـيـاءـ لـيـعـلـمـواـ حـالـ الـفـقـراءـ فـيـصـوـمـواـ مـعـهـمـ وـقـيلـ حـتـىـ يـذـكـرـواـ بـشـدةـ

(١) ما بلـغـ الأـقوـاتـ : مـا يـسـدـ الرـمـقـ إـلـىـ حدـ الـكـفـافـ .

(٢) المـزـملـ : ١٣ .

(٣) المـهـلـ : هـوـ التـحـاسـ الـمـدـابـ .

الصوم شدّة القيامة لأنّه ليس على أهل القيامة أشد من الجوع ، وليعلموا أنه إذا كانت في طاعة الله تعالى شدة ، فإنّ الجوع في النار أعظم شدة . فالله الله عباد الله اجتهدوا في حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يفوز فيه الصائم ، ويحشر فيه المتأني المتهاون الظالم ، إذا عرضت عليه الأوزار والجرائم ، واتهاك المحذورات والمحارم *

سبب فريضة الصيام

فإن قيل لم فرض رمضان ثلاثين يوماً؟ فالجواب ، إنه قيل إن الوقوف على الصراط صلاصين سنة فإذا صمت ثلاثين يوماً أعانك الله في الموقف بالعافية والسلامة ، والسعادة والكرامة ثلاثة شهور . فالله الله جدوا واجتهدوا في هذا الشهر بلا إفراط ، وخذلوا لأنفسكم بالإحتياط ، وأخذلوا من المكث الطويل على الصراط^(١)*

رمضان رسول من الله

قيل مثل هذا الشهر كمثل رسوله سلطان إلى قوم ، فإن أكرموا شأنه ، وعظّموا مكانه ، وشَرُّفوا منزلته ، وعرفوا فضيلته ، رجع الرسول إلى السلطان شاكراً لأفعالهم ، مادحاً لأحوالهم ، راضياً لأعمالهم ، فيحبهم السلطان على ذلك فيحسن إليهم كل الإحسان . وإن استخفوا برعايته ، وهونوا لعنته ، ولم ينزلوه منزلته من الإكرام ، وفعلوا به فعل اللئام فيرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم ، وسيء أعمالهم ، فيغضب السلطان لغضبه . كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان . فيا أيها الإنسان هذا شهر رمضان ، شهر التوبة

(١) ومصيبة الناس ، التي تبعدهم عن منهج الله سبحانه وتعالى هي أنهم لا يستحضرون الجزاء ولا العقوبة أثناء أداء التكليفات فلو أنهم استحضروا (جنت النعيم) أثناء العبادة لأنقذوها وتضافروا فيها .

والغفران ، وهو رسول من عند الملك الديان ، فمن أكرمه منكم حقيقة الإكرام ، وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام ، وبطنه من أكل الriba والحرام ، وأموال الأرامل والأيتام ، غفر له الملك العلام ، وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام *

أحاديث في فضل الصيام

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من مؤمن يصبح صائمًا إلا فتحت له الجنة ، واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب^(١) فإن صلى ركعتين تطوعاً أضاءت له السموات نوراً ، وإن سبع وهلّ تلقاء سبعون ألف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يتوارى بالحجاب . فالله الله عباد الله ، يا أهل الذنوب ، يا أهل المعاصي والعياذ ، يا من عصى مولاهم علام الغيوب ، اعملوا في بقية شهركم ليوم وفاتكم وفقركم ، إذا وقفتم بين يدي ربكم *

روي أن النبي ﷺ كان يقول إذا دخل شهر رمضان : « إن الله فرض عليكم شهر رمضان ، وسنت لكم قيامه ، فمن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه » وقال في حديث آخر : « ومن صامه وأقامه إيماناً واحتساباً وجبت له الجنة » فالله الله ارغبوا فيما رغبكم فيه نبيكم وما عرفكم به من ثواب ربكم ورحمته عسى أن يغفر لكم ربكم ويقبل منكم سعيكم *

وروي أن النبي ﷺ كان يقول إذا دخل رمضان : « مرحباً بالمظهر » قالوا يا رسول الله وما المظهر ؟ قال : « مظهر من الذنوب والخطايا^(٢) اللهم أكتب لنا فيه براء من النار ، وشريعة من الإيمان . فالله الله تطهروا من ذنوبكم للحلول في جوار ربكم ، واحفظوا العهود في صيام شهركم فأدوا زكاة فطركم *

(١) أي حتى يجن الليل وتغيب الشمس في الأفق .

(٢) الخطايا : جمع خطية وهي الذنوب والآثام .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان
صيامه معلقاً بين السماء والأرض حتى يؤديها » فالله الله عباد الله اتبعوا ما
أمركم به النبي الرسول ، وأطيعوا ربأ ولا يحول ولا يزول ، ولا تغيره الأيام ولا
الدهور ، لا إله إلا الله هو العزيز الغفور *

١٤ - مجلس في تحريم الخمر وما جاء فيها

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله : ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر في كتابه في ثلاثة آيات فذمها في الإثنتين وحرّمها في الثالثة . فالإثنان الأولتان منسوختان ، والثالثة الناسخة ، وذلك أنها كانت تشرب في أول الإسلام حتى نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة ، فالناسخة قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمُ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ رَجْسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعْلَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾^(١) فهذا تحريم ، وكذلك نهى الله في كتابه كلّه تحريم في كل ما نهى عنه ، كما كل ما أمر به فرض مفترض لا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالأنصاب وهي الأصنام التي كانت تبعد من دون الله ، وقد قال تعالى في آية أخرى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأُوْبَثَانِ ﴾^(٢) فقد قرن في نهيء بين الخمر والأصنام التي كانت تبعد من دون الله تعالى فلما نزل تحريمهما بعث رسول الله ﷺ مناد ينادي في المدينة إلا أن الله قد أنزل تحريم الخمر ، إن الله ورسوله يحرمان الخمر . فقال بعضهم - وهو يشريونها - صه حين سمعوا المنادي . يقول اسكنتوا حتى تسمعوا ما يقول هذا المنادي ، فلماً تسمعوا منه قوله قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . فكفوا

. ٩٠ المائدة (١)

(٢) الحج . ٣٠

عنها وأهريقو ما بقي عندهم منها ، ثم ندموا على ما شربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم ، فأنزل الله سبحانه ﷺ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ﷺ^(١) الآية *

تحريم الخمر

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر في سورة النحل في قوله سبحانه ﷺ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً^(٢) قال الشيخ :^(٣) وهذا ظاهره تعداد النعمة ، وباطنه تعير وتقرير وتوبیخ ، يقول الله تعالى : رزقتم ثمرات النخيل والأعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتكم عن الرزق الحسن . فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك اسمه عرفكم به ونعمه عليكم ، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكانه تبارك وتعالى قال ﷺ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً^(٤) فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكراً ، وبذلتكم الطيب بالخبث وهذه غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل في معاصي الله تعالى ، فلما نزلت هذه الآية وقد أعب الله تعالى في الخمر ، امتنع ناس من شربها وبقى على شربها الأكثرون حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة *

حمزة عم النبي والخمر

فخرج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقد شرب الخمر حتى سكر منها فلقىه رجل من الأنصار وبيه ناضح له ، والأنصارى يتمثل بيتبين من شعر

(١) المائدة ٩٣ .

(٢) النحل ٦٧ .

(٣) يقصد به الشيخ عبد الملك بن حبيب من الصالحين الأنبياء .

لکعب بن مالک فی مدح قومه و ذکر مفاخرهم و همما :

جمعنا مع الإیواء نصراً و هجرةٌ فلم يرجُ (حيٌ)^(۱) مثلاً في المعاشرِ
فأحياونا من خير أحياء من مضى وأمواتنا من خير أهل المقابرِ

عمر بن الخطاب والخمر

قال حمزة رضي الله عنه : أولئك المهاجرون ، فقال الأنصاري : بل
نحن الأنصار ، فتنازعوا فجرد حمزة سيفه وعداً على الأنصاري فلم يمكن
الأنصاري أن يقوم به فانهزم وترك ناضجه فقصد حمزة إلى الناضج^(۲) فضربه
بالسيف فقطعه ، ومضى الأنصاري مستعدياً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر
حمزة وفعاله بالناضج ، فأعطي النبي ﷺ الأنصاري ناضجاً .

عمر بن الخطاب والخمر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما ترى ما نلقى من أمر الخمر
يا رسول الله ؟ إنها مذهبة للعقل متلفة للمال ، فأنزل الله تعالى بالمدينة
﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير﴾^(۳) وقرىء كثير والمعنيان
متقاربان (ومنافع للناس) وعلى هذا معارضه لقائل أن يقول أين المنفعة ؟
وقد قال رسول الله ﷺ : « إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليهما »
فالجواب عن ذلك ، أنهم كانوا يتبعونها من الشام بالثمن اليسير وبيعونها
بالحجاز بالثمن الكبير ، وكانت المنافع التي فيها من الأرباح . وكذلك قال
الله سبحانه ﴿قل فيهما إثمٌ كبير﴾ فانتهى عن شربها قوم وبقي قوم على
شربها حتى دعا محمد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قوماً فأطعهم

(۱) زاد عثمان خليل كلمته (حي) لتنقية الوزن .

(۲) الناضج : الذي يستقي عليه البعير الماء .

(۳) البقرة ۲۱۹ .

وسقاهم الخمر حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة قدموا رجلاً منهم يصلي
بهم .

ابن أبي جعونة والخمر

وكان أكثرهم قرآنًا رجل يقال له أبو بكر بن أبي جعونة وكان حليف الأنصار،
فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقرأ قل يا أيها
الكافرون أعبد ما تعبدون ، وخلط أول السورة بخاتمتها حتى ختم السورة على
ذلك ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ذلك . فأنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها
الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾^(١) فكانوا
يشربونها بعد صلاة العشاء الأخيرة ثم ينامون ، ثم يقومون عند صلاة الفجر
فيصحون منها ، ثم يشربونها بعد صلاة الصبح فيصحون منها عند صلاة الظهر
ثم لا يشربون بعد ذلك حتى يصلون العشاء الأخيرة .

سعد بن أبي وقاص والخمر

حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري رجلاً لوليمة عملها على رأس
جزور فدعا أناساً من المهاجرين فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها
فافتخر了 ، فعمد رجل من الأنصار إلى أحد لحمي الجزور فضرب به أنف
سعد ففزعه^(٢) فجاء مستعدياً إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها
الذين آمنوا إنما الخمر والميسرُ والأنصابُ والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾^(٣) الآية فاختلف العلماء من أهل التفسير في موضع
التحريم هل وقع في قوله تعالى ﴿ فهل أنت متهون ﴾ أو في غير هذا
الموضع . وقال قوم من المفسرين إن التحريم وقع في قوله تعالى

(١) النساء ٤٣ .

(٢) فزر الثوب : تهتك وتقطع .

(٣) المائدة ٩٠ .

﴿فاجتنبوا﴾ وقال الأكثرون منهم بل وقع في قوله تعالى ﴿فهل أنت
متهون﴾ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان في قوله
﴿أتصبرون﴾ والمعنى اصبروا ، وكذلك في الشعراة ﴿قوم فرعون لا
يتقون﴾ والمعنى اتقوا . وكذلك في سورة يوسف ﴿وعلى نبينا محمد وسلم
قوله﴾ تررعن سبع سنين دأباً﴾ والمعنى إزرعوا . وفي سورة الواقعة قوله
﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها﴾ يعني الروح والمعنى ارجعواها ،
وكذلك قوله في الخمر ﴿فهل أنت متهون﴾ والمعنى انتهوا فقالوا عند ذلك
انتهينا انتهينا يا رسول الله ، وهذه من الأخبار التي معناها الأمر . وقال بعض
أهل العلم : إن تحريم الخمر في الآية التي في الأعراف قوله تعالى ﴿إنما
حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾^(١) والإثم هي الخمر ، قال
الشاعر :

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقل
وقال آخر :

شرب الإثم بالكؤوس جهاراً ترك الہتك بيتشا مستعارا
والہتك الأترنج . فهذه جمل تحريم الخمر وانتقاله في مواطنه ، وأما
تحريمها في الأنعام في قوله تعالى : ﴿قل إنما أوحى إليّ محرماً على طاعم
يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمّاً مسفوحًا أو لحم خنزير﴾^(٢) فإنه رجس والدم
رجس ، والميّة رجس ، والخمر رجس ، بل الخمر أكثر رجساً ، بل الميّة
أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لأحد ، والخمر ما خامر العقل فغطاه وإذا غاب
العقل حضر الجهل ، وإذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالي . وأما قول الله
تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٣) .

(١) الأعراف ٣٣ .

(٢) الأنعام : ١٤٥ .

(٣) الحشر ٧ .

أحاديث في تحريم الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كُلُّ مسْكِرٍ حرام » وما أَسْكَرَ كَثِيرٌ من
جُمِيعِ الْأَشْرَبَةِ فَقَلِيلٌ حرام * .

وفي حديث آخر قال ﷺ : « كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرٌ فَهُوَ حرام » واعلموا أن
أُمُّكَنَّ مَا يَكُونُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا شَرَبَ الْمَسْكَرَ ، فَإِذَا تَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنَ
الْعَبْدِ أَمْرَهُ بِالْكُفْرِ وَصَدَهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَعَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ، وَأَغْلَقَ فِي وَجْهِهِ
أَبْوَابَ الْخَيْرِ كُلَّهُ . وَأَنْشَدُوا :

الْخَمْرُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْعَصَيَانِ
وَالْخَمْرُ شَارِبُهَا يَصُدُّ عَنِ الْهُدَىٰ^(١)
وَبَيْدَلُ الطَّاعَاتِ بِالْعَصَيَانِ
وَبَيْدَلُ الْإِيمَانِ بِالْكُفْرِ
شَرَبُ الْمَدَامَةِ لِلْإِلَهِ عَدَاةً
وَمَحْبَّةُ الْمَارِدِ الشَّيْطَانِ
فَبَادِرُوا التَّوْبَةِ يَا أَهْلَ الزَّنَاءِ
وَتَقْرِبُوا لِلْوَاحِدِ الدِّيَانِ
وَتَبَاعِدُوا عَنْ شَرِبِ مَفْتَاحِ الرَّدَىٰ
وَمَغْلَقِ الْخَيْرَاتِ فِي الْإِيمَانِ
فَهِيَ الْمَحْرُمَةُ الَّتِي تُحَرِّمُهَا فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ وَالْقُرْآنِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الْخَمْرُ جَمَاعُ الْإِثْمِ » وهذا الحديث
يخرج منه قول النبي ﷺ « لِيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكُفْرِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ » وَشَارِبُ
الْخَمْرِ لَا يَقْبِلُ مِنْهُ صَلَاةً ، فَإِذَا لَمْ يَقْبِلْ اللَّهُ مِنْهُ حَسْنَةً وَاحِدَةً وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ
الْأَثَمَ ، فَهِيَ جَامِعَةُ الْأَثَمَ ، فَائِدَةٌ إِلَى الْحَرَامِ ، قَاطِعَةٌ عَنْ طَاعَةِ الْمُلْكِ
الْعَلَامُ * .

الْخَمْرُ شَرٌّ كُلُّهُ

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الْخَمْرُ مَفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ وَأَنْ خَطِيْبَتِهَا تَعْلُو
كُلِّ الْخَطَايَا كَمَا أَنْ شَجَرَتِهَا تَعْلُو كُلِّ الشَّجَرِ » فَهُنَا قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ (الْهُوَى) وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى بِهَا .

«الخمر مفتاح كل شر» وما كان مفتاحاً للشر كله ، كان مغلقاً للخير كله . فإذا شربتم القهوات ، وعصيتم رب الأرضين والسموات ، وانغلقت عنكم أبواب الخيرات ، وانفتحت لكم أبواب المنكرات ، وحلت بكم عظام المصيّبات ، وغضب عليكم رب الأرباب وسيد السادات^(١) ، عاقبكم بأشد العقوبات ، في دار المصائب^(٢) والحسرات ، ومحل العذاب والبليات . وأنشدوا :

أهل الخمور من الرحمن قد بعدوا
وفي العذاب على الخسران قد وردوا
بشرهم من إله العرش قد بعدوا
وفي الصدور مع الشيطان قد قعدوا
دع المدامة^(٣) لا تسلك طريقتها
فأهلها لنعيم الرب قد جحدوا
وقد تواعدتهم رب السماء على
شرب الخمور بنار جمرها يقد
غداً ترى أهل شرب الخمر كلهم
بدار ويل على النيران قد وردوا

قول ابن عباس في السكران

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : من بات سكراناً بات للشيطان عروساً ، وللعروس حبيباً ، فإذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدو الرحمن ، وإذا كنت عدو الرحمن فأنت من أهل الهوان ، في سوم النيران . عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره ، ونهاكم بنهيه ، ومن عليكم برفقه ، ووسع عليكم من سعة رزقه . وجعلكم من خير الأمم ، وأسبل عليكم جزيل النعم ، فلا تستعينوا بنعمة على معاصيه ، فإنه ذو إنتقام وعداً ، ورحمة وثواب ، فاطبعوا مولاكم في جميع الأمور ، ولا تهتكوا أستاركم بشرب الخمور ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

(١) سيد السادات : الله سبحانه وتعالى .

(٢) دار المصائب : الدنيا .

(٣) المدامة : الخمر .

يا شارب الخمر ترجو أن تناول به عفو الإله وأنت اليوم مطرود
وأنت تشرب طول الدهر^(١) منهمكاً وأنت عن طاعة الرحمن مفقود
شربتم الخمور ، وعصيتم رب الغفور ، وهتكتم الستور ، وركبتم
الفواحش والفجور ، وتهاونتم بصعب الأمور ، ولم تفكروا في العرض
والنشرور^(٢) ، والوقوف بين يدي من يعلم ما تخفي الصدور *

ثمن الخمر خسارة

ذكر في بعض الأخبار ، ما من عبد أنفق درهماً في الخمر إلا محق الله
تبارك وتعالى من رزقه سبعين درهماً ، وجعل الله كل درهم ينفقه في الخمر
سلسلة في عنقه من نار جهنم ، وجعله ثعباناً يأكله في قبره إلى يوم القيمة ،
فإذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلا يفارقه حتى يلقيه في نار جهنم ،
وأعظم من هذا أن شارب الخمر لا يكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولا
ينظر الله إليه ، وإنما يكتب له صاحب الشمال ، لأن رأس العبادات هي
الصلاوة ولا يقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته ، وصاحب الخمر لا تقبل
صلاته فإذا تاب الله عليه ومحى الله من صحفته كل ذنب عمله في حال
شربه ، وكتب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يثبتها الله تعالى وإذا مات من
 ساعته مات ولا ذنب عليه ، ويكون أفضل من لم يشربها في الدنيا وأنشدوا :

لا تشرب الخمر يا مغورو إن لها وزراً عظيماً لدى الرحمن في الحسر
الخمر تبعد عن حق الإله وعن شرع الرسول الذي في محكم الذكر
إن الذي قطع الأيام يشربها له عذاب شديد كاشفُ الستِّرِ
روي أن النبي ﷺ أغار علياً بعيرين ليأتي عليهم بأذخر^(٣) يستعين به

(١) في الأصل (وأنت تشرب دهر الله منهمكاً) وقد صوبها عثمان خليل .

(٢) النشور : البث .

(٣) الأذخر : نبت يكثر في الجزيرة العربية .

على زفاف فاطمة رضي الله عنها ، فجاز بهما علي رضي الله عنه فأناخهما عند باب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستأجر يهودياً ليخرج معه ، ويأتي بالأذخر وكان حمزة يشرب ، وغنت المغنية غناء تذكر فيه أكباد الإبل ، فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابه فنحرهما ودخل بأكبادهما ، فجاء علي رضي الله عنه فوجد البعيرين نحيرين^(١) فمضى إلى النبي ﷺ فشكا إليه ، فجاء معه صلوات الله عليه فلما رأى حمزة النبي ﷺ *

كيف سكر حمزة

وكان حمزة رضي الله عنه قد أخذت فيه الخمر قال : ألسنم عبيدي؟ فتأخر رسول الله ﷺ وقال « لست بعد لأبيك » فقال عمر رضي الله عنه : اللهم إن الخمر مفسدة للعقد مذهبة للمال ، فأنزل اللهم لنا في الخمر بياناً ، فأنزل الله سبحانه ﷺ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيما إثمكم كبير ومنافع للناس^(٢) إثم أي في تناولها ، ومنافع للناس في ترك تناولها فإذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف *

قراءة السكران

قال قوم نشربها لما فيها من المنفعة ، فحان وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى ب أصحابه فقرأ يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وختم السورة على هذا ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ، فقال عمر رضي الله عنه : اللهم أنزل علينا بياناً في الخمر ، فأنزل الله تعالى ﷺ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون^(٣) ف كانوا يشربونها في غير وقت الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبي وقاص ما كان مع الأنصاري

(١) نحيرين : أي مذبوحين .

(٢) البقرة ٢١٩ .

(٣) النساء ٤٣ .

وقد تقدم ذكره فقال عمر رضي الله عنه : اللهم أنزل علينا في الخمر بياناً ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاف والأذالم رجسٌ من عمل الشيطان ﴾^(١) إلى آخر الآيتين إلى قوله ﴿ فهل أنت منتهون ﴾ ف قالوا بأجمعهم : انتهينا يا رسول الله انتهينا ، فعند ذلك بعث النبي ﷺ منادياً ينادي في المدينة ؛ إلا أن الخمر قد حُرمت . قال أنس بن مالك : فسمعت النساء وأنا أسفى طلحة في رهط من الأنصار الفضييخ والبسر والرطب^(٢) قوله ما انتظروا حتى قالوا يا أنس أخرجها عننا فأهربت في الحين فانتهوا . فإذا فعل هذا أصحاب رسول الله ﷺ وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاهم ونبيهم ﷺ فما لكم لا تتأسوا بأفعالهم ، وتقتدوا بأعمالهم وتتفقوا آثارهم ، وتسمعون أخبارهم وتتركوا الخمر لوجه الله الكريم فعساه يجعل الجنة مأواكم ويكرم في الآخرة مثواكم ؟؟ فراقبوه فإنه يراكم ويعلم سركم ونجواكم والله أعلم . وأنشدوا :

لا يشرب الخمر إلا فاجر بطر^(٣)
بنس الشراب وبنس الشاربون لها
هي الدليل إلى دار الجحيم غداً
إلا يتوب عسى الرحمن يقبله

قد خالف الله القرآن والرسالة
لا يسلكون إلى دنياهم سبلاً
بنس الدليل ولا يرجى لهم حولاً
فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلاً

من مات يدمن الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها في الآخرة » وهي والله من أللذ نعيم الجنة كما قال تبارك وتعالى ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾^(٤) يا عدو نفسه يا مسكين حرمت نفسك اللذات ، في

(١) المائدة ٩٠ .

(٢) أنوار البلح هي : الطلع ، الخلال ، البلح ، البسر ثم الرطب ثم التمر .

(٣) البطر : شدة المرح .

(٤) محمد ١٥ .

قرار الجنات ، وعصيت رب الأرضين والسموات ، بشربك القهورات
المحرمات ، في محم الآيات ، ولم تستع من عالم البيرائر والخفيات
وأنشدوا :

أكثرت الخمر من عيوبني وزاد حزني مع الكروبي
جل مصابي وضاق ذرعني واسود قلبي من الذنب
يا ليتني تبت باجتهاد لعالم الجهر والغيب
الخمر مفتاح كل شر لكل عاص لها شروب

عذاب شارب الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « بعثني الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبديه جرعة^(١) خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معدباً أو مغفورة له ، ولا يدعها عبد من مخافتي إلا سقيته إياها من حظيرة الفردوس » فيا معاشر الإسلام ، أطيعوا مولاكم الملك العلام ، ولا تخالفوا القرآن والأحكام ، وأقبلوا نصيحة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، يدخلنكم ربكم برحمته دار السلام وأنشدوا :

إلى الله أشكو ضيق صدرني من الضرّ وعظم خطايا كالجبال وكالقطير
لعلّ إلهي أن يجود بعفوه وينفذ عبداً عام في غمرة السكر
ظلوماً غشوماً لا يفارق محurmaً ولا يستفيق الدهر من فتنة الخمر
فيما طول حزني ثم يا طول حسرتي لئن لم يجد لي عالم السرّ والجهر

شارب الخمر في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « والذي بعثني بالحق إن شارب الخمر يأتي يوم القيمة فيقول الله سبحانه وتعالى لملائكته خذوه ، فيبتدرؤن له

(١) جرعة خمر : حسوة منها .

سبعون ألف ملك فيسجبونه على وجهه فستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقى فيه طعام مثل رؤوس الشياطين ولا يكاد يسيقه فيخرج الدود منه فيتعلن بلسانه ثم يقع في بطنه فهي تجري فيه مثل الوحش في البرية » أيها المتصرون على العجراء والأثام ، المسرفون في شراب المسكر الحرام ، أفنitem أعماركم في الكذب والزور ، وضييعتم أيامكم في الجهل والغرور ، وقطعتم أوقاتكم في الفسق والفحور ، واستعتم على معصية الله بشرب الخمر ، أما علمتم أن الخمر متلفة للمال ، مذهبة للبهاء والجمال ، عاقبتها إليك وبال ، ويؤول شاربها إلى شر مآل^(١) الخمر أولها لهو ومزاح ، وأخرها بكاء ونياح ، امرأة شارب الخمر في كل وقت مطلقة وثيابه في كل حين ممزقة . شارب الخمر خليل الشيطان ، شارب الخمر عدو الرحمن ، شارب الخمر بعيد من الإيمان ، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران ، شارب الخمر في بحار السخط عائم ، شارب الخمر على عذاب النار حائم ، شارب الخمر مخالف للتزييل ، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل ، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين ، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين . أما علمت يا من بعد من الإحسان ، وتقرب من النسق والعصيان ، وحل في سخط المهيمن الديان ، أن الخمر موقعة للعداوة والشقاق ، قاطعة للخير والأرزاق ، قائدة إلى أليم العذاب يوم التلاق . أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد ، وتلقيه في الضلال والفساد ، وتوقع العداوة والبغضاء بين العباد ، وتقود إلى العذاب الشديد يوم التناد . وأنشدوا :

الخمر ولادة للشر أجمعه ومن ولادتها العصيان والكفر
تعصى الإله إذا ما عشت تشربها وتبعد الخير والإحسان والشكراً
العبد يشربها واللعنة تابعه والخزي شامله والويل والعسر

(١) شر مآل : سوء المصير .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لعن الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومتاعها وحاميها والمحمول إليه وأكل ثمنها والدال عليه » يا أخي قد لعن الله كل من نسب إلى الخمر وللعنة هوانا للعبد ، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه^(١) عذابه وحر ناره ، فبادر يا شاربها إلى المتاب ، فإن الله قد حرمها في الكتاب ، وتوعاد عليها أشد النكال والعقاب . وأنشدوا :

يا من بيت على شرب الخمور ولا يخشى الإله ولا يخشى من النار
تعصى الإله ولا تقضي فرائضه عار عليك وما في التوب من عار
فتب من الخمر للرحمـن خالقـنا وكل ذنب قديـم العهد أوـتـار^(٢)

الخمر جريمة عظيمة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً فإن تاب تاب الله عليه ، والذى بعثني بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يوماً ، وكان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من الخبال » قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : هو صديق أهل النار وقيهم . وفي بعض الأخبار لو أن قطرة من الخبال ألقـت من السـماء السابـعة لأخرقت إلـى الأرض السابـعة ولـمات أهل السـموات والأرضـن من التـن ، فإذا لله وإنـا إلـيـه راجـعون عـلـى من شـرب الخـمور ، وهـتك الستـور ، وعصـى الـملـك الغـفور ، وبـذـلـ مـهـجـته لـعـذـاب الـوـيلـ والـثـبور ، وغـره بالـله عـدوـه الغـرـور . وأنـشـدوا :

تعصـى الإـله وـتـأـتي الـخـمـر تـشـربـها وـتـرـتـجي مـن إـلهـ العـرـش غـفـرانـاـ
وـأـنت تـحـوي فـعـالـ الخـير أـجـمعـها وـقـد جـمـعـت مـن العـصـبـانـ الـوـانـاـ
فتـبـ ولا تـنـمـادـي فـي الضـلـالـ عـسـى تـلـقـى إـلـهـا كـثـيرـ الـعـفـو رـحـمانـاـ

(١) أصلـاهـ : رـمـاهـ كـمـا فـي قـوـلـهـ تـعـالـى « سـيـصـلـى نـارـاـ ذاتـ لـهـ ». .

(٢) أوـتـارـ ليس لها معـنى وـفيـ الغـالـبـ أنهـ أـنـىـ بهاـ لـاسـتـكمـالـ الـبـيـتـ حـشـواـ .

عباد الله أما تستحون من أخرجكم من بطون الأمهات ، وأسبغ عليكم جزيل النعم والخيرات ، وهداكم بفضله إلى الصوم والصلوات ، ووعد من أطاعه بالخيرات في الجنات العاليات ، وتوعده من عصاه بالخيارات وشدائد العقوبات . أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات ، ومفتاح الكبائر والخطيارات ، وباب المصائب والرزيات ؟ و摩وجة لغضب رب الأرضين والسموات ، ومخربة الديار بوقوع الشتات . فلا تنسوا أعمالكم بشرب الخمر الحرام فإنها أم الكبائر والأثام ، ومن شربها فقد خالف القرآن والأحكام ، وحل في سخط الملك العلام ؛ أما تستحي يا مطرود من باب الله ، يا مخالفًا لحدود الله ، يا مؤلفًا لأعداء الله ، من رب من عليك بنعمة الإسلام ، وجعلك من خير أمة أخرجت للأنام ، وفضلك بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعصيت يا مغرور مولاك ، واتبعك غيرك وهواك ، ونسىتك النعم التي أولاك ، ولم تته عنّا عنه نهاك . أهذا جزاء من أحسن إليك ، وسترك وأنعم عليك ؟ بشّ ما صنعت يا من ظل في المعاصي سراً وجهرًا ، يا من بدل نعمة الله كفراً ، يا من هتك بعصيائه حجاباً وستراً ، يا من حرم بذنبه توفيقاً ويسراً ، يا من أورثه العصيان شراً وعسراً . أما تستحي يا مطرود يا من هو عن باب مولاه مردود ، يا من خالف الأحكام والحدود ، من رب أخرج لك من العدم إلى الوجود ، عنباً حلالاً أخرجه من العود ، تعصر منه خمراً تعصى به الملك المعبد ؟ ما أجهلك بطريق المتقين ، ما أبعدك عن سيرة خير المرسلين ، يا قليل الدين ، يا ضعيف الإيمان واليقين ، يا خليل الشيطان اللعين ، ستعلم غداً إذا وقفت بين يدي أسرع الحاسدين ، وأمر بك إلى العذاب المهين ، فحيثـ تقول بيـني ويـينك بعد المشرقيـن فـ بشـ القرـين ، اللهم تـبـ علينا حتـى لا نـعصـيك بـرحمـتك يا أـرحمـ الرـاحـمين *

١٥ - مجلس في فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه

وفي صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الأمة بفضائل خص بها أمّة محمد ﷺ من سائر الأمم . الحكمة في ذلك أن الله تعالى لما جعل أمّة محمد أقصر الأمم أعماراً^(١) جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات ، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل في الجنة وهي كالأيام البيض من كل شهر وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير . فهذه أمّة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيراً ، ووعد لها على ذلك في الآخرة أجراً كبيراً . فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطىء ، ويتقرب فيه بالصدقات ، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات . وصومه سنة مستحبة لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال *

ثواب صيامه

« من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف شهيد ، وثواب كل حاج ومعتمر في ذلك العام ، وثواب تسبيح

(١) والإنسان من أطول الحيوانات أعماراً على صفحة الطبيعة .

ملائكة السبع سموات ومن فيهن » *

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها ، وقيام لياليها ، وكأنما حج واعتمر سبعين مرة ». فالله عباد الله تقربوا إلى الله في يوم عاشوراء أيمًا استطعتم من نوافل الخير وسبل البرفان يوم عاشوراء يوم يوصل فيه الرحم ، ويضاعف الأجر للمؤمن السخي ^(١) الكريم ، ويجزى الله جل جلاله معطي الزكاة جنات النعيم ، وبيذل فيه السخط على الشقي اللثيم ، الذي يمنع الزكاة المفروضة في القرآن الحكيم . فالله الله معشم المؤمنين ، وجماعة الموحدين ^(٢) ارغبووا في هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعم الدائمة الطويلة ، التي ليس لها زوال ولا انقطاع ، ولا لصاحبيها عنها صد ولا امتناع .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أفتر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكأنما أفتر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم ، ومن مسح على رأس يتيم في يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة ، ومن كسا فيه مسكيناً فكأنما كسا مساكين أمة محمد ﷺ وكسانه الله سبعين حلبة من حلل الجنة » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله صلى الله عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا عمر خلق الله السموات والأرض في يوم عاشوراء ، وخلق الشمس والقمر في يوم عاشوراء ، والنجموم كمثله ، وخلق العرش والكرسي في يوم عاشوراء ، وخلق القلم في يوم عاشوراء ؛ وللروح كمثله ، وخلق جبريل في يوم عاشوراء ، وملائكته كمثله ، وخلق آدم في يوم عاشوراء ، وحواء كمثله ، وخلق الجنة في يوم عاشوراء ، وأسكن آدم الجنة في يوم عاشوراء ، وولد إبراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء ونجاه الله من النار في يوم

(١) السخي : الجoward الكريم المعطاء .

(٢) الموحدين : الذين يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له بصدق .

عاشوراء ؛ وهداه الله في يوم عاشوراء ، وأغرق الله فرعون في يوم عاشوراء ، ورفع عيسى في يوم عاشوراء ، ورفع الله ادريس في يوم عاشوراء ، وولد عيسى بن مريم في يوم عاشوراء ، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء ، وغفر ذنبه في يوم عاشوراء ، واستوت سفينة نوح على الجودي في يوم عاشوراء ، وأخرج يوسف من السجن في يوم عاشوراء ، وتاب الله على قوم يونس في يوم عاشوراء ، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء ، ويوم القيمة يوم عاشوراء » * ويروى أن أول مطر ينزل من السماء يوم عاشوراء *

الفصل يوم عاشوراء

وقال رسول الله ﷺ : « من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت ، ومن اكتحل بالآئمدة^(١) يوم عاشوراء لم ترمه عيناه في تلك السنة كلها ، ومن عاد مريضاً يوم عاشوراء ، فكأنما عاد جميعاً ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الأنبياء الكرام ، ومن سقى مؤمناً شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقى جميع ذرية آدم وكانوا عطاشاً ، ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عاماً ماضياً وخمسين عاماً مقبلأً ، وينبئ له الله ألف منبر من نور الله » عباد الله ارغبوا في فضل هذا اليوم المرغوب فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب ، ويستر عليكم ما أتيتم من القبائح والعيوب *

روي أن موسى عليه السلام قال : مكتوب في التوراة من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله ، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلاً إلا أعطاه ، ومن كسا فيه عرياناً فكأنما كسا جميع خلق الله ، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رؤوس اليتامي وغرس الله له بكل شعرة على رأسه سبعمائة شجرة تحمل من الحل والحلل عدد نجوم السماء ومن أرشد

(١) الآئمدة : حجر يكتحل به يجلو البصر مال للزرقة .

فيه ضالاً دفع الله عنه ظلمة القبر وملأ قلبه نوراً ، ومن كظم فيه غيظاً كتب من الراضين بقسم الله تبارك وتعالى ، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيء خلقه الله وهو خالقه درجات في الجنة ، ومن ترك فيه شهوة وأطعها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها ، ومن اغتسل في يوم عاشوراء كان عند الله طاهراً ، ومن قرأ آية في كتاب الله في ليلة عاشوراء أو في يومها أعطي من الشواب مثل ما أعطي لإدريس عليه السلام ، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين ، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أو فاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيباً في عباده الخائفين ، ومن أتى عالماً في يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة في دينه وما ينفعه لآخرته أعطي مثل ثواب المهاجرين والأنصار وأوجب الله له الجنة ويكتب له الملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذي يأتي ، ومن صام يوم عاشوراء محتسباً عالماً بفضل سخر الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذي صامه مائة ألف ملك يدعون له إلى يوم القيمة ، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آكلًا وهو لا يعلم فليمسك عن الأكل في بقائه وله فضله كاملاً إن شاء الله تعالى *

النفقة على العيال

وتحسب النفقة في ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء رجاء فضل الله وطلبًا لمرضاته ولوجوب البركة فيه ، فإنه روي «أن من أنفق فيه درهماً أخلف الله له سبعمائة . وكل درهم ينفقه فيه في طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من السموات والأرضين السبع » *

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أكثروا خير بيوتكم في ليلة

(١) فلنسارع جميعاً بصيام هذا اليوم ، وقيام ليله عسى أن تعمنا تفحاته وبركته .

عاشوراء ويومه ووسعوا فيه على أهاليكم فيما يحل ويحمل ، فمن له يجد
فليوسع خلقه - أظنه مع قرابته - وليعف عن ظلمه .

بنو إسرائيل وعاشوراء

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو إسرائيل ويعظمونه ، وكانت قريش تصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد ﷺ . في يوم عاشوراء يوم يتقبل الله فيه الحسنات ، وترفع فيه الدرجات المرتفعات ، وتختلف فيه النعمات ، وتكثر فيه البركات . ويفرح فيه أهل الفاقه^(١) وال الحاجات . يوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال ؛ ويتوسّع فيه على العيال ، وتزكوا فيه الأفعال والأقوال ، ويرحم فيه عباده ذو إلا كرام والجلال . يوم عاشوراء يوم توصل فيه الأرحام ، وتربيح فيه الكرام ، وتخسر فيه اللثام ، لمخالفتهم القرآن والأحكام ، وعصيائهم الملك العلام . يوم عاشوراء تفرح فيه الأرامل والأيتام ، ويرحم فيه ذو الجود والإنعم ، ويغفر فيه السيئات والإجرام ، ويوجب لمن أطاعه دار الخلد والسلام فالله الله عباد الله إياكم أن يضرب الشيطان على قلوبكم الأفالم ، ويصدكم عن سبيل الكريم المتعال ، ويفتح في قلوبكم أبواب الفقر لتمتنعوا الزكاة من أموالكم ويؤول بكم - إن أطعتموه شر مآل ، يا أخي البخيل صاحب الشيطان الذليل ، يمنع الزكاة ، ويقل النعمات ، ويفوت نفسه جميع الخيرات . فعيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء فيا معاشر المؤمنين كونوا كراماً ولا تكونوا لثاماً فإن الكرام في جنة الخلد والنعيم ، واللثام في عذاب الجحيم فتقرموا إلى الله في هذا اليوم بأداء الزكوة ، وتطوعوا فيه بالنواب في الصلوات . فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والسيئات *

(١) أهل الفاقه : الفقراء .

صيامهم له

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا فيه على عيالكم وأهليكم » فمن وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أحد أحيا ليلة عاشوراء أو أصبح صائماً إلا مات ولم يذق طعم الموت ، يا أخى إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل فاعمل أنت في هذا اليوم من الطاعات لتبقى بركتها عليك ل يوم القيمة ، وما من عبد مؤمن أنفق في يوم عاشوراء درهماً أو مثقالاً إلا أخلف الله تعالى عليه في دنياه سبعين ضعفاً مثل ما أنفق ، وجعل نفقته زاده إلى الجنة فالله عباد الله اصنعوا في هذا اليوم المعروف وأعينوا الضعيف وأغيثوا الملهوف ، يغاثكم **الرب الرحيم الرؤوف ***

كل معروف صدقة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كل معروف صدقة ، والمعروف يقى سبعين نوعاً من البلاء ويقي ميتة السوء » والمعروف والمنكر من صوبان للناس في المحشر يوم القيمة ، فالمعروف لأهل يقودهم ويسوّقهم إلى الجنة ، والمنكر لازم لأهل يقودهم ويسوّقهم إلى النار . أعاذنا الله وإياكم من النار . فالله أحرصوا أن تكونوا من أهل الجنان ، ولا تكونوا من أهل النيران ، واجتهدوا في الخير والزيادة ولا ترضوا بالنقسان *

أهل المعروف

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى جعل للمعرف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعرف وحبب إليهم فعاله ، ووجه طلاب

المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه ، كما يسر الغيث إلى الأرض المجدبة ليعييها ويحيي أهلها ، وأن الله تبارك وتعالى جعل للمعرفة أعداء من خلقه بغض إليهم المعرفة وبغض إليهم فعاله ، وحظر على طلاب المعرفة الطلب إليهم وحظر عليهم إعطاءه كما حظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها ، وما يغفر الله عز وجل أكثر فالله يا أولياء الله يا أهل المعرفة . فكونوا من أهل المعرفة ، وأعينوا الفقير وأغشوا الملهوف ، فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث إنه رحيم رؤوف *

إخراج الزكاة

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات ، واعلموا أنه لما عظم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحب للمؤمنين فيه إخراج الزكوة ، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكوة ماله فأعطي في يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذي معه رغبة في فضل يوم عاشوراء إلا كتب من أهل الزكوة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطى مالاً حلالاً يذكر^(١) عليه . فلما ياكم يا عشر المؤمنين والمؤمنات أن يخدعكم الشيطان اللعين ، لأنه قد جاء في الخبر أن العبد إذا هم بإخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان في قلبه سبعين باباً من الفقر حتى يتحول بينه وبين إخراجه ، فإن من الله تعالى على العبد وأعانته حتى يغلب عدوه وشيطانه كان كمن هزم عسكراً من المشركين وقتلهم . ويدل على صحة هذا القول أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا آتى أوان الزكوة وعزم على إخراجها لبس درعه وتقلد بيشه وأخذ رمحه وركب فرسه فتقول الصحابة رضي الله عنهم مالك يا أبو الحسن لبست آلة حربك ؟ فيقول أنا خارج إلى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعني إخراج الزكوة فجهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر ، والشيطان لعن الله يريد أن يرده إلى فقر نفشك ، ويصدقك

(١) يذكر : أي ينموا ويزيد بأن يجعل الله فيه بركة وقد قال ﷺ : (ما نقص مال من صدقة) .

عما وعدك ربك جل جلاله حيث قال عز وجل ﴿ الشيطان يدعكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يدعكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾^(١) والله واسع العطاء لأنه جل وتعالى لا ينقص من ملكه ما يخلف على العبد المؤمن الذي يؤدي الزكاة ويتصدق من فضل ماله . قوله تعالى ﴿ عليم ﴾ أي عليم بما يفعله العباد من الخير والشر ، فمن أنفق من مال الله وسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى ، يقول المولى جل جلاله ﴿ وما أنفقت من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾^(٢) فالله الله عباد الله ثقوا بمولاكم جل جلاله في الخلف^(٣) ولا تطيعوا الشيطان الذي يدعكم الفقر والتلف *

اللعنة على مانع الزكاة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ينزل من السماء في كل يوم إثنان وسبعون لعنة على مانع الزكاة من هذه الأمة وقد سماهم الجليل جل جلاله كفاراً في قوله تعالى ﴿ ووَيْلٌ لِّ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٤) الذين لا يأتون الزكاة وهم بالأخرة هم كافرون ﴿٥﴾ وقد ذكر بعض العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذريعة من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الأغنياء من أهل البدو والحضر وعزل أموالهم ثم قال جل جلاله هذه أموال أعطيتها لكم وجعلتكم عليها أمناء فلا تشتبثوا بها عن أداء فرائضي وحقوقي ، ثم قال عز وجل للقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها (وديعة) في أموال الأغنياء وقال لهم عز وجل هذه أرزاق الفقراء من عبادي وديعة في أموالكم إياكم أن تفترسوا وتمسكون بهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبي

(١) البقرة ٢٦٨ .

(٢) سبا ٣٩ .

(٣) في الأصل وردت (في الخلق) وهذا لا يصح .

(٤) ووصف عباد المال بأنهم مشركون لأنهم عبدوه من دون الله .

(٥) فصلت ٦ ، ٧ .

وسخطي فإني قد ائتمتكم عليها *

وقال رسول الله ﷺ « ما من يوم إلا وملكان يناديان تحت العرش المال
مال الله والعباد عباد الله فإن جاء الفقراء عذب الله الأغنياء . فالله الله عباد الله
أوفوا لديه بالعهود ، وارغبوا في دار النعيم والخلود ، ومجاورة الملك
المعبد *

من شبع وجاع جاره

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات
شبعاناً وجاره جائعاً » وقد جاء في الحديث « إن الجار الفقير يتعلّق بجاره
الغني يوم القيمة ويقول : يا رب سل هذا الغني لم منعني معروفه ؟ وسدّ بابه
دوني ؟ » وفي حديث آخر أنه يقول « يا رب سل هذا لم بأت طاعماً ويت إلى
جنبه طاوياً ؟ » .

ومما يصدق هذا أن رسول الله ﷺ قال لأُسامة بن زيد في وصيته « يا
أُسامة إِيَّاكَ وَكُلَّ كَبْدٍ جَائِعٍ تَخَاصِمَكَ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَقُولُ مَا آمَنَ بِي مِنْ بَاتِ
شبعاناً وجاره طاوياً إِلَى جَنْبِهِ » *

وقال رسول الله ﷺ « أَيُّمَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارٌ مُسْلِمٌ بَاتَ جَائِعاً وَهُوَ يَعْلَمُ
بِجُوعِهِ وَعِنْدَهِ فَضْلٌ وَلَمْ يَشْبِعْهُ فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَمَةِ رسولِ اللَّهِ
ﷺ » فيما لها من خسارة لم نتذرّ بها بعقولنا ، فكم بين أظهرنا من مسكون
وضعيف ، وزمن^(١) لا يمتلكون قيمة رغيف ، فالله الله لا تغترروا بالعز
والمال ، وتضيّعوا للفقراء وأهل الإقلال ، فإن غاية كل شيء الإنقلاب
والانتقال ، والنفاد والزوال . وقد ذكر في تفسير هذه الآية ﴿ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمْ
الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾^(٢) قيل يحرصن العبد على جمع الحطام ، والسحت

(١) الزمان : الذي أنحى عليه المرض ولم يوجد شفاء لعلته .

(٢) البقرة ٦١ .

والحرام ، وكل من أدي زكاة ماله فهو كريم ، قد برىء من وعد الشيطان
الرجيم ، ووثق بوعد العزيز الرحيم ، ونجا من العذاب الأليم *

الحديث في ذم الشح

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ». وأنشدوا :

صافي الكريم فخير من صافيته من كان ذا كرم وكان عفيفاً
إِنَّ الْكَرِيمَ إِنْ تَضَعُضَعَ^(١) حَالَهُ فَالْفَعْلُ مِنْهُ لَا يَزَالُ شَرِيفًا

روي عن النبي ﷺ أنه كان يطوف بالبيت فإذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي . فقال رسول الله ﷺ « ما ذنبك ؟ صفه لي » فقال الرجل هو أعظم من أن أصفه لك يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : « ذنبك أعظم أم الأرضون » ؟ قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ « ذنبك أعظم أم الجبال ؟ » قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ « ذنبك أعظم أم السموات ؟ » قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ « ذنبك أعظم أم الله ؟ » قال بل الله أعظم وأجل ، فقال رسول الله ﷺ « ويحك فصف لي ذنبك » قال يا رسول الله إني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني شيئاً فكأنما يستقبلني بشعلة من نار^(٢) قال رسول الله ﷺ « إليك عنِي لا تحرقني ب النار ، والذى بعثنى بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام ، ثم صليت ألف عام وألف عام ، حتى تجري من دموعك الأنهاres ، وتسقى بها الأشجار ، ثم مت وأنت لثيم لأكبك الله في النار ، ويحك أما علمت أن البخل كفر والكفر في النار ، وويحك أما علمت

(١) تضعضع حاله : ساء حاله .

(٢) هذه جلته وسجنته ، وما أصعب ما تتمكن الصفات من الغرائز فتصبح لصيقة بكيان الإنسان ، ومن مشاهد حياتنا اليومية أن بعض الناس بلغ بهم البخل درجة كبيرة حتى أنهم لا يطيقون أن يروا إنساناً يتصدق بشيء من المال .

أن الله تعالى قال ﴿ وَمَنْ يَسُقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١)
وأنشدوا :

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا ماتَ يَتَّبِعُهُ سُوءُ الثَّنَاءِ وَيَحْرُويُ الْوَارِثُ الْإِبْلَأِ
يَرَى الْبَخِيلَ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجُودَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

عظة في الحض على الزكاة

فَاللَّهُ اللَّهُ يَا مَعْشِرَ الْمُؤْمِنِينَ كُوْنُوا مِنَ الْأَسْخَيَاءِ الصَّالِحِينَ ، وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الْبَخَلَاءِ الْفَاسِقِينَ ، فَالْبَخِيلُ هُوَ شَرِيكُ الشَّيْطَانِ الْلَّعِينِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٢)
﴿ وَشَارَكُوهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^(٣)
فَكُلُّ مَا لَا تَؤْدِي زَكَاتُهُ فَصَاحِبُهُ خَازِنُ الشَّيْطَانِ^(٤) ، وَكُلُّ مَا لَا أُخْرَجَتْ زَكَاتُهُ
فَصَاحِبُهُ عَدُوُ الشَّيْطَانِ ، حَبِيبُ الرَّحْمَنِ ، وَامْلَ بِالسُّنْنَةِ وَالْقُرْآنِ ، وَنَاجَ مِنْ
عَذَابِ النَّيْرَانِ ، وَدَخَلَ فِي نَعِيمِ الْجَنَانِ . فَكُلُّ مَا ماتَ وَتَرَكَ مَالًا قَدْ أَدَى
زَكَاتَهُ فَإِنْ صَاحِبُهُ لَا تَزَالُ الْمَلَائِكَةُ تَكْتُبُ لَهُ الْحَسَنَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَكُلُّ
مَا ماتَ وَتَرَكَ مَالًا لَمْ يُؤْدِ زَكَاتَهُ فَلَا يَزَالُ وَزْرُهُ يَجْرِيُ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
وَإِنْ وَصَلَهُ وَقَعَ الْمَالُ عِنْدَ مَنْ يَزْكِيهِ ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ أَدَى زَكَاتَ مَالِهِ بِطِيبٍ مِنْ
نَفْسِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَالَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ طَرْفَأَنَّ نُورَ الْجَنَّةِ يَضِيءُ لِأَهْلِ
الْجَمْعِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَجْرِيُوا الصِّرَاطَ وَيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ لَا
يُؤْدِي زَكَاتَ مَالِهِ إِلَّا طَرْفَأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَطْوَقَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ لَوْا أَنْ ذَلِكَ الطَّرُقُ
وَضَعُ فِي الدُّنْيَا لَا حَرَقَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا وَتَقْطَعَتِ جَبَالُهَا وَجَفَتِ بَحَارُهَا . فَوَاللَّهِ لَوْ

(١) الحشر ٩ .

(٢) الإسراء ٦٤ .

(٣) ويُعْصِيُ الْعُلَمَاءُ يَكْفِرُونَ الْبَخِيلَ وَالَّذِي لَا يُؤْدِي الزَّكَةَ إِذَا أَنَّهُ عَادَةٌ مِنْ تَسْوِيفِهِ هَذِهِ الْخُصُّلَةِ
اللَّدْمِيَّةِ يَعْزِيُ حِرْصَهُ عَلَى الْمَالِ إِلَى خُوفَهُ مِنَ الْأَيَّامِ وَهُوَ بِذَلِكَ لَا يَتَوَكَّلُ عَلَى فِي كُونَ قَدْ خَرَجَ
عَنِ الْمُلْكَ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : - ﴿ لَنْ تَالُوا الْبَرَ حَتَّى تَنْفَعُوا مَا تَحْبَبُونَ ﴾ .
وَلَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَالِ وَالْدُّنْيَا إِلَّا أَحْمَقَ مَأْفَوِنَ ، لَا يَعْرِفُ وَلَا يَقْدِرُ الْعَوْاقِبَ وَالْعَاقِبَةَ لِتَقْوِيَ .

لم يكن فخر الكريم السخي إلا ذكر الله تعالى له في كتابه لكتفي في قوله تعالى « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » فاغتنموا هذا اليوم الفاضل فهو يوم تعرف فيه الكرام ، وتفضح فيه اللثام . وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وهو يوم النفقة في الله فيه مخلوفة ، والنفقة فيه في غير الله متلوفة . فإذا كان هذا اليوم تخلف فيه النفقات ، فأولى أن تغفر فيه الخطيبات ، وتتضاعف فيه الحسنات وينجي الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وتظهر فيه السرائر والخفيات . وأنشدوا :

يا جامع المال يرجو أن يدوم له كل ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلاث مالي للمساكين
روي أن النبي ﷺ سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح ، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » *

من خلف ثروة بيت المال

ذكر أن رجلاً مات بالمدينة من أهل اليمن وخلف مالاً كثيراً فأخبر بخبره رسول الله ﷺ فقال : « هل من وارث ؟ » فقالوا لا يا رسول الله ، فقال ﷺ : « من لا وارث له فماله لبيت مال المسلمين » فأمر رسول الله ﷺ أن يحضر المال ، فجيء بالمال إلى المسجد فوضع حتى غاب رسول الله ﷺ من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر من حلى وذهب وورق وثياب . فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا المال إلى بيت مال المسلمين » فرفع كما أمر رسول الله ﷺ ، فالتفت عبد الله بن عمر رضي الله عنه في المسجد فوجد فرصة من ذهب فيها قيراط فقال : يا رسول الله هذه من ذلك المال ، فأخذها رسول الله ﷺ ووضعها في كفه وجعل يقلبها في يده ثم قال ﷺ « لو تصدق بها في حياته حين كان صحيحاً شحيحاً يأمل العيش ويخشى الفقر كانت أحب إليه

من هذا المال كله يعطى من بعده في سبيل الله » فالله الله عباد الله اسمعوا صواب المقال ، وبادروا إلى حسن الفعال ، ولا تغتروا بالعز والمال . فإن المال يذهب ، والدنيا تخرب ، ونفسك تموت ، والممرد غداً إلى الحي الدائم الباقي الذي لا يموت . وأعلم يا أخي أنك مرتئن بالذنب ، وأنت محاسب مطلوب ، مسئول بين يدي علام الغيوب ، فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجدال ، في يوم تشيب فيه الرؤوس ، وتضيق من فطاعة هولة النقوس ، ذلك يوم هائل عبوس . يوم تضع فيه الحوامل أحmalها ، وتزلزل الأرض زلزالها ، وتخرج بأمر الله بعد ذلك أثقالها . يا مغرور يا مسكين ، ظلمت الفقراء والمساكين^(١) ، وتركت مالك للوارثين ، ولم تخف من عقوبة رب العالمين ، يوم يقتضي للمظلومين من الظالمين . وأنشدوا :

ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت وفاته ثلث مالي للمساكين
روي أن النبي ﷺ سُئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: «أن تصدق وأنت صحيح حريص شحيح، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقون قلت لفلان كذا ولفلان كذا» *

| | |
|------------------------|--------------------------|
| يخشى عليهم شمت حساده | يا جامع المال لأولاده |
| يفتر بالله وإعاده | ولا يبالي كيف كان الغني |
| إن أنت لم تعمل بأضداده | اسمع مقالاً سوف تحظى به |
| وابتعوا منهاج إرشاده | بنوك إن لاذوا بمولاهم |
| والله لا خلف لم يعاذه | فالله يكفيهم ويحميهم |
| وقابلوا الدين بإنفاقه | وإن يحيدوا عن سبيل الهدى |

(١) وما يجوع فقير أو مسكين إلا بقدر ما يشع ويطعم ويتحم غني ، ذلك لأن رزق الفقير والمساكين في مال هذا أو ذاك البخيل الغني في الدنيا المفلس في الآخرة ، لأنه قد حبس عن هذا الفقير أو المسكين رزقه . ولذلك فقد جعل الله سبحانه وتعالى المال فتنة لابتلاء الناس فيه ولابتلاتهم به قال تعالى : - « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » .

فقد يكن مالك عوناً لهم في طاعة اللهو وأجناده

قبل وقف رجل في حلقة منصور بن عمار في يوم عاشوراء فقال : أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل ، وأنفق^(١) من كفاف ، وآثر في فاقة . فقال لهم منصور : عشر الناس ما ترك منكم أحداً . فلم يكن أحد في المجلس إلا واساه ، قال منصور بن عمار : اللهم عجل لهم بالخلف في الدنيا والثواب الجليل في الآخرة ، قال منصور فلقد افتقدت أهل مجلسي كلهم واحداً بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلا من قال : أخلف الله على سبعين ضعفاً مما أعطيت . قال منصور فأخذتني عيناي فنمت فرأيت قائلاً يقول : أبشر يا منصور قد غفر الله لجميع من كان في ذلك المجلس فأخبرهم بذلك ، وقد غفرت لك فأنت الذي دللتهم على الخير فالله الله يا عباد الله تفضلو على أنفسكم بأموالكم فليس أحد منكم أحق بها من نفسه *

تحذير من البخل

ذكر في بعض الأخبار أن ملكاً ينادي كل يوم تحت العرش ، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر^(٢) . وأنشدوا :

الموت لا تدرى متى يغشاكا
لا تؤثرن بما جمعت سواكـا
إن البنين مع البنات رأيتهم
يتطلعون ويشتهون فناكـا
من كان يعلم أن مالك ماله
بعد الممات فلا يحب بقاكـا
فالله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا في ثواب يوم فضله الرحمن^(٣) ،

(١) في الأصل (وامسك) وهو تعريف .

(٢) وفي مسرح الحياة نرى الحياة لا تهون إلا على الفقراء فغالباً ما نراهم حريصين إلى أداء الزكاة المفروضة عليهم ويصدر رحباً ونفس راضية ، بينما نرى الأغنياء لا يخرجون منها إلا التبذير اليسير قليلاً يخرجون من كثير مفروض عليهم وحسابهم على الله يوم التقاد .

(٣) ويقول أحد الفلاسفة : - (لم أجد أكثر الناس عطاءً من البخلاء ، لأنهم ما حرموا الناس بعض

ووعد من أدى زكاة ماله جنة الرضوان ، وأناب مؤدي الزكاة إخلاصاً
لِلإِيمَان ، وذم مانع الزكاة وجعله من أهل الكفر والخذلان ، وبين ذلك في
القرآن . وأنشدوا :

يا جامع المال في الدنيا لوارثه هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع
قدُّم لنفسك قبل الموت في مهلي فإن حظك بعد الموت ينقطع

من أقرض الله فقضى عهده له

ذكر أن رجلاً دخل بعض الأسواق في يوم عاشوراء فسمع سائلاً يقول :
(من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيقضى عهده له وله أجر كريم)^(١) قال فقام
إليه رجل من التجار فأعطاه عشرة دنانير ، فلما كان العام القابل إذا بالرجل
السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة ؛ فقال الرجل
الذي رأه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير . يا أخي أقسمت عليك أما أنت
الذي أعطيك فلان التاجر العشرة دنانير عام أول في يوم عاشوراء ؟ قال نعم ،
قال قلت ألم تك فقيراً ذلك اليوم ؟ قال بلـ ! قال قلت له فما أغناك ؟ قال لما
علم الله صدق نيتـي وأني ما أخذـت الصدقة إلا وأنا محتاج ، وعلم الله تعالى
طيب نفس المتصدق بإعطائه باركـ لي في تلك العشرة دنانير وأتمـها لي حتى
وجبت علىـ اليوم عشرة دنانير زكـة فيـ مالي قال فلما سمعـت منه ذلك مضـت
إلىـ الرجل الذيـ كان تـصدقـ عليهـ بالـعشرةـ دـنانـيرـ فـقلـتـ صـفـ ليـ قـصـتكـ فيـ
الـعامـ المـاضـيـ فيـ يـومـ عـاشـورـاءـ إـذـ جـاءـ الرـجـلـ الـذـيـ قـالـ . ﴿ـ مـنـ ذـاـ الـذـيـ
يـقـرـضـ اللهـ قـرـضاـ حـسـناـ فـيـ قـضـىـ عـهـدـهـ لـهـ وـلـهـ أـجـرـ كـرـيمـ ﴾ـ ، فـقـالـ الرـجـلـ
المـتصـدقـ إـنـ هـذـهـ الـآـيـةـ وـقـعـ فـيـ نـفـسـيـ إـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ سـيـخـلـفـ عـلـيـ فـيـ

= الذي منعوا حتى يعطونهم في لحظة كل الذي جمعوا .
والكريم بسخائه ينفع نفسه وينفع غيره ، ولكن البخيل يؤذى نفسه وينفع غيره .

(١) الحديد ١١ .

الدنيا ويومني في الآخرة الأجر الكريم فبت على هذه النية فرأيت ربي جل جلاله في منامي وهو يقول يا عبدي قد أنجزت الأمرين وقد أوجبت لك الجنة *

يوم عاشوراء وقتل الحسين

فالعجب كل العجب من بعض جهله الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمونه يوم النحس^(١) لقتل الحسين رضي الله عنه فيه ، وهذه غاية السخافة في الجهلة وفي معايدة الأخبار عن رسول الله ﷺ وببالغة في الرد على صاحب الشريعة في قوله بفضائل يوم عاشوراء ، ولو لا البغي والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضي الله عنه إذا استشهد في مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب في ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله ، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين .
هذا ورسول الله ﷺ أخبره جبريل عليه السلام بقتله *

الحسين وجده

قالت أم سلمة رضي الله عنها^(٢) كان رسول الله ﷺ مع الحسين في منزله إذ دخلت عليهما فطالعتهما من الباب فإذا الحسين على صدر رسول الله ﷺ يلعب وفي يد رسول الله ﷺ قطعة من طين ودموعه تجري على خديه ، فلما خرج الحسين دخلت إليه وقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أطلعت عليك وفي يدك طينة والصبي على صدرك وأنت تبكي ؟ ! فقال لها النبي ﷺ إني لما فرحت به وهو على صدري يلعب إذ أتاني جبريل عليه السلام وناولني (الطينة) التي يقتل عليها الحسين ، فلذلك بكيت » *

(١) وما ذنب يوم عاشوراء في قتل الحسين ؟ إن في يوم مولد رسول الله ﷺ ولدآلاف المشركين ، فهل ينفعهم ذلك بشيء ؟؟
(٢) هي أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ .

رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين

وقيل رأى ابن عباس رضي الله عنه في منامه يوم قتل الحسين ، رسول الله ﷺ وبيده قارورة وهو يلتفت شيئاً من الأرض قال فقلت له ما هذا يا رسول الله ، قال قتل ولدي الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم التقط دمه من الأرض وأجمعه في القارورة وأرفعه إلى الله تعالى . فكان كما رأى رضي الله عنه^(١) وقيل لما خرج الحسين إلى العراق خوفه أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنسا يقول :

سأمضي بما في الموت عاز على الفتى إذا ما نوى حقاً وحارب مجرماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبوراً^(٢) ووافق مسلماً
وجاهد في الرحمن حق جهاده كفى بك ذلاً أن تعيش فتغرماً
فلما قدم الكوفة استقبله الفرزدق فقال له الحسين : ما وراءك يا أبا
فراص ؟ قال أصدقك أم لا ؟ قال الصدق أريد ، قال أما القلوب فمعك ، وأما
السيوف فمع بنى أمية عليك . قال له الحسين . ما أراك إلا صدقت إن الناس
عيid المال ، فالذين نفق على ألسنتهم يحوطونه ما ردت به معاشهم ، فإذا
تحولوا لِإِبْلَاء قل الديانون . ثم التفت إلى أصحابه وقال . على الخبر
سقطنا .

آيات ظهرت لمقتل الحسين

وقال الحسن : لم نر هذه الحمرة في السماء إلا حين قتل الحسين .
ووُجِدَ على حائط قسطنطين :

* أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جدِّ يوم الحساب *

(١) أي مات في اليوم الذي رأه فيه ابن عباس .

(٢) المثبور : الهالك .

ويقال ناحت الجن على قتل الحسين سبعة أيام حتى سمعت من تحت
السبعين أرضين ، وأبكت الملائكة أجمعين *

حكاية غريبة

وقال الحذاء بن رباح القاضي : رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل
الحسين وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره ؟ قال فكان يقول .
شهدت قتل الحسين ولكنني لم أضرب بسيف ولم أرم بسهم ، فلما قتل
الحسين رجعت إلى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت ، فأتأني آت في
منامي فقال لي أجب رسول الله ﷺ ، فقلت ما لي وله ؟ فأخذني وجذبني
جذبة شديدة وانطلق بي إليه ، فإذا رسول الله ﷺ جالساً في المحراب مغتماً
حاسرًا عن ذراعيه ^(١) أخذنا بخده وبين يديه نطع ^(٢) وملك قائم بين يديه ، وبين
يدي الملك سيف من نار وكان لي تسعه من الأصحاب فقتل أصحابي التسعة
كلما ضرب الملك أحداً التهبت نفسه ناراً ، فكلما قام الملك صاروا أحياء
فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات ، فدنت من النبي ﷺ وحيوت
إليه فقلت السلام عليك يا رسول الله ، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح
ولا رميت بسهم ، فقال لي صدقت ولكن كثرت السواد ، أدن مني فدنت منه
إذا طشت مملوء دماً من دماء الحسين ، فكحلني من ذلك الدم فانتبهت
أعمى لا أبصر شيئاً .

حكاية عن قتلة الحسين

وقال الفضل بن الزبير : كنت قاعداً عند السدى فجاءه رجل فجلس إليه
فإذا منه ريح قطران ، فقال له السدى : أتبיע قطراناً ^(٣)؟ قال لا . قال له ما هذه

(١) حاسراً عن ذراعيه : كاشفاً عنها .

(٢) النطع : جلد عليه غبار ورماد كثي .

(٣) القطران : الرفت .

الرائحة ؟ قال شهدت عسكر عمر بن سعد^(١) فكنت أبيع منهم الأوتاد الحديد ، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت في العسكر فرأيت رسول الله ﷺ في النوم والحسين وعلي معهم وهو يسقي الماء من قتل من أصحاب الحسين ، فاستسقته فأبى أن يسقيني ، قال : فقال لي : ألسن من أغان علينا ؟ فقلت بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد ، قال : فقال لعلي أسلقه قطراناً^(٢) ، قال فناولني قدحاً فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبواب القطران ، ثم ذهب ذلك عني وبقيت هذه الرائحة علي . قال فقال له السدي : كل خبز البر وكل من كل النبات واشرب من ماء الفرات فما أراك تعain الجنّة ولا محمد أبداً » *

من استخف بالحسين

حكي أن رجلاً من شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال - وعلى وجهه الإستخفاف - : ما أكثر ما يكذب أهل العراق ويقولون : إنه لم يشهد قتل الحسين أحد إلا أصيب بباء ، وإنني حضرت يوم قتيله ولم يصبني بباء ولا شيء ، قال وكان ضيفاً عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح فاشتعل ناراً ومات على المكان *

بر سليمان بن عبد الملك للحسين

وحكي عن الحسن البصري أنه قال : رأى سليمان بن عبد الملك في النوم أنه ييره ويلاطفه ، فسأل الحسن عن ذلك فقال لعلك فعلت إلى أهل بيته معروفاً ؟ قال نعم ؟ إني وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوه خمساً من الدّيّاج وصلّيَت عليه في جماعة من أصحابي وقبرته . فقال

(١) عمر بن سعد كان هو واللعين شمر بن ذي الجوشن الذي ذبح الحسين من أشد الناس عداوة لأهل بيته رسول الله فرأى فيما يزيد بن معاوية إخلاصاً غريباً له فجعلهما يتصديان للحسين رضي الله عنه ، فلم تأخذهما به شفقة ولا رحمة .

(٢) والقطران هو غذاء وشراب أهل النار .

الحسن : إن رسول الله ﷺ قد رضي عنك بسبب ذلك ، فأحسن إلى الحسن البصري وأمر له بالجوائز . فعليكم بحفظ مقام الأشراف ولو كانوا في غاية الإسراف .

في قتل الحسين

ورأيت في كتاب التعازي والعزاء من وضع أبي محمد عبد الله بن محمد البللوري أن الحسين رضوان الله عليه استسقى ماء حين قتل فمنع منه قتل وهو عطشان ، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة ، وذبح^(١) ذبحة وسبيت^(٢) حرمه وحملن مكشفات الرؤوس على الأكف بغیر وطاء حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهن على رمح ، إذا بكت إحداهن عند رؤيتها ضربها حارس بسوطه ، ووقف أهل الذمة لهن في سوق دمشق يتصدون في وجوههن حتى وقفن بباب يزيد ، فأمر برأس الحسين فتنصب على الباب وجميع حرمه حوله ووكل به الحرس وقال : إذا بكت منهن باكية فالطمومها : فظللن ورأس الحسين بينهن مصلوب تسع ساعات من النهار وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين فبكت وقالت يا جداه - ترید رسول الله ﷺ - هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت ، فرفع يده بعض الحرس ولطمها لطمة حصر وجهها ، وشلت يده مكانه وفي هذا يقول الأزدي :

سبا ياهم في الحرب آل محمد
فأعقبهم لعنةً بدين التهود
عليه سلامُ الله من متهدِّجٍ
هدي الله منا بالنبي كل مهتدٍ
بنو اللعن إذعنوا لهم بالتهدي^(٣)

لقد ضلَّ قومٌ أصبحوا في تلذِّيدٍ
كما ضلَّ شعى الناكبين بعجلهم
وموسى وعيسى بُشّراً بمحمدٍ
أياً أمةً إسلامٌ يا أمَّةً الذي
وثوب لأبناء النبي فلو ترى

(١) ذبحه المجرم اللعين شمر بن ذي الجژش .

(٢) سبيت حرمه : أبىرن وأخذن إماء .

(٣) بنو اللعن : هم اليهود المنضوب عليهم .

بسوق دمشق يبصرون وجوههم فداء لها نفسي وما ملكت يدي
فما جرى دمعي يا حبيبي بناضب ولا زند ودي للحسين بمصلد^(١)

عمرو بن الليث

وقيل إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوماً فرأى كثرة عسکره وكان يحمل بين يديه إثنا عشر ألف عمود من ذهب ، تحت كل عمود قائداً من حشمه تحت يده ألف فارس فلما رأى ذلك اغروا قت عيناه بالبكاء وقال في نفسه : يا ليتني وقت قتل الحسين بن على مع هؤلاء فكنت أفاديه بنفسه ومالي وحشمي ، فرأى بعض الصالحين في منامه رسول الله ﷺ ، فقال له قل لعمرو بن الليث : أطلعنا على ما خطرك بقلبك وقبلنا منك ، وأعطيك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل . فجاءه فأخبره بكاء شديداً *

من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه ، قال وهب بن منبه : أنزل الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء ، وذلك أن الله تعالى أسكن آدم الجنة وختمه بخاتم العز وقال يا آدم هذا خاتم عهدي فإذا نسيت عهدي يا آدم أخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائي من لا ينسى عهدي وأورثه خلافتك ، ففرغ آدم وقال يا ربِّي من هذا الذي تورثه خلافتي ؟ قال الله تعالى ولدك سليمان ، أسلمه من الكبر وأجعله مثلاً للمردة من ولدك الذين يفسدون في أطراف الأرض ويسمون أنفسهم ملوكاً في أكتافها . فأخذه آدم عليه السلام فتختم به فكان يضيء لسوره أشجار الجنة ، وتضحك حور الجنان ، وتميل الخزنة لرُؤْيَته عجبًا منه ومن حسن وجماله فسبحان من أكرمه وأصطفاه ﷺ حتى عصى ربِّه ونسى عهده طار الخاتم من أصبعه طيراناً فرعاً

(١) هذه الأبيات قوية التعبير تدل على عاطفة جياشة قوية ووزنها مستقيم .

مذعوراً حتى استجبار برken من أركان العرش وأنطق الله الخاتم فقال : إلهي وسيدي هذا آدم قد رفضني وأنت قد ظهرتني به وجعلتني لأهل الطهارة ، فقال الله جل جلاله استقر فلك الأمان ، وسنجعلك لمن نسلمه من الكبر ونعزه بك على أن لا يملكك أحد بعده أبداً ، فلما أصطفى الله سبحانه سليمان عليه السلام^(١) بالخلافة والولاية وأحب أن يرى عباده قدرته جعل عن سليمان عليه الصلاة والسلام في ذلك الخاتم وأنزله الله سبحانه إليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة ، وسليمان قائم في محرابه وخلفه إثنى عشر سبطاً في كل سبط إثنى عشر ألفاً من العلماء والحكماء والقضاة من أهل التوراة والزبور ودراسة الكتب إلا أصحاب البرانيس والعكاكيز فقد أظلهم الطير من فوقهم فيما سليمان عليه السلام في قراءة الزبور إذ ناداه جبريل عليه السلام *

خاتم سليمان

وقال له السلام عليك يا سليمان هذه هدية الله إليك ، خذ هذا الخاتم فتختتم به ، فسجد سليمان لله رب العالمين شكرأً وسجد من خلفه من أول النهار إلى آخره تعظيمأً لله عز وجل وتحميده له حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع إليهم الخاتم فلمع في يده كالبرق الخاطف فقال لهم : هذا خاتم جمع الله لي فيه سلطاني وعزتي وفضلني به على العالمين ، وهو خاتم الطاعة لا يمسه إلا عزيز تقي نقى قالوا له : قد أدينا لك طاعتنا وأنت العزيز التقي الأمين ، وكان على ترييع الخاتم مكتوب على الجانب الأول ؛ أنا الله لم أزل وعلى الثاني ، أنا الله الحي القيوم ، وعلى الثالث ، أنا الله العزيز لا عزيز غيري وعزيز من ألبسته إيه ، وعلى الرابع آية الكرسي ، محيط به لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم الأنبياء . بهذه صفة خاتم سليمان عليه السلام *

(١) وقد أصطفى الله سبحانه وتعالى سليمان وداود وختصهما بالملك والتبوة معاً ، وكانا مع هذا الملك العظيم في غاية القرب من الله سبحانه وتعالى ، تأمل قول سليمان عليه السلام : -
(ذلك من فضل ربي ليبلوبي الشكر أم أثغر).

كيف نجا اسير

وحكى أن أسيراً كان بأيدي الكفار وكانوا يعذبونه ، فلما كان في يوم عاشوراء قال اللهم بحرمة هذا اليوم عليك إلا ما فرجت عنِّي ، قال فلطف الله به وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وأفرجوا عنه ، وقيل خرج أسيير في يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه ، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي بحرمة هذا اليوم أسألك أن تنجيني وتحفظني منهم ، فأعمى الله أبصارهم عنه فنجا ، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئاً يفطر عليه عند الليل فنام وأطعم وسقى في النوم لفضل يوم عاشوراء . فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب . وهذا رحمة الله من فضل يوم عاشوراء^(١) فاعرفوا حقه وارغبوا في فضله ، لا حرمنا الله فضله وغفر لنا فيه ما أسلفنا من الأوزار والذنوب ، وستر علينا ما أتينا من القبائح والعيوب *

دعوات صالحة

اللهم كما تبت على آدم في يوم عاشوراء فتب علينا ، وكما نجيت عيسى من الأعداء فنجنا . وكما رفعت إدريس مكاناً عالياً فارفعنا ، وكما لعنت فيه إيليس فأعذنا من سخطك وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهايبيل^(٢) واجعلنا يا رب من أحبابك كما فعلت بالخليل *

(١) عباد الله ، هذا يوم مبارك محمود فتحلوا فيه بجميل الخصال وجليل المكارم وصوموا يومه وقوموا ليه واضرعوا إلى الله سبحانه وتعالى وأسألوه من فضله العظيم وخيرة الع溟 أن يشملنا برحمته ورضوانه . أمين .

(٢) هايبيل : أحد ولدي آدم وقد كان صالحًا اعتدى عليه أخوه فقتلته لأن هايبيل قدم قرباناً فقبل منه ولم يتقبل من أخيه قabil ، نفس عليه وحده على كرامته عند الله .

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم ، وأهلك
أعداءنا كما أهلكت أعداء موسى في اليم^(١) *

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى ، وأنزل علينا السكينة والوقار
في دار الدنيا * .

اللهم اكشف عننا الضر والبلوى ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير
والعمى^(٢) .

اللهم وإذا أخرجتنا من سجن الدنيا فأكرمنا بملك البقاء ورد علينا ما
فاتتنا من طيبات التقى *

اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنبينا وما تأخر وما أعلنا وما أسررنا وما أنت
أعلم به منا برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم يا عmad من لا عmad له ويا ذخر من لا ذخر له ويا حرز من لا حرز
له ويا ناصر من لا ناصر له يا مؤيد قلوب العارفين ويا مستراح مذاهب
المتوكلين ويا شاهد مجالس الخائفين ويا مقيل عشرة العاثرين ويا أرحم
الراحمين أجب دعاعنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا .

اللهم اجعلنا من شملته رحمتك وناله عفوك وعد على ما تعلم من
ذنبينا برحمتك وعلى ما سلف^(٣) من تقصيرنا عن طاعتك ما وعدتنا من
الإحسان من نفسك يادا الجلال والإكرام *

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك ووخدناك كريماً فدعوناك
ولقيناك رحيمًا فسألناك *

(١) اليم : البحر .

(٢) يقصد بذلك سيدنا يعقوب ، مع أن ما أصاب سيدنا يعقوب كان (عمي هستيري) من جراء
حزنه على فراق يوسف .

(٣) ما سلف : ما سبق .

اللهم فكما منت علينا بالستر والعافية في حال الذنب والمعصية لا تحرمنا المغفرة والرحمة في حال التضرع والاستكانة سيدنا ومولانا ارحم في هذه الدنيا غربتنا وارحم عند الموت صرعتنا وأنس في اللحد وحشتنا ، وارحم بين يديك ذل موقفنا ، واغفر لنا ما خفي على الناس من أعمالنا *

اللهم انظر إلينا نظرة الرضا وأعذنا من نظرة الخزي والعلل *

اللهم لا تجعلنا من صرفت عنه وجهك ، ومحوت عنه عفوك ، وأغلقت عنه باب التوبة ، وقطعت من يديه أسباب العصمة^(١) وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه ، ووكلته إلى نفسه ، إنك على كل شيء قادر *

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار *

اللهم يا ربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين واحفظنا واحفظ علينا ما رزقنا وبارك لنا فيما أعطيتنا ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سلطاناً ولا سبيلاً يا أرحم الراحمين *

اللهم يسرنا لليسرى وجنينا للعسرى *

اللهم إنا نسألك من فضيلك وعطيك رزقاً طيباً مباركاً فيه *

اللهم اهدنا للهدي وقنا بالتقوى واغفر لنا مغفرة واقية في الدنيا والأخرى *

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته ، ولا ديناً إلا قضيته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا غائباً إلا أدننته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلا قضيتها .

اللهم أذْ دِينَ الْمُدِينِينَ ، وَفَرِّجْ عَنِ الْمَهْمُومِينَ وَالْمَكْرُوبِينَ ، وَأَكْتُبْ سَلَامَةَ الْمَسَافِرِينَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ أَجْمَعِينَ ، وَجَازِ اللَّهِمَ خَيْرَ الْمُحْسِنِينَ *

(١) العصمة : الحفظ والسلام ، قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ (والله يعصمك من الناس) .

اللهم إن نواصينا بيدك وقلوبنا في قبضتك تعلم من قبلنا ومثوانا وسرنا
ونجوانا إليك مردنا ومصيرنا أنت فوق العباد بعزمك ؛ أنت الخالق ونحن
المخلوقون ، وأنت المالك ونحن المملوكون أنت الرب ونحن العبيد ، أنت
الغني ونحن الفقراء اسمع دعاءنا ولا تقطع منا في كل ما سألك ورغبتنا إليك
رجاءنا فإن ذلك عليك يسير ، وأنت نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وصلى
الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات
المؤمنين وهو حسينا ونعم الوكيل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنسب^(١)*

. ٣٥) النور (١)

١٦ - مجلس في قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾

قلب المؤمن

مثل ضربه الله المولى البصیر السميع ، لقلب العبد المؤمن المطیع ، وما أودعه من الإیمان ، والمعرفة في القرآن ، من نور الملك الرحمن . فقال خالق الطول والعرض ، الذي عبد بالنواقل والفرض ﴿الله نور السموات والأرض﴾^(١) أي بنوره جل جلاله يهتدي من في السموات والأرض . ثم قال تبارك وتعالى ﴿مثلك نوره﴾ يعني النور الذي جعل في قلب المؤمن ، وهذا قول جمهور المفسرين ﴿كمشکاة﴾ يعني قلب المؤمن ، والمشکاة هي الكوة غير نافذة ، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج ولا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج ، فإذا كان المصباح في زجاجة صافية في كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذًا فتكون الكوة أكثر نوراً مما لو كانت نافذة ، وهذه مبالغة من الله في وصف قلب المؤمن ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضرورةً مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإیمان في قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة في خلق السموات والأرض وفي عظمة الله تبارك وتعالى ، فإذا كان العبد كذلك

(١) النور ٣٥ .

تمكّن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام ، ويتجنب الفواحش والآثام ، من كثرة النور الذي جعله في قلبه الملك العلام . فهذا الصنف الذي أثني عليه الله في كتابه العزيز . فقال الله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَابْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾^(١) ثم نعمتهم^(٢) المولى بالذكر والتذكرة فقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًاً وَقَعْدًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) إلى قوله ﴿عَذَابُ النَّارِ﴾ فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهدي إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصي ، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه . فاستعملوا قلوبهم بالفكرة ، وجالت أصارهم في مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئاً من المنكرات ، ولا يضيع شيئاً من

الطاعات *

النور هو الهدي

قال بعض أهل العلم : أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدي ، وليس المراد به نور شعاع ولا ضياء لأن الله تبارك وتعالى لا يوصف بلون من الألوان ، ولا يشبه بملك ولا إنسان ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(٤) وقال بعض العلماء : هذا مثل ضربه الله بارك وتعالى في وصف نور محمد ﷺ الذي هدى به المؤمنين ، واستنقذهم به من موارد الهالكين ، لأن الله تعالى رحم بمحمد ﷺ العباد ، وأنقذهم به من جهنم وبئس المهداد . وأوجب لهم الإلتقاء بنور الجنة ، وأعظم عليهم به

(١) آل عمران ١٩٠ .

(٢) نعمتهم : وصفهم .

(٣) آل عمران ١٩١ .

(٤) أسمع به وأبصر ، فالله يسمع ويبصر ولكن ليس كسمعينا أو بصارنا حاشا الله .

المنة . ثم قال تعالى ﴿فيها مصباح﴾ يعني سراجاً ، ﴿المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾^(١) الآية . فشبهه الله تعالى القنديل في شدة بياضه وتلاؤه بكوكب دري ، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية ، أي لا بارزة للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرها ، ولا غريبة أي ولا مسترة بالظل فيؤذيها الظل يبرده كل النهار ، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار ، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجْعَلَه لحملها وأنور لزيتها . ثم قال تعالى ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ أي ولو لم يسرج به من شدة صفائحه . تم الكلام ، ثم ابتدأ تعالى فقال ﴿نور على نور﴾ يعني نور المصباح على نور الزجاجة وصفاء الزيت . وهذا مثل ضربه الملك الجبار ، لقلوب المؤمنين الأبرار ، قال سبحانه وتعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾^(٢) فنور الهدى إذا دخل القلب انفسح وانشرح وزالت عنه الأسباب المانعة عن الضلاله والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالأعمال الموجبة لدار القرار ، والمنجية من سخط الملك الجبار ، ومدار ذلك كله على القلب والقلب هو سلطان البدن فإذا صلح صلح جميع الجسد ، وإذا فسد فسد جميع الجسد ، وصلاحه إنما هو بنور الإيمان ، وينظر الملك الرحمن ، وفساده إنما هو بظلمة العصيان ، ووسواس العدو الشيطان ولذلك ورد الخبر عن سيد البشر «إن في ابن آدم لمحضة إذا صلحت صلح الجسد وإن فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب» *

شجرة الزيتون

وقال الله تعالى ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾^(٣) وقال عز

. ١١) الشورى .

. ٢٢) الزمر .

. ١٥) المائدة .

وجل ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(١) وقال سبحانه ﴿وَلَكُنْ جَعْلَنَاهُ نُورًا نَّهْدِي
 بِهِ مِنْ نَّشَاءِ مِنْ عَبْدَنَا﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ لَا
 شَرْقِيَّةٌ تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ كُلُّ النَّهَارِ فَتَحْرُقُهَا ، وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَصِيبُهَا الظَّلُّ كُلُّ
 النَّهَارِ فَيَظْلِمُهَا ، وَهِيَ أَفْضَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّجَرِ . وَهَذَا مِثْلُ ضُرْبِهِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ
 فِي وَصْفِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدَ ﷺ ، وَالنُّورُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ هُوَ الْقُرْآنُ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
 وَصَفَ الشَّجَرَةَ بِأَنَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى حَفْظُهَا مِنَ الشَّمْسِ وَالظَّلِّ فَكَذَلِكَ حَفْظُنَا
 الْقُرْآنَ فَلَمْ يَقُعْ فِيهِ تَحْرِيفٌ وَلَا بَهْتَانٌ ، وَلَا زِيادةً وَلَا نَقْصَانٍ ، وَلَوْ جَعَلَ اللَّهُ
 حَفْظَهُ إِلَيْنَا وَقَعَ فِيهِ التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ كَمَا وَقَعَ فِي الْكِتَابِ الْمُتَقْدِمَةِ قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهَادَة﴾^(٣) ثُمَّ أَخْبَرَنَا عَنْهُمْ
 عَزْ وَجْلُ أَنَّهُمْ حَرَفُوا وَيَدُلُّوا فَقَالَ تَعَالَى ﴿يَحْرُفُونَ الْكَلْمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا
 حَظًّا مَا ذَكَرُوا بِهِ﴾^(٤) وَقَالَ سَبَحَانَهُ ﴿فَسُرِّيْلُ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
 ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٥) فَأَخْبَرَنَا الْمَلَكُ الرَّحْمَنُ فِي مُحَكَّمِ الْقُرْآنِ ،
 أَنَّهُمْ أَوْقَعُوا فِي كَتْبِهِمُ الْزِيَادَةَ وَالنَّقْصَانَ ، وَالتَّحْرِيفُ وَالْبَهْتَانُ . وَخَبَرَنَا مُولَانَا
 عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ الْحَافِظُ لَهُ بِقَوْلِهِ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦)
 وَمَا حَفَظَ الْمَلَكُ الْدِيَانَ فَلَا يَقُعُ فِيهِ زِيادةً وَلَا نَقْصَانٍ ، وَلَا تَحْرِيفٌ وَلَا بَهْتَانٌ .
 فَكَتَبْنَا قَدْ حَفَظَهُ الْمَلَكُ الْجَلِيلُ ، فَسَلَمَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَكَذَلِكَ حَفَظَ
 نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَعَصَمَهُ وَهَدَاهُ فَقَالَ تَعَالَى فِي عَصْمَتِهِ لَنَبِيِّهِ حَبِيبِهِ وَصَفِيهِ
 ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٧) وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَدَائِهِ لَنَبِيِّهِ ﴿وَيَهْدِكَ

(١) النساء ١٧٤ .

(٢) الشورى ٥٢ .

(٣) المائدة ٤٤ .

(٤) المائدة ١٣ .

(٥) البقرة ٧٩ .

(٦) الحجر ٩ .

(٧) المائدة ٦٧ .

صراطًا مستقيماً ﴿١﴾ فأخبرنا مولانا العزيز الحكيم عن محمد النبي الرؤوف الرحيم أنه قد هدأ إلى الصراط المستقيم ، وأعاده من الشيطان الرجيم ، وحفظه الملك الرحمن من الشرك والكفران ، والعوج والبهتان ، فقال له الديان في محكم القرآن ﴿قل إني هداني ربى إلى صراط مستقيم دينًا قيماً ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين﴾ ﴿٢﴾ فهدأ الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم وعلمه ما لم يكن يعلم من دقائق العلوم ؛ فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم ، ولا مفرط ولا ملوم ، فأخبرنا الحبي القيوم ، عن النبي الصادق المرحوم ، أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم ، وقال له ﴿فتول عنهم وما أنت بملوم﴾ ﴿٣﴾ وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار بتبلیغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار فقال تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ﴿٤﴾ فأمره تعالى بتبلیغ وأخبر عنه أنه قد بلغ . وما حفظ الملك القهار لقلوب المؤمنين الأبرار ، فقوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ ﴿٥﴾ فصار المؤمن في عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه ، لما دخل نور الهدى في قلبه . فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم ، المنان المتفضل الكريم ، لنبيه الصادق الأمين ، ولكتابة النور المبين . ثم قال تعالى ﴿ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ ﴿٦﴾ فهو تعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن ولا يكون ، أن لو كان كيف كان يكون . ثم إن الله تبارك وتعالى أثني على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات الذاكرين الله في المساجد في جميع الآناء ﴿٧﴾ والأوقات ، الخائفين من عقوبة رب الأرضين

(١) الفتح ٢ .

(٢) الأنعام ١٦١ .

(٣) الذاريات ٥٤ .

(٤) المائدة ٦٧ .

(٥) الإسراء ٦٥ .

(٦) النور ٣٥ (ويضرب الله ...) .

(٧) آناء الليل : ساعاته .

والسموات ، فقال رب الأرباب وسيد السادات في محكم الكتاب ﴿بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها﴾^(١) الآية . أي يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسني وصفاته العلي ، لا يذكر فيها زور ولا بهتان ، ولا غيبة ولا عصيان ، ولا نيمية على اللسان ، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن ، وعبادة الملك الديان ، لا يذكر فيها لغو ولا تأثير ، لأنها إنما جعلت لأداء فرض العزيز الحكيم *

المسجد لذكر الله

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا سمعتم الأصوات قد علت في المساجد في غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لهم حاجة » *

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا علت الأصوات في المساجد في ذكر الدنيا تقف عليهم الملائكة فيقولون لهم اسكتوا يا أولياء الله ، اسكتوا يا أعداء الله ، اسكتوا عليكم لعنة الله » قوله ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير في كتابه المبين ، وجميع ما أمر به الصادق البشير النذير . قال الله مولانا الذي بيده ضلالنا وهدايانا ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٢) وقد نهانا محمد ﷺ عن فضول الكلام في كل مكان . فإذا كان فضول الكلام وبالأ على العباد في غير المساجد ، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام في غير ذكر الله في المساجد *

كلمة السوء

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغارب » * فهذا ثناء من أسرع الحاسبين على

(١) النور ٣٦ .

(٢) الحشر ٧ .

عمار المساجد المؤمنين . وقد أثني عليهم الملك الرحمن في محكم القرآن ، حيث أوجب لهم الإيمان ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾^(١)*

وجاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : « إذا كان يوم القيمة يقول الجبار تبارك وتعالى أين جيراني ؟ فتقول الملائكة مولانا ومن ينبغي أن يكون جارك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى يا ملائكتي أين عمار المساجد في الدنيا ». وأنشد يحيى بن معاذ بعرفات :

إليك جئنا وأنت جئت بنا وليس شيء سواك يغنينا
فناك رحب وأنت ذو كرم تدعوا إلى بابك المساكينا

قال الله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾^(٢) ي يريد أن القلوب يوم القيمة تعرف أمره يقيناً فتقلب ، وما كانت عليه من الكفر والشك في الحساب ، والبعث والثواب والعذاب ، والنعيم والعذاب ، فترى الأبصار يومئذ ما كان عنها مغطى بقوله تعالى ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾^(٣) وقيل تقلب الأبصار من الكحولة إلى الزرقة ، ومن البصر إلى العمى ، ومن بياض الوجه إلى السواد ، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين ، ومن الأمان إلى الخوف ، ثم لم يوقنوا بالبعث حتى عاينوه ، ولم يصدقوا بالعذاب حتى شاهدوه . ثم ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً للكافرين فقال تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقية يحسبه الظمان ماء ﴾^(٤) يراه من بعد ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾^(٥) كذلك الكافر بحسب ما قدم من عمله في الدنيا ينفعه بل وجده بلاء

(١) التربية .

(٢) التور ٣٧ .

(٣) ق ٢٢ .

(٤) التور ٣٩ .

(٥) التور ٤٠ .

وحسرة عليه لأن الله تبارك وتعالى محققه وأبطله بالنفاق والكفر ، لأنه عمل لم يعمله لوجه الله تبارك وتعالى ، ولا ينفع من الأعمال كلها إلا ما كان لوجه الله خالصاً ، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى فنعود بالله من النفاق والكفر بعد الإيمان ، ومن زوال النعمة بعد الإحسان ، ومن القطيعة والحرمان ، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان ، ومن ترك العز واتباع الهوان ، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان .

ثم وصف الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى : « يسبح له فيها » يعني المساجد « بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »^(١) فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا وحرارة الرمضاء^(٢) ما بلغنا جزءاً واحداً من فناء الإعداد من حق الملك الججاد الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وفضلنا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، خير نبي وأكرم إمام ، شاهداً علينا في جميع الإحكام ، وجعل هذه الأمة شهداء يوم القيمة على الناس يوم تشقق فيه السماء بالغمam . فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله ؟ ! وتجارتهم مع الله رابحة ، ومحاسنهم لذوي الألباب لائحة . ثناهم عطر الأنام ، فهم بين الناس كالأعلام ، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب ، وفي جملتهم يحشر السعيد والتوجيب ومن فاخرهم يخب ، ومن حار بهم نكب ، ومن أقلع إليهم بغیر ریح عطب ، بدعائهم يستمطر الغمام ، فهو دواء الآلام وشفاء الأقسام وبهم يستنقذ المغلوب ، وبهم يفرج الله عن المكروب ، كروبيهم كشف العمى عن القلوب ، وبهم تغفر الخطايا والذنوب ، من اقتدى بهم تجنب الأشام والذنوب ، وأقلع عن القبائح والعيوب وبلغ من رحمة مولاهم المنى والمرغوب ، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب . وأنشدوا :

(١) النور ٣٧ .

(٢) الرمضاء : الشديدة الحرارة ، من لفح الشمس لرماد الأرض .

عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهد
بأردية التسهد^(١) واستقرروا البعدا
على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أو رثيم من حسن فعلهم الخلدا
وربك لو أبصرت يوماً تابعت
لأبصرب قوماً جانباً النوم وارتدوا
وصاموا نهاراً دائماً ثم أفطروا
أولئك قوم حَسَنَ الله فعلهم

رجال جالت قلوبهم في الملوك ، رجال تفكروا في العظمة
والجبروت ، رجال استقاموا على عبادة الحي الذي لا يموت ، رجال خطرت
على قلوبهم الأشجان ، وأتبعوا النفوس والأبدان ، وتسلبوا الخوف
والحزان ، وأقبلوا على مولاهم كورود الظمآن . شربوا بكأس الزلال مع
اليمين ، وتأسوا بسيد المرسلين ، وعملوا أعمال الصالحين ، وأتبعوا سيرة
المؤمنين واستقاموا على طريق الهدى والدين . رجال شربوا بكأس الوداد
والحب ، فكشف لهم حجب الغيب ، وغفر لهم ما عملوا من ذنب ، فأشعلوا
في قلوبهم نيران خوف الملك الرب . رجال ألقهم خوف الوعيد ، وأنحل
 أجسامهم التفكير الشديد ، رجال تجنبوا الفواحش والأثام ولذذ الشراب
والطعم ، رجال ليهم قيام ، ونهارهم صيام ، يطلبون رضا ذي الجلال
و والإكرام . وأنشدوا :

سُقوا كأس المحبة فاطمأنت
قلوبهم وهيجهما اليقين
إلى ملك تحن إلى شوقاً
وليس لها إلى أحد حنين
كمما مالت مع الربيع الغصون
يميل بهم هبوب القرب ميلاً

رجال كحلوا أعينهم بالسهر ، وغضوا عما لا يحل من النظر ، وشغلوا
خواطرهم بالتفكير ، وأشغلوا قلوبهم بالعبر ، رجال أزعجوا أنفسهم عن
الأوطان ، ولزموا مساجد الملك الرحمن ، وجالت قلوبهم في علوم القرآن ،
وما واعدهم وتوعدهم به الماجد الديان . وأنشدوا :

(١) التسهد : من السهاد وهو عدم النوم .

فيَ وصارا إلَى عِنادٍ
بطول ليلي وبالسهداد
بالُّكُرْب الصعبَة الشدَادِ
أنا الذي ذبت في الجهادِ

اختصم الطرف^(١) مع فؤادي
فقال طرف أنا ابتيت
وقال قلبي أنا المقلاد
فقال جسمي : قتلتماني

الزهاد

رجال قد نحلت منهم الأبدان ، وتغيرت منهم المحسن والألوان ،
وخفف العذاب والنيران وشوقاً إلى نعيم الجنان . رجال صحبوا القرآن بحسن
العمل ، ولم يغتروا بطول الأمل ، ونصبوا لأعينهم تقريب الأجل ، وسمت
همهم إلى الرفيع من المحل ، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الأعلى
الأجل ، فلو رأيتمهم لرأيت قوماً يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة ، ودموع وابلة ،
وزفرات قاتلة ، وأجسام ناحلة ، وعقول زائلة ، وخواطر في عظمته جل جلاله
جائلة : وأنشدوا :

فأتعنُوها بزجر الله أزماناً
وفي الظلام تراهم فيه رهباناً
 وأنفس أتعبت في الله أبداناً
وقطعوا الليل تسبحاً وقراناً

له قوم شروا الله أنفسهم
أما النهار فقد وافنوا صيامهم
أبدانهم أتعبت في الله أنفسهم
ذابت لحومهم بحوف العذاب غداً

رجال إذا نظروا اعتروا ، وإذا سكتوا تفكروا ، وإذا ابتلوا استرجعوا ،
ولذا جهل عليهم حلموا ، ولذا علموا تواضعوا ، وإذا عملوا رفقوا ، وإذا
سئلوا بذلوا عوناً للوارد ، وتفضيلاً للقادص ، حلفاء صدق ، وكهوف ودق^(٢)
قد عملوا بالسنة والكتاب ، ونطقوا بالحكمة والصواب ، وحاسبوا أنفسهم قبل
يوم الحساب ، وخافوا من عقوبة رب الأرباب . رجال لزموا البكاء والعويل ،

(١) الطرف : النظر ، أي خاصمت عيني فؤادي .

(٢) الردق : المطر .

ورضوا من الدنيا بالقليل ، فلأzmعوا إلى الآخرة التحويل ، ورغبوا في ثواب الملك الجليل ، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل ، وتمسکوا بالسنة والتنزيل ، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل ، وأشفقوا من هول اليوم العبوس الثقيل ، الهائل المنظر الطويل . وأنشدوا :

وَخَصْهُمْ بِجَزِيلِ الْمَلْكِ مَوْلَانَا
قَدْ تَوَجَّوْا مِنْ حَلِيِّ الْكَوْنِ تِيجَانَا
إِلَى الْزِيَارَةِ وَالْتَسْلِيمِ رَكْبَانَا
وَالْخَيْلِ^(١) مِنْ جَوْهِرِ وَالسَّرْجِ مَرْجَانَا
أَبْدَى لَهُمْ وَجْهَهُ الرَّحْمَنِ سَبْحَانَا
إِنِّي رَضِيتُ بِكُمْ قَرْبَا وَجِيرَانَا
تَرَوْنَ بُؤْسًا وَلَا تَخْشِيُونَ أَحْزَانَا
وَلَا تَغْيِيرُهُ الْأَزْمَانُ أَلْوَانَا
أَخْلَصْتُمُوهُ وَكُنْتُمْ فِي إِخْوَانَا

اللهُ قَوْمٌ لِدَارِ الْخَلْدِ أَخْلَاصُهُمْ
فَلَوْ تَرَاهُمْ غَدَاءً فِي دَارِ مَلْكِهِمْ
وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى الْفَرْدَوْسِ سَيِّدُهُمْ
عَلَى نِجَائِبِ درَكِي تَطْبِيرُهُمْ
حَتَّى إِذَا جَاؤُوكُمْ دَارُ السَّلَامِ^(٢) وَقَدْ
خَرُّوا سَجْدَاءً فَنَادَاهُمْ بِعَزْتِهِ
إِنِّي خَلَقْتُ لَكُمْ دَارَ النَّعِيمِ فَلَا
هَذَا النَّعِيمُ الَّذِي لَا يَنْقُضُ أَبَدًا
وَهُوَ الْجَزَاءُ لَكُمْ مِنِّي عَلَى عَمَلِ

رَجَالُ رَكِبَوا فَلَكِ السَّلَامَةُ ، وَجَرُوا بِرِيحِ الإِسْتِقَامَةِ ، فَفَطَعُنُوا بِحَارِ
الْعَطْبِ وَالنَّدَامَةِ ، وَنَجَوْا مِنَ الْأَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَحُظِّوْا فِي دَارِ الْمَقَامَةِ^(٣) ،
وَأَرْسَوْا فِي سَرْمَدِ الْكَرَامَةِ *

خيار الأمة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خيار أمتي الملا الأعلى في الدرجات العلي » قوم ضحكوا جهراً من سعة رحمة الله ، وبكوا سرّاً من خوف عذاب الله . هم بالغدة والعشي في بيوت الطيبة يدعون بالستتهم رغباً ورهباً ، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً ، ويستاقون إليه بقلوبهم غدوأ وعشياً .

(١) في الأصل هكذا ولعلها محرفة عن الخبر .

(٢) دار السلام : الجنة .

(٣) دار المقام : من أسماء الجنة أيضاً .

مؤنthem على الناس قليلة ، وعلى أنفسهم ثقيلة ، يدبون على الأرض حفاة
أقدامهم دبيب النمل بغير مرح ، ولا ميل ولا ترح . يمشون بالسکينة والوقار ،
ويتقربون بالوسيلة إلى الملك الجبار . يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن ،
ويتلذون القرآن ، ويشفقون من عذاب النيران ، ويخافون يوماً يكثـر فيه الويل
والحزان ، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان ، ولم يأمنوا مكر الملك الـيـان ، رجال
تعوقوا ريب المنون ، وجزعوا من السابقة في الغـبـ المـكـنـون ، فحال بينهم
وبيـنـ ما يـشـتهـون ، يـتـظـرونـ الخـاتـمةـ كـيفـ تـكـونـ ، أولـئـكـ أولـيـاءـ اللهـ الصـالـحـونـ
﴿أولـئـكـ حـزـبـ اللهـ أـلـاـ إـنـ حـزـبـ اللهـ هـمـ الـمـفـلـحـونـ﴾^(١) رجال المساجد
ماـواـهمـ ، واللهـ جـلـ جـلالـهـ مـعـبـودـهـ وـمـوـلاـهـ ، تـرـكـواـ الـمـعـاصـيـ خـوـفـاـ منـ
الـحـسـابـ وـالـسـؤـالـ ، وـبـادـرـواـ إـلـىـ الطـاعـةـ وـحـسـنـ الـأـعـمـالـ ، وـتـنـزـهـواـ عنـ الغـيـ
وـالـلـهـوـ وـالـمـحـالـ ، وـحـادـواـ عـنـ طـرـيقـ كـلـ مـطـرـودـ بـطـالـ ، وـأـشـفـقـواـ مـنـ عـقـوبـةـ ذـيـ
الـمـجـدـ وـالـجـلـالـ ، وـعـمـلـواـ لـيـومـ لـاـ بـيـعـ فـيـهـ وـلـاـ خـالـلـ . وـأـنـشـدـواـ :

| | |
|---|---|
| الله قوم أخلصوا في حبه | اختصـهمـ وـرـضـىـ بـهـ خـدـاماـ |
| قاموا فـكـانـواـ سـجـداـ وـقـيـاماـ | قـومـ إـذـاـ هـجـمـ الـظـلـامـ عـلـيـهـمـ |
| ونـهـارـهـمـ لـاـ يـفـتـرـونـ صـيـاماـ | بـتـلـذـذـونـ بـذـكـرـهـ فـيـ لـيـلـهـمـ |
| لـاـ يـعـرـفـونـ سـوـىـ الـحـلـالـ طـعـاماـ | خـمـصـ الـبـطـوـنـ مـنـ الـحـرـامـ أـعـفـةـ |
| وـسـيـسـكـنـونـ مـنـ الـجـنـانـ خـيـاماـ | فـسـيـفـرـحـونـ بـوـرـدـ حـوـضـ مـحـمـدـ |

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلـاـ ، وـبـدـلـوـهـاـ تـبـدـيـلاـ ، وـلـمـ يـشـتـرـواـ بـعـهـدـ اللهـ
ثـمـاـ قـلـيلاـ ، وـعـلـمـواـ أـنـ وـرـاءـهـمـ يـوـمـاـ عـبـوسـاـ هـاـئـلاـ ثـقـيلاـ ، وـأـنـ أـمـامـهـمـ مـنـ الـمـوـتـ
خـطـباـ جـلـيـلاـ ، وـبـدـلـتـ عـيـونـهـمـ وـقـلـوبـهـمـ بـكـاءـ وـنـوـحـاـ وـعـوـيـلاـ ، حـينـ سـمـعـواـ
مـوـلاـهـمـ يـقـولـ ﴿كـانـ وـعـدـهـ مـفـعـولاـ﴾^(٢) رجال قطعوا الأيام والليالي بالتفكير ،
وـخـافـواـ مـنـ هـوـلـ يـوـمـ عـبـوسـ قـمـطـرـيرـ ، وـجـالـتـ قـلـوبـهـمـ خـوـفـ الـعـلـيـ الـكـبـيرـ ،

(١) المجادلة . ٤٤

(٢) المزمل . ١٨

فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير ، ويجاورون السيد النذير البشير ، في جنة ليس فيها شمسٌ ولا زمهرير ، رجال اطمأنّت قلوبهم بذكر الرحمن ، ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان ، وحفظوا ألسنتهم من العيوب والبهتان ، واتبعوا السنة وأحكام القرآن ، ولم يقبلوا من خداع العدو الشيطان ، وطلبو الزرادة ولم يرضوا بالنقصان ، فأثابهم الجبار بجنة الرضوان ، ومتعمهم بالحور الفرجات الحسان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فأخبرنا الجليل جل جلاله في محكم القرآن ، عما أنتم به من الجود والإمتنان ، فقال تعالى ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾^(١) ؟ فالإحسان من العبد في الدنيا قول لا إله إلا الله ، والإحسان من الله في الآخرة الجنة . فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء ، ونهاية العطاء .

صفة المؤمنين

روي أن النبي ﷺ قال لطائفة من المؤمنين : « ما أنتم؟ » قالوا : نحن المؤمنون ، فقال « ما علامة إيمانكم؟ » قالوا نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرجاء ، ونرضى بموقع القضاء . فقال « مؤمنون ورب الكعبة » وقيل أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيباً على باطنـه وظاهرـه لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى ﴿ أَفَمِنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسْبَتْ ﴾^(٢) فتكون أنت أيها العبد تراقبـه في سرائرـك وعلانـيتك ، وظاهرـك وباطنـك ، وحركـاتـك وسكنـاتـك ، وتعلم أنه رقيب عليك ، وتستحيـ منـ هوـ معـكـ ولاـ تستـحيـ منـ هوـ أقربـ إليـكـ منـ حـبـ الـورـيدـ . وـقـيلـ : المـحـمـودـ مـنـ الدـنـيـاـ الـمـسـاجـدـ وـالـمـحـارـيبـ ، وـذـلـكـ أـنـ شـرـكـاءـكـ فـيـهاـ الـمـلـائـكـةـ وـالـنـبـيـونـ وـالـصـدـيقـونـ وـحـسـنـ أـولـيـاتـ رـفـيقـاـ . والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكتيف والمزايل وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم . فيدعوكـ الـرـبـ جـلـ جـالـلهـ

(١) الرحمن ٦٠ .

(٢) الرعد ٣٣ .

وهو قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَى دِارِ السَّلَامِ﴾ الآية . وتأبى أنت عليه فيقول الله سبحانه يا عبدي لا تذنب في الدنيا ، رأفة منه لعبدك ، فيقول العبد : لا بد لي من الذنوب ، فيقول الرب جل جلاله عبدي فتب إلى أقبلك على ما كان منك ، فيقول العبد لا أفعل لأنني مبتلي بالأهل والبطن والفرج ، فيقول الرب جل جلاله عبدي فكن مكانك حتى أوتيك فيقول العبد رب أي شيء تؤتين ؟ فيقول الله عز وجل الجوع والفقر والعرى والمرض ، فيقول العبد لا حاجة لي في هذا . ثم يدعو ويتراء ويسcream إذا نزل به ذلك . قال فتقول الملائكة عند ذلك يا رب أما تستجيب لعبدك هذا أما ترحمه ؟ فيقول الله عز وجل سوف يحمدني عبدي إذا أدخلته الجنة . قال فإذا قبض روح العبد على ذلك أدخله الجنة . فيقول العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كَنَا لَهُتَّدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْبَحَ عَنَا الْحُزْنَ﴾^(١) الآية . فيقول الرب جل جلاله الآن يحمدني عبدي وكان في دار الدنيا يلومني ، ويشكوا إلى نظري إليه وكان أصلح له مما كان يريد لنفسه . فالآن قد أبحث له الجنة وأدبيه مني ووصلته جنتي فادن مني يا عبدي بلا نهاية وعلى المزيد بمشاهدتي له والنظر إلى وجهي . لا أحربنا الله النظر إلى وجهه الكريم ، وأدخلنا برحمته

جفات النعيم *

١٧ - مجلس في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اعلموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى لطف بعبيده المؤمنين وأمرهم بالصلاحة على سيد المرسلين ، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين ، فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفاً وتكريراً ، وصلت عليه ملائكته تفضيلاً وتعظيماً ، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقاماً كريماً ، فقال من لم يزل سمعياً عليه عظيماً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام فعسى ، أن يشفعه فينا يوم تشقق السماء بالغمam *

ذكر في بعض الأخبار أن ما من ملك ولا نبي ولا ولی ولا صفي ولا صديق ولا شهيد ولا تقى ولا سعيد إلا وهو يقول يوم القيمة : بحرمة محمد أن تنجيني من عذابك ، وما من عبد ﷺ وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضي الله عنه إلا قضى الله تعالى حاجته ، وصرف عنه عند صلاته على محمد ﷺ سبعين نوعاً من البلاء في بدنها وفي دينه وفي ماله وفي أهله . ورفع له سبعين

(١) الأحزاب ٥٦ .

درجة في الجنة . اللهم صل على النبي محمد المختار ، وسيد الأنبياء والأبرار ، وزين المرسلين الأخيار ، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشراق النهار ، أبي القاسم الأواب المختار . وأنشدوا :

| | |
|--|----------------------------|
| صلى الله وكل عبد صالح | والطيبون على السراج الواضح |
| المصطفى خير الأنام محمد | الظاهر العلم الضياء الائحة |
| زين الأنام الرتضى علم المدي | الصادق البر الوفي الناصح |
| صلى عليه الله ما هب صبا ^(١) | وتجاويف ورق الحمام الناير |

وذكر في بعض الأخبار أن ما من بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد ﷺ إلا تصير روضة من رياض الجنة ، وحصلناً وحجاباً بين المصليين وبين حجاب النار . فاجتهدوا في الصلاة على محمد يا عشر المؤمنين والمؤمنات ، وتحصنوا بها من العذاب الشديد *

الصلاحة على النبي وشفاعته

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة على فلاني أشفع لكم على قدر ذلك » . وأنشدوا :

| | |
|------------------------------|--|
| صلى الله على قدر الحبيب ومن | وسط المدينة يعلو فوقه النور |
| رفعت قريش (هنا لك) نعش سيدها | فثم ثكل التقى والبر مقبور |
| وثم خير عباد الله كلهم | وثم أكرم خلق الله محبور ^(٢) |

(١) الصبا : هي ربيع ، ومهما المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ، ومقابلتها الدبور .

(٢) المحبور : المسروق .

عبد الله تحصّنوا من العذاب والويل ، بإكثار الصلاة على نبينا محمد
في النهار والليل *

ذكر في بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوبًا من اشتاق إلى رحمتي رحمته ، ومن سأله أعطيته ، ومن لم يسألني لم أنسه ، ومن تقرب إلى بقدر محمد ﷺ غرفت ذنبه ولو كانت مثل زيد البحر . فالله الله يا أمة محمد ويا أحباب محمد من أصابته نائبة أو وقع في شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر محمد وبحرمة محمد ﷺ فإن قدره عند الله عظيم . فأكثروا عباد الله الكرييم ، يا معاشر من آمن بالله العظيم ، الصلاة على محمد الكرييم والنبي السيد الرؤوف الرحيم ، ينجيكم الله بها من العذاب الأليم ، ويدخلنكم جنات الخلد والنعم ، إنه هو الحكيم العليم *

الصلوة عليه في يوم الجمعة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي في يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة »^(١) . فالله يا معاشر المؤمنين والمؤمنات ، أكثروا من الصلاة على حبيكم محمد في جميع الأيام والأوقات ، والأحاديث والساعات ، عسى الله أن يخلصكم من الأهوال والآفات ، والعذاب والعقوبات ، ويدخلكم الجنات العاليات ، يوم تبدل الأرض والسموات . وأنشدوا :

صلوا على المصطفى زلفي^(٢) تقريركم إن الصلاة عليه خير ما اكتسبا
أعلا الأئم على في جلالته وأشرف الخلق منسوباً إذا انتسبا

(١) هذا الحديث موضع نظر ، من ناحيتنا حيث أنه أدعى للإسهاب هل الصلة على النبي مائة مرة يوم الجمعة تکفر خطايا الإنسان ثمانيين سنة أي خطايا العمر على افتراض أنه سيعمر ثمانيين عاماً ٩٩٩

هذا و معه فاننا و يقيناً بأن الصلاة على النبي ﷺ هي من أعظم القربات وأجل العبادات .

(٢) المؤلف : القراء

وأسرع الناس يوم العرض مغفرةٌ إذا العقاب بدا للخلق وانتصبَا

حکی عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه قال : مات رجل من جيرانی فرأيته في المنام فسألته عن حاله ؟ فقال : يا شبلي مرت بي أهواً عظام ، وذلك أنه لما سئلت تلجلج لسانی عند السؤال منه جاءني المكان وأراد أحدهما أن يبادرني بالعذاب ، فإذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجهاً فحال بيني وبينهما ، فقلت له من أنت ؟ - من بعد ما لقني حجتي - فقال : أنا ملك خلقني الله من ثواب الصلاة على محمد ، وأنت كنت تكثّر الصلاة على محمد ﷺ لأخلصنک بإذن الله من جميع الأحزان ، ومن عذاب النيران ، ولا أبارحك^(۱) حتى أدخلك الجنة برحمة الله . فالله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد ﷺ زين العباد ، الذي خلصنا به من حر جهنم ويسن المهداد . وأنشدوا :

من كان يكثّر بالصلاحة مؤملاً فضل النبي
أعطاه ربُّ محمدٍ عوناً من اللطف الخفي

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ ، يا موسى إن أردت أن تكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك ، ومن نور بصرك إلى عينك ومن سمعك إلى أذنك ، فاكتثر من الصلاة على حبيبي محمد ﷺ . وأنشدوا :

صلى الله على النبي محمد خير الأنام وجاءه التنزيل
ويفضل نطق الكتاب وبينت
ذلك النبي الهاشمي المصطفى بصفاته التوراة والإنجيل
أسرى به المولى إلى أفق السما
فوق البراق وعنده جبريل

(۱) لا أبارحك : لا أفارقك .

(۲) الترفع : من الترفع .

عجيبة

روي عن محمد بن النعمان رضي الله عنه أنه قال : كنا عند النبي ﷺ فجاءه فتى من الأنصار في حاجة فوسع له رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلست هذا الفتى بيني وبينك ؟ » فقال أبو بكر رضي الله عنه . أي والله يا رسول الله إنه ليشق عليَّ أن يكون بيني وبينك أحد * *

فضل المصلحي وأبو بكر

فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر إن هذا الفتى يصلني على صلاة ، ما يصلها عليَّ أحد من أمتي » فقال أبو بكر رضي الله عنه : كيف يقول يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يقول اللهم صل على محمد عدد من صلى عليه ، وصل على محمد عدد من لم يصلُّ عليه ، وصل على محمد كما أمرت بالصلاحة عليه ، وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه ، وصل على محمد كما ينبغي أن يصلى عليه » واعلم يا أخي علمًا يقينًا لا شك فيه أنه ليس أحد أحظى عند نبينا محمد ﷺ ولا عند ربنا سبحانه بعد الثيبين من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بعده كذلك ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة ، لكن خص النبي ﷺ الفتى بإقامته بينه وبين أبي بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبي كذلك صلوات الله وسلامه عليه ما حن مشتاق إليه *

حكاية الشافعي عن مؤمني الجن

فما يقوى ما ذكرناه من فضل الأركان الأربع رضوان الله عليهم

أجمعين ، ما روي عن محمد بن إدريس^(١) قال : رأيت بمكة أسفقاً^(٢) وهو يطوف بالكعبة ، فقلت له ما الذي رغب بك عن دين آبائك ؟ فقال . تبدلت خيراً منه ، فقلت كيف ذلك ؟ قال ركب البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب ، فعلوت لوحًا فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلا من الشهد ، وألذين من الزيد ، وفيها نهر جار عذب فحمدت الله علي ذلك وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتيبني الله بالفرج ، فلما ذهب النهار خفت علي نفسي من الدواب فعلوت شجرة من تلك الأشجار فنمت على غصن منها ، فلما كان في جوف الليل فإذا بداية علي وجه الماء تسبح الله وتقول لا إله إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبي المختار ، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار ، عمر الفاروق مفتاح الأمصار ، عثمان القتيل في الدار ، علي سيف الله علي الكفار ، علي مبغضيهم لعنة الجبار ، وما واهم جهنم وبئس القرار . فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى (إذا) طلع الفجر ، قالت لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد الهادي الرشيد ، أبو بكر الصديق الموفق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان القتيل الشهيد ، علي ذو البأس الشديد ، علي مبغضيهم لعنة الرب المجيد . فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بغير وذنبها ذنب سمكة ، فخشيت علي نفسي الهلكة فهربت بنيتي أمامها فوقفت فقالت : ما دينك ؟ قلتنصرانية ، فقالت ويلك ارجع إلى الحنيفة فقد حلت بفناء قوم من مؤمني الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً ، قلت وكيف الإسلام ؟ قالت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقلتها فقالت أتم سلامك بالترجم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين . قلت ومن أتاكم بذلك ؟ فقالت قومنا حضروا عند رسول الله ﷺ فسمعوا يقول «إذا

(١) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه صاحب المذهب الشافعي .

(٢) الأسقف رتبة من رتب الكنيسة .

كان يوم القيمة تأتي الجنة فتنادي بسان طلق يا إلهي قد وعدت أن تشد أركاني ، فيقول الجليل جل جلاله قد شددت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزينتك بالحسن والحسين ، ثم قالت الدابة : المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك ؟ قلت لها الرجوع ، فقالت اصبر حتى تجتاز مركب ، وإذا مركب تجري فأشرت إليهم فدفعوا إلي زورقا ، فلما علوت معهم فإذا في المركب اثنى عشر رجلاً كلهم نصارى ، فأخبرتهم خبري فأسلموا عن آخرهم .

فأله الله عباد الله اشكروا الله على نعمة الإسلام ، وعلى هدايتكم لسنة محمد ﷺ عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومحبكم لأصحابه البررة الكرام ، فقد فضلكم على جميع الأنام ، قال الله ذو الجلال والإكرام ، والطول والإنعم ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) ونرجع إلى ما كنا فيه من الصلاة على خير الأنام ، محمد رسول الملك العلام . وأنشدوا :

| | |
|--|--|
| <p>وحللت من قلبي بكل مكان علم وحبك آخذ بعنائي وبه تعزز في الهوى سلطاني صلى الإله عليك في القرآن يوم المعاد وسوق الخسران أنت الدليل لجنة الرضوان حتى الممات ولا يمل لسانني ترى عليك تعاقب الملوان^(٢)</p> | <p>لهجت بذكرك مهجتي ولسانني فأنا بذكرك في البرية كلها سلطان حبك في الهوى عين الهوى أنت النبي الهاشمي محمد أنت الحبيب لأهل دينك كلهم أنت الشفيع لمن عصى رب العلا فلا ذكر لك ما بقيت معمرا فصلاة ربي ماجد ومهيمن</p> |
|--|--|

أوتاد المجالس

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن للمجالس أوتاداً جلساؤهم

(١) آل عمران ١٩ .

(٢) الملوان : الليل والنهار .

الملائكة إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء بآيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبي ، ي يقولون أكثرها رحمة الله ، فإذا استفتحوا في الذكر فتحت لهم أبواب الجنة ، واستجيب لهم الدعاء ، وتطلع عليهم الحور العين ، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم ، مالم يخوضوا في حديث غيره ويتفرقوا ، وأنشدوا :

إذا طيب الناس المجالس بينهم مداماً وريحاناً فذكرك طيبنا
ولو كانت الدنيا نصيباً لأهلها فجبك من كل الأماني نصيبينا
وإن كان حب الخلق بعضًا لبعضهم فأنتم من الخلائق الجميع حبيبنا
إخواننا طويبي لمن رزق لساناً رطبًا بذكر الله والصلاحة على محمد رسول الله ، طويبي لمن رزقه مولانا لساناً مشغولاً بذكر الإله الكريم . وبالصلاحة على الرؤوف الرحيم *

صيغة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل من أصحابه : « ما قلت البارحة من قول الخير ؟ » قال الرجل : يا رسول الله صلى الله عليك ، قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلوات شيء ، وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركات شيء ، وارحم محمداً وأل محمد حتى لا يبقى من الرحمات شيء . فقال رسول الله ﷺ . « لذلك رأيت البارحة الملائكة يحفون بأذقة المدينة » فأكثروا من الصلاة على سيد الأنبياء ، وأفضل الأحياء وأكرم الأصفباء ، وأجل من ولدت النساء ، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلى ، وفي الآخرة والأولى . وأنشدوا :

صلى الإله على خير الأنام ومن نرجو النجاة به في موضع العطبر
فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته عند الحساب وعنده فهو والكرب

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة » فاكتروا من الصلاة عليه يا معاشر الإسلام ، وتحصنتوا بها من العذاب الغرام^(١) وأءاً بوا بها رضا الملك العلام ، وأنشدوا :

بَا خَيْرٍ مُولودٍ تَعَاظِمُ فَخْرُهُ
وَأَنْسَى بِأشْرَفِ مَلَكٍ وَكِتَابٍ
صَلُّ إِلَّاهٌ عَلَيْكَ بَا خَيْرٍ السُورِيُّ
مَا أَنْهَلَ فِي الْأَفَاقِ قَطْرُ سَحَابٍ
بَا خَيْرٍ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرٍ أَمَّةٍ
وَأَكْرَمُ مَنْ يَدْعُونَ لِسُبْلِ صَوَابٍ

ثلاثة تحت ظل العرش

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ثلاثة يوم القيمة تحت عرش الله يوم لا ظل إلا ظله » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « من فرج عن مكروب أمتي ، ومن أحيا ستي ومن أكثر الصلاة علي » فاجتهدوا رحمكم الله في التفريح لهموم المكروبين ، وفي إحياء سنة خاتم النبيين ، وفي الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على رب العالمين . وأنشدوا :

صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ كَرَامَةُ
وَجَلَالَةُ بِا مَعْشَرِ الإِسْلَامِ
فَهُوَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى عِلْمُ الْهَدِيِّ
وَأَدْلُّ مَنْ يَدْعُونَ لِسُبْلِ قَوَامٍ
نَطَقَ الْكِتَابُ بِفَضْلِهِ وَجَلَالِهِ
وَيَفْضُلُهُ نَجْوَةُ مِنَ الْأَسْقَامِ
صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ كُلُّهَا
مَا لَاحَ بَدْرٌ تَحْتَ جُنْحِ ظَلَامٍ
فَهُوَ السَّبِيلُ لِدَارِ كُلِّ كَرَامَةٍ
وَهُوَ الدَّلِيلُ لِجَنَّةِ وَسَلَامٍ
وَلِمَنْ يَلْوُذُ بِمَلَكِ الإِسْلَامِ

للصلوة رائحة طيبة

روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنهم قالوا : ما من مجلس يصلبي فيه على النبي ﷺ إلا نمت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان

(١) الغرام : الشر والعذاب .

السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلٰى فيه على النبي محمد ﷺ *

اللهم صلٰى عليه كما تحب أن يصلٰى عليه . ﷺ وأشدوا :

| | |
|-----------------------|--|
| تعطر الأنفاس ما ذكرت | أخباره في المجلس العطري |
| سبحان باريه وخالقه | نوراً تصور أجمل الصور |
| المسك منحدر ببردته | والوجه منه طلعة القمر |
| يا صادقاً فيما يخبرنا | بشهادة الأسماع والنظر |
| سبحان من أشكاك من بشر | يا سيداً للخلق والبشر |
| القول تتبعه شواهد | والخير مقرون مع الخبر |
| أنت النبي بلا مدافعة | والمصطفى من خيرة البدار ^(١) |

الإمام الشافعي

روي عن أبي جعفر الطحاوي أنه قال : قال عبدالله بن عبد الحكم رأيت الشافعي رضي الله عنه في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمني وغفر لي ووزفت إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها ، فقلت له ما الذي بلغك هذه المنزلة ؟ قال لي بما في آخر كتاب الرسالة من الصلاة على محمد ﷺ ؛ فقلت له وكيف ذلك ؟ فقال لي ، وصلٰى الله على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون . قال فلما أصبحت طلبت كتاب الرسالة فوجدت الأمر كما ذكر . وأنشدوا :

| | |
|---|---------------------------|
| صلوا على خير الأنام ومن به | تنجو العباد بموقف الأحوال |
| إن الصلاة على النبي حبيبا | من أفضل الأفعال والأعمال |
| فهو النبي المصطفى علم الهدى | الطيبُ الأقوال والأفعال |
| معشر المسلمين تحصنوا من عذاب النار ، وخفقوا عن ظهوركم ثقل | |

(١) هذا جمع على غير قياس فإن جمع البدار هو (بدار) وليس بدر .

الأوزار ، بكثرة الصلاة على النبي المختار *

أبخل الناس

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصلّ على » ، أعوذ بالله من اللثيم البخيل . الذي يدخل بالصلاحة على رسول الملك الجليل ، الذي خصه الله بالكرامة والتفضيل ، واثمنه على الإيضاح عن بيان التأويل في جميع التنزيل . وأنشدوا :

صلوا على القمر المنير إذا بدا
في موكب من حسن وجماله
في فضله وبهائه وكماله
مسك تكون من نسيم جلاله
ختم النبوة طيبه فختامه
صلوا على العلم الذي من أمّه^(١)
صال المعنى وجري السرور بياليه
وكرامه وجلاله لجلاله
وتفضيل وتوسل بجماله
إن الصلاة على النبي سلامه
وتودّ وتحنّن وتشوق
وصلوا على الرحمن خلقاً مثله

عباد الله صلوا على رسول الله صلوا على سيدنا وحبيبنا محبة وكرامة ،
فهو الشفيع لنا يوم القيمة *

أنجاكم أكثركم صلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أنجاكم يوم القيمة من أهواها ومن مواطنها أكثركم على صلاة » عباد الله الملك.الديان ، يا أهل الإسلام والإيمان ، صلوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن ، لعله يخلصنا من عذاب النيران . وأنشدوا :

(١) أمّه : قصده .

وأكثُرَ الْخَلْقِ إِفْضَالًا وَإِحْسَانًا
فَأَوْضَعَ الْحُقْقَى تِبَيَانًا وَبِرْهَانًا
وَأَظْهَرَ الشَّرْعَ أَحْكَامًا وَقُرْآنًا
وَأَوْرَدَ النَّاسَ جَنَابٍ وَرَضْوَانًا
وَلَا تَرْدَ بَعْدَهُ رُوحًا وَرِيحَانًا
وَالْبَلُّ وَالظَّرْفُ أَشْكَالًا وَالْوَانًا
لَقَدْ تَفَضَّلَ بِالْخَيْرَاتِ مُولَانًا

صَلُوا عَلَى مَاجِدِ جَلَّتْ مَائِرَه^(١)
أَنِّي الْعَبَادَ وَقَدْ ضَلَّتْ مَسَالِكَهُم
وَبَيْنَ الدِّينِ بِالتَّذْكِيرِ مجْهَداً
وَأَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنْ نَارِ السَّمُومِ لَظِي^(٢)
لَا تَبْغِ طَيْبًا إِذَا مَا كُنْتَ ذَاكِرَهُ
فِيَهُ الْجَنَانُ وَفِيهِ الْحَسْنُ مجَمِعٌ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ كَنَّا لَهُ تَبَعًا

ثمرة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى على صلاة تعظيمًا لحقى خلق الله تعالى من ذلك القول ملكاً جناحه بالشرق والآخر بالمغرب ورجله مغروزتان في الأرض السابعة السفلی وعنقه ملوى تحت العرش يقول الله تعالى له صل على عبدي كما صل على نبی محمد فهو يصلی عليه إلى يوم القيمة » أحبابي تحصنوا من أليم العذاب ، وارغبوا في جزيل الثواب ، بالصلاحة على النبي الصادق الأولاب^(٣) .

اعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى لما اتخد محمدًا ﷺ حبیباً أقسم بحیاته فقال تعالى ﴿لَعْمَرْكُ إِنَّهُمْ لَنِي سَكَرْتُهُمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٤) . فهذه غایة المحبة . ولما أحب الله تعالى أن يصلی العباد على محمد النبي الحبيب بدأ بالصلاحة عليه الملك القريب ، ثم ثنى بملائكته البعيد منهم والقريب ، ثم عرف عبادة المؤمنين أنه يصلی على محمد هو وملائكته ، ثم أمر بالصلاحة

(١) مائرة : فضائله .

(٢) لظي : اللھیب .

(٣) الأولاب : التائب .

(٤) يعهمون : الذين يتغيرون .

عليه أهل الإيمان ، لينجيهم بها من عذاب النيران ، فقال الملك الرحمن ، في محكم القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَّ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتٌ مُّسَلِّمَاتٌ﴾ فكانه قال جل وتعالى عبدي قد أعلمتك أنني أصلّي على محمد حبيبي وملاكتي تصلي عليه ، فمن أكثر الصلاة على محمد الحبيب ، جعلت له من الجنة أوفّ نصيب ، وكان رفيقاً وجاراً لأبي القاسم الحبيب . وأنشدوا :

صَلَّى اللَّهُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَّهُ ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ عَلَى النَّبِيِّ
فَهُوَ الْحَبِيبُ لِرَبِّ الْعَالَمِ وَهُوَ الدَّلِيلُ لِجَنَّةٍ لَا تُخْتَبِي^(١)

الملايات تستغفر للمصلحي

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن أو الأمة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاحة على محمد ﷺ فتحت له أبواب السموات السبع والسرادقات حتى العرش ، فلا يبقى ملك في السموات إلا صلّى على محمد ﷺ ، ويستغفرون بذلك العبد أو الأمة ما دام العبد أو الأمة يصلّي على النبي ﷺ . وأنشدوا :

صَلَوَاتُنَا يَا مِائِسِرَ الْإِسْلَامِ عَلَى النَّبِيِّ الْوَاضِعِ الْأَحْكَامِ
نَطَقَ الْكِتَابَ بِفَضْلِهِ وَجَلَّهُ وَيُفْضِلُهُ نَجْوَا مِنَ الْإِجْرَامِ

مقام الشبلي

حكى عن بعضهم أنه قال : كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالساً إذ أقبل الشبلي^(٢) فقام أبو بكر إليه فعانقه وقبل بين عينيه ، فقلت يا سيدني تفعل هذا بالشبلي وأهل بغداد يقولون عنه إنه مجنون ؟ ! فقال قد فعلت به كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل به ، وذلك أنني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أقبل

(١) أي لا يخبرنورها .

(٢) الشبلي : رجل صوفي زاهد .

الشبلِي فقام النبي ﷺ فعائقه وقبله بين عينيه ، فقلت له يا رسول الله تفعل هذا بالشبلِي ؟ ! فقال ﷺ نعم لأنَّه يقرأ في آخر كل صلاة ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم﴾ الآية . ثم يتبعها بالصلاحة على . وأنشدوا :

صلوة ربُّ كريم ماجدٍ صمدٍ
صلٰى عليه إلٰه العرشِ خالقنا
 فهو الدليلُ لأهلِ الخيرِ كلُّهم
 ومن أرادَ فراراً عن تمردهِ
 هذا بيانٌ لأهلِ الفضلِ كلُّهم
 على النبي الذي قد نال تفضيلاً
 جاء الكتابُ بهذا وحيًّا وتنزيلاً
 لمن أرادَ (إلى) الفردوسِ تحويلًا
 ومن أرادَ (له) الرحمنُ توصيلاً
 يعجلون لدارِ الخلدِ تعجيلاً

عباد الله ارغبوا في هذا الملكِ الجليل ، والنعيم الدائم الطويل ، بإكثار الصلاة على محمد الأصيل ، النبي السيد النبيل ، الذي جاء بالسوسي والتزيل ، وأوضح بيان التأویل ، وجاءه الأمين جبريل ، بالتكريم والتفضيل ، وأسرى به الجليل ، في الليل البهيم الطويل . كشف له عن أعلا الملائكة ، وأراه أنسى الجنروت ، ونظر إلى قدرة الحي الذي لا يموت . فلقد رأى في ليلة الإسراء من آيات ربه الكبيرة ، وانتهى إلى سدرة المنتهي ^(١) . وأنشدوا :

صلوا على خير الأنام محمدٍ فهو الدليل إلى السبيل المرشدٍ
صلٰى عليه ربُّ ما دام الدجى ومضى النهار وفي الظلامِ الأسود

إبلاغ الصلاة إلى الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى أعطى ملائكة من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبري إلى يوم القيمة ، فليس أحدٌ من أمتي يصلِّي على إلا قال ذلك الملك : يا محمد فلان بن فلان يصلِّي عليك صلٰى الله عليك ، وضمن لي الرب عز وجل أن من صلٰى علي صلاة صلٰى

(١) السدر : شجر التبن ، وسدرة المنتهي : شجرة عظيمة تحت العرش .

الله عليه بها عشرأً ، وإن زاد زاده الله » فَإِنْ أَنْتَ يَا مِنْ أَرَادَ النَّجَاهَ مِنْ سَمُومِ
الْحَمِيمِ ، وَالْفَوْزِ وَالْخَلْدِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ ، فَأَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ
الْكَرِيمِ ، وَالرَّسُولِ الرَّؤوفِ الرَّحِيمِ *

صلوة الملائكة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَبِّهِ ؛ فَلِيقلِّ الْعَبْدُ أَوْ لِيَكْثُرَ » واعلموا أنَّ
الفاجر الشقي الذي يسمع هذه الفضائل على الصلاة على النبي ﷺ وقد
حبس لسانه عنها فيجب أن يتبعه بالله منه . نعوذ بالله من لسان جامد ، عن
الصلاحة على النبي ﷺ رسول الملك الماجد ، العزيز الفرد الصمد الواحد .
وأنشدوا :

صلوا على النور البهي محمد إن الصلاة عليه تنجي من لطئ
 فهو الدليل إذا اهتديت بنوره وهو الرسول فذاك مصباح الهدى

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَهُبَ ذَنْبِكُمْ عِنْدَ
الْإِسْتغْفَارِ ^(١) فَمَنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى بِنَيَّةٍ صَادِقَةٍ غَفِرَ لَهُ ، وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
رَجَحَ مِيزَانُهُ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ كَنْتُ شَفِيعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » عَبَادُ اللَّهِ ارْغَبُوا فِي
الشَّفَاعَةِ ، وَتَمْسَكُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى شَفِيعِ الْمُذْنَبِينِ يَوْمَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَارْغَبُوا
إِلَى مُولَّاكُمْ أَنْ يَوْفِقُوكُمْ إِلَى أَعْمَالِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الله خالقه
ومحمدًا قد جاء بالقرآن
فليكثر التسليم بعد صلاتيه
للطيب المبعوث بالتبيان
الهاشمي الأبطحي محمد
خير الأنام وزين كل مكان

(١) قال تعالى : - « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » .

من كتب الصلاة في كتاب

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تصلّي عليه ما دام إسمه في ذلك الكتاب » فيما عشر المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات أطاعوا رب الأرضين والسموات ، بالصلاحة على سيد السادات . وأنشدوا :

جُدُّ الصلاة على خير الوري كرماً ذاك النبيُّ الذي قد جاء بالنور
فهو إمامُ أهلِ الحقِّ كلهمُ وهو الدليلُ على الولدانِ والحرورِ

الصلاحة تبلغه عن العباد

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « تباهاوا بالصلاحة علىٰ فإنها تبلغني » فبلغوا صلاتكم على سيدكم ونبيكم وصفيكم ، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته ، وأن يجعلكم من أمته ، وأن يجعله شفيعكم من النار ، وقائديكم إلى دار الراحة والقرار ، إلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهر *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى وكلَّ بي ملكين فلا ذكر عند عبد مسلم فيصلي عليٰ إلا قال الملكان مجيبين آمين ، فيقول الله تعالى جواباً للملكين آمين ، ولا ذكر عند أحد فلا يصلي عليٰ إلا قال الملكان لا غفر الله لك ، فيقول الله تعالى وما لاثكته جواباً لقول الملكين آمين »^(١) فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخَلَ من يسمع ذكر محمد النبي الفاضل الرازي ولا يصلي عليه ، وملاثكته ويلغ سلامنا إليه . وأنشدوا :

(١) تتبع الفرق الإسلامية منذ العصر الأول إلى الآن أن كلا منها يدعى أنه هو وحده المتمسك بالسنة وأن عليه انعقاد الجماعة ومن يخالفه مخالف للجماعة . وتلك والله دعوى أضفت كثيراً من الناس ونص الحديث الشريف (ما أنا عليه وأصحابي) وقيل إن الأمة لا تجتمع على صلاة ، ولكن من نعمة الله على الأمة الإسلامية أنها تتفق جميعها في الأصول وتحتفل في بعض الفروع وليس بين الطوائف والنحل الإسلامية مثل ما في المذاهب المسيحية .

صلوا بنا في الليل والنهر
 أسرى به الرحمن في جنح الديجى
 الهاشمى المصطفى خير الورى
 صلوا على المبعوث يا أهل النهى

على النبي الصادق المختار
 قد جاء في القرآن والأثار
 الطائع الأوائب للجبار
 من جاء بالتنزيل والأخبار

حسنات الحرم

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلَّى عَلَيْيَ من أَمْتَى كَتَبَ لَهُ عَشْرُ
 حَسَنَاتٍ مِّنْ حَسَنَاتِ الْحَرَمِ » قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم ؟ قال :
 « الْحَسْنَةُ بِسِعْمَائَةِ حَسْنَةٍ » يا أخي هذا والله قول يسير وثواب كثير *

الصلة صلة تعارف

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لِيَرْدَنْ عَلَيْ أَقْوَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْدَ حَوْضِي
 مَا أَعْرَفُهُمْ إِلَّا بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْ » عباد الله أنتم ترون نبيكم وحبيكم
 وصفيكم ، فأكثروا من الصلاة عليه فعسى يعرفكم بكثرة الصلاة عليه لأن
 الصلاة عليه نور لصاحبها يوم القيمة ، فعلى قدر الصلاة على الهاشمى (١)
 القرشي التهامي الأمي الأبطحي يكون النور المضيء الذي يعرف به المؤمن
 التقى ، ومن لا يكثر الصلاة على هذا النبي فهو مبعد مطرود شقي . يا
 إخوانى في الله صلوا على شجرة غرسها الملك الجليل ، وجعل أصلها
 الخليل ، وجعل خلالها التفضيل وزينها بالتنزيل ، وجعل ريقها جبريل ،
 وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل . أصولها عربية ، وأغصانها مصرية ،
 وأوراقها قرضية ، وثمرتها تهامية ، غرسها الملك الديان ، وأنقضى لها جميع
 الإنس والجان ، فصلوا عليه يا معاشر الإخوان وأنشدوا :

الله فضل خير الخلائق بالكرم وأفضل الناس من عرب ومن عجم

(١) الهاشمى : نسبة إلى بنى هاشم .

وَخَصَّ اللَّهُ بِالْتَّنْزِيلِ وَالْحُكْمِ
هَدَىٰ الْعِبَادَ بِهِ مِنْ غَمَةِ الظُّلْمِ
اللَّهُ أَرْسَلَهُ مِنْ جَمْلَةِ الْأُمَّٰمِ
إِنَّ الصَّلَاةَ لَهُ تَتَّجِي مِنَ النَّقْمِ

هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي فَاقَتْ فَضَائِلَهُ
اَخْتَصَّهُ بِكِتَابٍ بَيْنِ عِلْمٍ
اللَّهُ فَضَّلَهُ اللَّهُ أَكْرَمَهُ
صَلَوَا (عَلَيْهِ) عِبَادُ اللَّهِ كَلَّكُمَا

عِبَادُ اللَّهِ طَيِّبُوا بِنَا مَجَالِسُنَا بِالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ *

طَيِّبُ مَجَلسٍ صَلَّى فِيهِ عَلَيْهِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا عن غير صلاة علي إلا تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار » فإذا كان المجلس الذي لا يصلی فيه على النبي ﷺ تفرق أهله عن أنتن من جيفة حمار ، فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار . وذلك أن النبي ﷺ كان أطيب الطيبين وأظهر الطاهرين ، وكان إذا تكلم امتلاً المجلس بريع المسك ، فكذلك مجلس يذكر فيه النبي ﷺ نمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش . ويجد كل من خلق الله ريحها في الأرض غير الإنس والجن فإنهم لو وجدوا تلك الرائحة اشتغل كل منهم بذلك عن معيشته ، ولا يوجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعد هذا الخلق كلهم حسنات ، ويرفع لهم درجات ، سواء كان في المجلس واحد أو مائة أو ألف كل واحد يأخذ من الأجر مثل هذا العدد ، وما عند الله تعالى أكثر . فيما أحباب رسول الله ﷺ صلوا على حبيب غذى بماء الوصال وكسي ثوب الجمال والكمال ، وزين بكتاب الكريم المتعال *

حَكَايَةُ نَسَاخٍ أَكْثَرَ مِنَ الصَّلَاةِ

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : كان لي جارٌ نساح فمات فرأيته في المنام في حالة حسنة فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي على ما كان

مني ، فقلت له بم كان ذلك ؟ فقال كنت إذا كتبت اسم النبي ﷺ صلیت عليه
ﷺ فغفر لي بذلك وأعطاني ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر
على قلب بشر فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ تسليماً كثيراً . وأنشدوا :

| | |
|---------------------------|-------------------------------|
| فهو الدليل لسبيل دار قرار | نور النبي علا على الأنوار |
| يوم الحساب وكشفة الأسرار | صلوا عليه لعلكم تنجوا به |
| فهو الحبيب لربنا الجبار | صلوا على القمر المنير إذا بدأ |
| فهو الشفيع لصاحب الأوزار | صلوا على نور تكون بالهدى |

عباد الله ارغبوا فيما رغبكم فيه الملك القيهار ، من فضل الصلاة على
نبيه محمد المختار ، ولا تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار ، فإن الله
ينجيكم بها من عذاب النار ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار .
الصلاحة على النبي فضيلة جزيلة ، والصلاحة على أصحابه سنة وفضيلة والصلاحة
على الملائكة قربة ووسيلة ، صلوا رحمة الله على النبي الرفيع ، والنور
البديع ، والحبيب الشفيع . أكرم من ولد ، وأعز من فقد . وأنشدوا :

| | |
|-------------------------|---------------------------------------|
| صلوة رب ماجد وهاب | على النبي الصادق الأول ^(١) |
| صلوا عليه معشر الأحباب | صلوا على المختار أنوار الهدى |
| صلوا عليه جماعة الأصحاب | صلوا على النور البهي محمد |

عدد الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي مرة صلى الله عليه بها
عشرأ ، ومن صلى علي عشرأ صلى الله عليه مائة مرة ، ومن صلى علي مائة
صلى الله عليه بها ألفا ، ومن صلى علي ألفا ، حرمه الله على النار وأدخله
الجنة وثبته بالقول الثابت في القبر عند المسألة ، وجاءت صلاته علي نوراً

(١) الأول : الكثير الإنابة والرجوع إلى الله .

يضيء له الصراط مسيرة خمسماة عام ، وبنى الله له بكل صلاة صلاؤها على
قصرًا في الجنة قل ذلك أو أكثر » وأنشدوا :

صلوا على المختار من آل هاشم وخير نبي خصه بالمكان
ومن بين الرحمن في الذكر^(١) فضلهم
وأوضح نور العدل بعد التظلم
وأرسله الجبار للناس كافة
مبين محض الحال بعد المحارم
فذاك لدين الله حصن وملجأ
وذاك على الأعداء ليث بصارم

عبد الله خفوا عن ظهوركم الذنوب القفال ، وفكوا رقابكم من
السلسل والأغلال وارغبوا في نعيم دار الخلود والجلال ، بصلاتكم على
محمد رسول الكبير المتعال *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى على ألف مرة لم يخرج من
الدنيا حتى يبشر بالجنة » فارغبوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان ، بإدامان
الصلاوة على محمد رسول الملك الرحمن ، فعسى الله أن يكفر عنكم ما
سلف من الذنوب والعصيان . نعوذ بالله من لسان يابس من الصلاة على
محمد ، وإذا أراد الله بعد خيراً بل لسانه بذكرة ، وبالصلاحة على محمد حبيبه
ونبئه ووليه وصفيه صلى الله عليه . صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة ،
الأمر بالمعروف والإستقامة ، الشفيع لأهل الذنوب في عرصات القيمة .
اللهم صل على محمد الزاهد ، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه
صلاة دائمة متتهي الآباء ، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد ، صلاة تنجينا بها من
جهنم وبئس المهداد . وأنشدوا :

صلوا على هذا النبي الأوضح الهاشمي الأبطحي الأفصح
إن الصلاة على الشفيع محمد تبدي الفلاح مع النجاح الأنجح
فتكتروا من ذكره أهل النهى لا تتبعوا بدلاً بذكر الأرجح

(١) الذكر : القرآن .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عسرت عليه حاجة من أمر دينه أو ذيابه فليكثر من الصلاة على فإن الله يستحب أن يرد عبده في حاجة إذا كان دعاءه بين صلاتين على ، صلاة قبل السؤال وصلاة بعد السؤال » وهذا والله غاية الجاه والحب لنبينا محمد ﷺ *

اللهم صل على محمد صلاة تزلف بها مثواه ، وتشرف بها عقباه ،
وتبليغه بها يوم القيمة من الشفاعة رضاه ومناه *

صيغة الرسول والثناء عليه

قال بعض السادة في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾^(۱) كأنه يقول من خيركم نفساً ، وأطهركم قلباً ، وأصدقكم قولًا وأزكاككم فعلاً ، وأثبتم أصلًا ، وأوفاكم عهداً ، وأمكنتكم مجدًا . من أكرمكم طبعاً ، وأحسنكم صنعاً ، وأطيبكم فرغاً ، وأكثركم طاعةً وسمعاً .. من أعلاكم مقاماً ، وأحلاكم كلاماً ، وأوفاكم زماماً ، وأزكاككم سلاماً . من أجل لكم قدرًا ، وأعظمكم فخراً ، وأكثركم شكرًا ، وأرفعكم ذكرًا ، وأعلاكم أمراً ، وأجمل لكم صبراً ، وأحسنكم خبراً ، وأقربكم بشرًا ، من أبعدكم مكاناً ، وأعظمكم شأنًا ، وأرجحكم ميزاناً ، وأولكم إيماناً ، وأوضحكم بياناً ، وأفضل لكم لساناً ، وأظهركم سلطاناً ، وأبيلكم برهاناً . من أرسخكم قدمًا ، وألينكم علمًا وأوصلكم رحماً ، وأبركم قسمًا ، وأبعدكم كرماً ، وأرعاكم ذمماً . من أسطعكم نوراً ، وأنوركم سروراً وأجمل لكم حبوراً وأفضل لكم حياً ومقبورة *

صيغة للصلوة

اللهم صل على من إنتخبته من أشرف قبيلة^(۲) ، وجعلته إليك أكبر

(۱) ليلحظ القارئ كلمة (من أنفسكم) وما فيها من الإيحاء والعظمة ، وحب رسول الله ﷺ لأمته وحب أمته له .

(۲) وهي قبيلة قريش .

وسيلة ، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة ، وأعلنته إلى المرتبة الجليلة ،
وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة . اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين
عذابك حجاباً ، و يجعلها لنا إلى كرامتك مثاباً ، وتفتح لنا بها إلى الجنة
العالية بباباً . اللهم صل على محمد عدد قطر الأمطار ، وعدد رمال الأودية
والقفار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد زيد البحار ، وعدد مياه الأنهر ، وعدد
مشاقيل الجبال والأحجار ، وعدد أهل الجنة وأهل النار ، وعدد الأبرار
والقفار ، وعدد ما يختلج في الليل والنهر ، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجاباً
من عذاب دار البوار ، وسيباً لإباحة دار القرار . اللهم صل على محمد النبي
المختار ، وسيد الأبرار ، وزين المرسلين الآخيار . وأكرم من أظلم عليه الليل
وأشرق عليه النهار ، أبي القاسم النبي الصادق المختار . اللهم صل عليه عدد
من صلّى عليه وعدد من لم يصل عليه كما أمرت بالصلاحة عليه ، وصل عليه
كما تحب أن يصل عليه ، وصل عليه كما ينبغي أن يصل عليه . اللهم صل
على النبي الصادق الأول ، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والاصحاب ،
وتوفنا اللهم على سنته ، واجعلنا من أهل ولايته ، وانفعنا بهدايته وعنایته ،
وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين الآخيار ، آمين آمين يا أرحم
الراحمين .

١٨ - مجلس ثانٍ في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصْلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١)

إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، ومحمد ﷺ وليناً وحبيباً ونبياً وصفيماً ، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلة عليه وهو الملك العلام ، وصلت ملائكته عليه وهم الأصفياء الكرام ، فصلوا بنا عشر الأنام ، على محمد عليه السلام ، رسول ذي الجلال والإكرام ، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام . واعلموا أنه ما من عبد مسلم أكثر الصلة على محمد عليه الصلاة والسلام إلّا نور الله قلبه ، وغفر ذنبه ، وشرح صدره ، ويسر أمره ، فأكثروا من الصلاة لعل الله يجعلكم من أهل ملته ، ويستعملكم بسته ، ويجعله رفيقنا جميعاً في جنته ، فهو المتفضل علينا برحمته *

في الصلاة عشر كرامات

واعلموا رحمة الله أن في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ عشر كرامات ؟ إحداهن صلاة الملك الجبار ، والثانية شفاعة النبي المختار ، والثالثة الإقتداء بالملائكة الأبرار ، والرابعة مخالفة المنافقين والكافر ، والخامسةمحو الخطايا والأوزار ، والسادسة قضاء الحرواج والأوطار ،

. (١) الأحزاب ٥٦ .

والسابعة تنوير الظواهر والأسرار ، والثامنة التجاة من عذاب دار البوار ،
والناسة دخول دار الراحة والقرار ، والعشرة سلام الملك الغفار *

أما ولم يقسم الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ ، قوله تعالى ﴿ كتم
خير أمة أخرجت للناس ﴾^(١) تقدير الآية ؟ أنتم خير أمة أخرجت للناس *

أحاديث في فضل الصلاة

وقال رسول الله ﷺ : « وافيتم سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها عند الله »
فأخبر الله تعالى أنه قال ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾^(٢) يعني محمداً ﷺ ، فمن
صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار ، ووافق أمر الجبار ، وأما محو
الخطايا والأوزار ؟

فما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي في يوم جمعة مائة
مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة »^(٣) .

وقال ﷺ : « من صلَّى عَلَيْيَ مَرَّةً وَاحِدَةً أَمَرَ اللَّهَ حَافِظِيهِ أَنْ لَا يَكْتُبَ عَلَيْهِ
ذَنْبًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». وأما قضاء الحوائج والأوطار ؟

فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « الدعاء بين الصلاتين لا يرد » .

وروي أن رجلاً قال : يا رسول الله أي الدعاء أفضل ؟ قال : « الصلاة
علي » قال : أجعل ثلث عبادتي الصلاة عليك ؟ فقال ﷺ : « إذاً هديت »
قال : أجعل ثلثي عبادتي الصلاة عليك ؟ فقال ﷺ : « إذاً كفيت » قال :
أجعل جميع عبادتي الصلاة عليك ؟ قال « من جعل جميع عبادته الصلاة علي »

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) البقرة ٨٣ .

(٣) حديث متفق عليه ولكن له موضع نظر .

قضى الله له جميع حوائج الدنيا والأخرة » وهذا كله مع أداء الفرائض . وأما تنوير الظواهر والأسرار ؟

الصلوة تُنورُ القلب

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « من أكثر الصلاة على نور الله قلبه » وذلك أن الذنوب تسود القلوب لأن العبد إذا عمل ذنباً صار نكتة سوداء في قلبه ، فإذا تمادى على الذنوب نمت تلك النكتة حتى يسود بها القلب كله ، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاحة على محمد ﷺ غفر الله ليه ذنبه ولو كانت مثل وزن الجبال ، فإذا غفرت ذنبه زال السواد عن قلبه وبدأ فيه النور ، لأن الإسلام لا يتم إلا بالصلاحة على النبي ﷺ ، وذلك أنه لو قال عبد ، لا أرى الصلاة على النبي ﷺ واجبة لكان كافراً وراداً على الله ، وخرج عن دين الإسلام وزال نور الهدى عن قلبه قال الله تعالى ﴿أَفَمِنْ شَرِّ الْهُدَايَةِ﴾ فهذا بيان واضح من الله .
وأنشدوا :

نورُ القلوبِ يزيدُ عند صلاتنا للهা�شميٍّ فنورُه لا ينجلِي
فضبياؤنا من ضوء نورِ محمدٍ صلوا على ذاك النبيِّ الأفضلِ

حكاية في كثرة الصلاة على النبي

روي عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فصحبني رجل في الطريق كان لا يقوم ولا يقعد ، ولا يجيء ولا يذهب ، ولا يأكل ولا يشرب ، ولا يتظاهر ولا ينام ، ولا يتصرف في شيء إلا أكثر من الصلاة على محمد ﷺ ، فسألته عن ذلك فقال : أحدثك بعجب عجيب ، خرجت مرة إلى مكة معه والدي فنزلنا منزلًا في موضع من منازل

. (١) الزمر ٢٢.

الطريق فنمت فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : يا فلان قم فقد أمات الله والدك وقد سُود وجهه ، فانتبهت فزعًا مروعًا مما سمعت فإذا هو راقدًا وقد غطى وجهه ، فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه أسود ، فاشتد حزني لذلك وتحيرت في أمره فغلب علي النوم فإذا أنا بأربعة سودان عند رأسه ، وأربعة عند رجليه بآيديهم أعمدة من حديد من نار وهم يريدون عذابه ، بينما أنا أنظر فيما يكون من أمر والدي مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذي كنا فيه ، وأقبل على السودان فانتهزم وقال : تبحروا عنه ، فتحتني السودان عنه من ساعتهم وغابوا عني فلم أرهم ، ثم أقبل علي والدي فمسح بيده على وجهه فإذا هو أشد بياضاً من الثلج ، والنور قد علا وجهه ، ثم أقبل علي فقال لي : بيبن الله وجه أليك وزال عنه السوداد ، فقلت له من أنت فجزاك الله عنه خيراً ، قال : أنا محمد رسول الله ، فقلت له يا رسول الله ﷺ ما كان السبب في مجئك إليه ؟ فقال ﷺ : أما والدك فكان مسرفًا على نفسه غير أنه كان يكثر من الصلاة علي ، فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة علي ، فنمت من نومي فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد إبيض فأخذت في أمره وشرعت في دفعه فما تركت الصلاة على النبي ﷺ بعد ذلك . فإذا كانت الصلاة على النبي ﷺ تورث تنوير الوجه بعد الممات ، فأولى أن تورث تنوير القلوب في الحياة !! وذلك أن الله تعالى جعل شخصه ﷺ نوراً ، وقد سماه في كتابه سراجاً منيراً ، ووصف من اتبع أمره وسته وأحبه بنور القلب ، قال الله تعالى « ألم شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربها »^(١) ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب قال تعالى « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »^(٢) فما لكم عباد الله غافلون عن هذه الفضيلة ، والنعمـة الدائمة الجزيلة ؟ وأنشدوا :

٢٢) الزمر .

(٢) النور ٤٠ .

صلوا على نورٍ تزايده فخرةٌ
 محمدٌ زينُ الخلق شرقاً ومغرباً
 وخيرٌ حبيبٌ لِلإله نبينا
 أتى الخلق والأصنامْ تعبد جهرةً
 فأنقذ بالنور البهي عباده
 فصلوا على خيرٍ الخلائق كلهم

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبينا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله تعالى إذا أراد
 بعده خيراً يسر لسانه للصلاحة على محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإذا أراد بعده شراً جبس
 لسانه عن الصلاة على محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيكون ذلك سبباً لسواد وجهه ، كما أن
 الصلاة لتنوير القلب . وأما قضاء الحاجات والأوطار *

الصلاة تحل العقد

فما روي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من عسرت عليه حاجة فليكثر من
 الصلاة على فإنها تحل العقد ، وتكشف الهم والحزن ، وتكثر الأرزاق » .
 وأنشدوا :

كم بالصلاحة عليه فاز من رجلٍ وكم رأيت بها في الشدة الفرجا
 وأما النجاة من عذاب دار البوار ^(٣) .

الصراط والصلاحة

فما روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « الصلاة على نورٍ على الصراط »
 ومن كان على الصراط من أهل نور الإيمان ، وكثرة الصلاة على رسول الله

(١) حسن مآب : حسن متاب ومرجع وخاتمة .

(٢) تستوجوا : تستحقوا .

(٣) دار البوار : دار الهلاك والخسران كنابة عن جهنم .

رسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ الملك الرحمن ، فلا يكون من أهل الهوان في سعوم النيران ، بل يكون من أهل الأمان في نعيم الجنان ، وأما دخول دار الراحة والقرار *

فما روي عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ أنه قال : « من ترك الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة » فالله الله عباد الله يا إخوانى تبتوا واجتهدوا في الصلاة على خير العباد ، وفخر البلاد وزين الحشرين والمعاد ، فعسى الله أن يجيرنا من العذاب الذي ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاد . ولا تغفلوا عن الشواب الجزيل ، والمملك الدائم الجليل ، بالصلاحة على النبي الأصيل ، الذي نعته في التوراة والإنجيل ، واحمدوا الله الذي فضلكم بالنبي الرؤوف الرحيم ، الذي جاء بالقرآن الواضح الحكيم ، المهيمن القديم ، من عند الملك العزيز الكريم ، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنات النعيم ، وينجينا من العذاب الأليم ، في سواء الجحيم ، مأوى كل كفار أثيم ومنزل كل شيطان رجيم ، وعدو فاسق

* فاجر لثيم

جهنم والصلوة على النبي

ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان في يوم القيمة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتي بجهنم ، فإذا جاء بها وكانت من الموقف مسيرة خمسمائة عام ونظرية إلى أهل المعاصي استند غضبها وتقلب بعضها على بعض ، وغلا بعضها على بعض ، وأخني بعضها على بعض ، زفت زفة فلا يبقى غل ولا قيد ولا سلسلة ولا حبة ولا عقرب إلا أقت الكل ، على ظهرها ، وأكبت ^(١) الربانية على وجوهم ، وانهزم مالك عليه السلام من بين يديها ، فعند ذلك لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسى ، ولا ولد ولا صنف إلا جشا على ركبته ، وفر الناس كلهم هاربين ، ونبينا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة ألف عام ، وهو صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ يلوح إليها بكمه ويقول :

(١) في الأصل ، وأقبلت الربانية ، وهو تحريف خطير .

كفى عن أمتي كفى عن أمتي ، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب به ﷺ وهو يقول : يا نبی الله أنقذني من عذاب الله ، فيقول له ﷺ . ألم أبلغك رساله ربی فلم عصيت ؟ فيقول يا رسول الله غلبت على شقوتي ، فيقول ﷺ لا شقة على أحد من أكثر الصلاة علىٰ فيشفع له عند الله تعالى ، فإذا رأى جهنم نور وجه المصطفى محمد ﷺ خمدت وكفت . فإذا كانت جهنم أخمدتها الجبار ، من نور وجه النبي المختار ، فكيف لا تطفئ الصلاة عليه عن أصحابها جميع الخطايا والأوزار ! وإذا كان نور المصطفى أخمد عظيم النيران ، فكيف لا توجب الصلاة عليه لصحابها جزيل الغفران ؟ وإذا كان نور وجه محمد النبي ﷺ أخمد سمو الجحيم ، فكيف لا تورد الصلاة عليه المقام الكريم والنظر إلى وجه الحكيم العليم ! وأنشدوا :

صَلُوا عَلَى الْمَصْطَفَى يَا أَكْرَمَ الْأَمْرِ
صَلُوا عَلَيْهِ لَعْلَ اللَّهُ يَرْحَمُكُمْ
يَوْمَ الْحِسَابِ وَيَوْمَ الْكَرْبِ وَالْزَّحْمِ
إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُخْتَارِ قَارِئَةٌ
لِقَلْبِ صَاحِبِهَا جَزْءٌ مِنَ الْحُكْمِ
وَهُوَ الدَّلِيلُ إِلَى الْفَرْدُوسِ وَالنَّعْمَ
فَهُوَ الشَّهِيدُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ كُلِّهِمْ

يَا مَنْ تَمَرَّدَ فِي الْأَيَّامِ مِنْهُمْ كَأَنَّ
رَأَيْتَهُمْ كَمَا يَرَى الْمُرَادُونَ

الصلوة بشارية بالجنة

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صلى علىٰ ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة» وأدخل الناس رجل ذكر عنده محمد صلى الله عليه وسلم أو سمع بذكره فلا يصلي عليه . وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يثل مثل ما يقول، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة . فإذا كان العبد عاجزاً لنفسه فهو لغيره أعجز . وأما سلام الرحيم القهار، فهو إن كل من كان مصلياً على النبي صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الجنة . سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى **«سلامٌ قولًا من ربٍ رحيم»**^(٢) وقوله تعالى

(١) الزحم : الزحام

(٢) يس ٥٨ .

﴿وتحيتم فيها سلام﴾^(١) قوله ﴿ويلقون فيها تحيّة وسلام﴾^(٢)، و﴿تحيتم يوم يلقونه سلام﴾^(٣) *

ما للمصلحي عند الله

وروي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ من صلّى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال فيسجد الله شكرًا . فالعبد يجزي بالسلام على النبي المختار ، سلام الملك الجبار . وأنشدوا :

يا راكباً نحو المدينة قاصداً
بلغ صلاتي للنبي محمد
وهو الدليل إلى الشفيع الأجود
وقل السلام عليك يا علم المدي
إن الذي ورث النبوة والهدى
 فهو الدليل لكل عبد مرشد
وترنمك ورقا بصوت تغدو
صلى عليه الله ما هبت صبّا

نكت في فوائد الصلاة عليه

واعلموا رحمة الله أن في الصلاة على النبي الهدى محمد ﷺ إشارات جميلة ونكت كثيرة ، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبي الرشيد ، السيد السديد ، مجرى شهادة التوحيد ، قال تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ﴾^(٤) . وهكذا قال رب القريب والبعيد ، في الصلاة على النبي ﷺ الصادق الرشيد ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾^(٥) إشارة حسنة ونكتة مليحة *

(١) يونس ١٠ .

(٢) الفرقان ٧٥ .

(٣) الأحزاب ٤٤ .

(٤) آل عمران ١٨ .

(٥) الأحزاب ٥٥ .

قال الله تعالى : « فاذكروني اذكركم »^(١) ولم يقل اذكركم عشر مرات ، وقال تعالى وجل وعلا . « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »^(٢) وقد قال ﷺ : « من صلى علي مرتين صلى الله عليه عشرة » فكأن الله سبحانه وتعالى يقول ؟ عبدي إذا أثنت على مرتين أثنت عليك مرتين ، وإذا أثنت على حبيبي مرتين أثنت عليك عشرة لأنه أكرم الخلق على وأجلهم عندي ^{(٣) *}

ثانية : قال الله تبارك وتعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَ عَلَى النَّبِيِّ »^(٤) وقال في المؤمنين « هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور »^(٥) بصلاتكم على النبي المحبوب . وأنشدوا :

فأكثروا التسليم بعد صلاتكم لسيد المختار ذاك الأمجاد
ومن يك ذا بخل شديد بذكرة فذاك عن الحق المنير وبعد

كاشفة الكرب

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من عسر عليه شيء فليكثر من الصلاة على فإنها تحل العقد ، وتكشف الكرب » في دار الإمتحان ، فتأولى أن تنجي في الآخرة من النيران في الدار الباقيه *

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من صلّى على مائة مرة تزحزحت النار عنه مسيرة خمسة أيام » فأكثروا من الصلاة عليه يا أهل ملته . صلّى الله عليه وسلم صلاة مقرونة بالكمال والحسن والجمال ، والخير والإفضال *

(١) البقرة ١٥٢ .

(٢) الحشر ٧ .

(٣) أجدهم عندى : أعظمهم على وأثراهم عندى .

(٤) الأحزاب ٥٥ .

(٥) الأحزاب ٤٣ .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أكثركم على صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة» فالله الله يا معاشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين . وخاتم النبيين ، وارعوا في المقام الأمين ، والتمتع بالحرور العين ، والنظر إلى وجه مولانا رب العالمين *

من أكثر الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «أكثركم على صلاة أقربكم مني مجلساً» وفي هذا الحديث إشارة حسنة ، وهي أن من قرب في الآخرة من النبي نظر إلى وجه العزيز الجبار ، وقرب من النبي المختار ، زحزح جسمه عن النار ، وأسكن دار الراحة والقرار ، في جنات عدن تجري من تحتها الأنهر ، لا يذوقون فيها طعم الحمام^(١) ، ولا يجدون ضر الأسقام ، ولا تلحقهم فتور الآلام ، قد أمنوا من الزوال والانتقال ورضي عنهم الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى جل ذلك الجلال . وأنشدوا :

صلى للإله ومن يحف بعرشه والطيوون على المبارك أَحْمَد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أَبْرَ وَأَوْقَى ذمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
ولا طلعت شمس النهار على أمرئ تقي نقى كالنبي محمد
ولا لاحت الجوزاء شرقاً ومغرباً بـأطيب من طيب النبي محمد

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «أكثروا من الصلاة على فإنها تطفئ غضب الجبار» فأولى أن تطفئ عن المصلي عليه ﷺ في الدنيا كيد الشيطان الفرار . عباد الله الزموا هذه الفضائل ، وارغبوا في هذه المنازل ، وتقربوا إلى الله بهذه الوسائل ، بالصلاحة على النبي المختار من أشرف القبائل ، الذي أوضح الله به الدلائل ، وجعله إليه أكبر الوسائل ، وأنشدوا :

(١) طعم الحمام : طعم الموت .

لا تنس ذكر الهاشمي الأكرم
 فيها النجاة لكل عبد مسلم
 نور تبدى في الغمام المظلم
 فالشكراً لله العلي المنعم
 حب النبي على الأنام فريضة
 إن الصلاة على النبي وسيلة
 صلوا على القمر المنير فإنه
 رحم العباد به عزيز قادر

الصلاحة والدعاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلي على
 عقيب سؤاله ، فترجع الحاجة علي سحابة ، فإذا صلى علي قضيت حاجته ،
 واستجبت دعوته ، وتفتحت له أبواب السماء » فإذا كانت الصلاة عليه ﷺ
 تقضي في الدنيا الحاجات ، فالأولى أن تنجي صاحبها في الآخرة من العذاب
 والعقوبات ، وتدخله الجنات العاليات .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كل دعاء محجوب دون السماء ، فإذا
 جاءت الصلاة على صعد الدعاء » يا أحبائي والله إذا صعد الدعاء ، ارتفع
 البلاء ، ورضي إله الأرض والسماء .

كيف تدعوا الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تجعلوني كفداً للراكب ، فإن
 الراكب إذا أراد أن ينطلق على معاليقه ، وملا قدحه ، فإن كانت له حاجة في
 أن يتوضأ أو يشرب شرب ولا أحراقه ، فليجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله
 وفي آخره » وإنما معنى الحديث أن يكون الإنسان أبداً لا يفتر عن الصلاة
 على النبي ﷺ ، فإذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعاه ،
 فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب . فيجب على من هو من أهل ملة
 محمد ﷺ أن لا يغفل عن الصلاة على النبي ﷺ .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة على فإنها تهـن^(١) كيد الشيطان » فأولى أن تدفع عن المصلي عليه آفات الزمان ، وتحول بينه وبين عذاب النيران ، وتوجب له دار الخلـد والأمان ، وجنة النعيم والرضوان ، وأنشدوا :

إِمْدَحْ نَبِيَ الْهُدَى يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ
وَادْكُرْ فَضَائِلَهُ وَالْدَّمْعَ مِنْهُمْ
وَصَلَّى دَهْرًا عَلَى الْمُخْتَارِ مَجْهُدًا
تَحْتَ الظَّلَامِ وَدَاجِي اللَّيلِ مَنْسِبُلُ
عَسَاكْ تَحْظَى بِدَارِ لَا نَفَادُ لَهَا
نَعِيْمُهَا دَائِمٌ وَالظَّلَلُ وَالْأَكْلُ

فائدة الصلاة على النبي

توسلوا بالصلاـة على النبي الرـفيع ، والـحـبيب الشـفـيق ، يغـفر لكم مـولاكم ما عملـتم من الآـثـام ، ويدـخلـكم برـحـمـته دـارـ الـخـلدـ والـسـلامـ . توسلـوا بالـصلاـة علىـ النبيـ المـختارـ ، يكنـ شـفـيعـكمـ منـ عـذـابـ دـارـ الـبـوارـ^(٢) ، وينـجيـكمـ مـولاـكمـ منـ سـوـمـ النـارـ ، ويدـخلـكمـ برـحـمـتهـ « جـنـاتـ » تـجـريـ منـ تـحـتـهـ الـأـنـهـارـ . توسلـوا بالـصلاـة علىـ النبيـ الصـادـقـ الـأـوـابـ ، يـنجـيـكمـ مـولاـكمـ منـ أـلـيـمـ العـذـابـ ويدـخلـكمـ الجـنـةـ وـحـسـنـ الـمـآـبـ . توسلـوا بالـصلاـة علىـ النبيـ الرـشـيدـ ، يـنجـيـكمـ مـولاـكمـ منـ العـذـابـ الشـدـيدـ ، ويدـخلـكمـ برـحـمـتهـ النـعـيمـ الـذـي لاـ يـبيـدـ . توسلـوا بالـصلاـة علىـ النبيـ الـبـرـ الرـؤـوفـ السـرـحـيمـ يـدـخلـكمـ مـولاـكمـ جـنـاتـ النـعـيمـ ، وينـجيـكمـ برـحـمـتهـ منـ سـوـمـ الـجـحـيمـ *

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : الصلاة على النبي ﷺ ، أمحق للذنوب من الماء البارد للنار . والصلاـة علىـ النبيـ ﷺ أـفضلـ منـ عـقـ الرـقـابـ ، فـاسـمعـوا وـعـواـ ياـ أـوـلـيـ الـعـقـولـ وـالـأـلـبـابـ . وأـنشـدواـ :

تـواتـرـتـ الـخـيرـاتـ شـرـقاـ وـمـغـربـاـ بـذـكـرـ رـسـولـ اللهـ فـيـ السـرـ وـالـجـهـرـ

(١) في الأصل وردت (تهـنـ كـيدـ الشـيـطـانـ) منـ وهـنـ أيـ يـضـعـفـ كـيـدهـ .

(٢) دـارـ الـبـوارـ : جـهـنـ .

فذكرك للمختار فخرٌ ورفعهُ وذكرك للمختار من أفضل الذكرِ
ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان يوم القيمة وضعت حسناً بعض
المؤمنين وسيئاتهم في الميزان ، فترجح سيئاتهم على حسناتهم ، فيشقق
المؤمنون لذلك ، فتنزل صحائفُ بيس من عند الله تبارك وتعالى على
حسناتهم ، فترجح حسناتهم على سيئاتهم ، فيقول الربُّ جل جلاله هذه
صلاتكم على النبي محمد - ﷺ - ثقلت بها موازينكم ، وجعلتها لكم ذخيرة
وقربة . فهذا يا إخواني فضل الله العظيم ، بالصلة على الرسول الرؤوف

* الرحيم

ثبوت الشفاعة

ومن رحمة النبي ﷺ بأمته ما روی عنه ﷺ أنه كان في بعض الأيام
جالساً فقرأ هذه الآية ﴿إِنْ تَعْذِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فبكى رسول الله ﷺ ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له
يا محمد مم بكأوك ؟ فقال ﷺ « فكرت في أمتي » فقال جبريل : يا محمد
الله يقرئك السلام ويقول لك أنا أسترضيك في أمتك . يا أحبائي نبيكم عند
مولاكم مكين ، ومولاكم ذو القوة المتين ، وإنك يا أخي عبد مهين ، فهل
رأيتم مهيناً يعذب بين مكين ومتين ؟ ! مولاكم عظيم ونبيكم كريم ، فهل يضيع
من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكرم ؟ فصلوا عليه كما أمركم مولاكم
في القرآن الحكيم . يا أمة محمد ﷺ مولاكم لطيف ، ونبيكم سيد شريف ،
وأنت يا مؤمن عبد ضعيف ، فهل رأيتم ضعيفاً يضيع بين لطيف وشريف ؟ !
وأنشدوا :

يا إلهي عسى تكون مجيري بصلاتي على البشير النذير
إنني خائفٌ كثيفٌ حزينٌ أن أصلى بحر نار السعير
أيها الناس بادروا ثم جذوا بصلةٌ على السراج المنير

وكتاب من السميع البصير
ما يؤدي إلى النعيم الكبير
سوف تنجوا من حرّ نار الزفير
ليس تبلى من عند رب قدير^(١)

ذلك خير الأئم جاء بصدق
فيه أمر وفيه نهي وفيه
لا تملوا من الصلاة عليه
ثم تحظوا بها بدار نعيم

المداومة على الصلاة عليه

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم و المسلمة أن لا يدع الصلاة على النبي ﷺ حيناً ولا وقتاً ، ولا يذكرها في الشدائد ويدعها في الرخاء ، فيكون كمن ي عمل للدنيا دون الآخرة ، إنما يجب عليك أن تصلي عليه في صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك وأكلك وشرابك وسائر تصرفاتك ، فتعود عليك بركتها ، وتقبل عليك خيراتها ، وتقضى بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله ﷺ ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان ، تصلي بها كلها عليه لأن الله تبارك وتعالى جعله سبباً لخلاصك من النار ، ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار *

مهر حواء أم البشر

ذكر في بعض الأخبار أن آدم عليه الصلاة والسلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقال آدم يا رب من هذا الذي كتبت إسمه مع إسمك ؟ فقال الله تعالى يا آدم هونبي وصفني وهو حبيبي ، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً . فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال يا رب زوجني منها ، فقال الله تعالى وما مهرها يا آدم ؟ فقال يا رب ما أعلم ، قال الله تبارك وتعالى يا آدم صل على محمد عشر مرات ، فصلى آدم عليه كما أمره العجبار جل جلاله ، فزوجه الله سبحانه منها وكان صداقها

(١) في الأصل وردت الثلاثة أبيات الأخيرة نثراً وأصلاحها عثمان خليل شرعاً .

الصلة على محمد المختار مهراً لأمة الملك الجبار ، فكيف لا تكون صلاتنا عليه مهراً للحور العين في دار القرار ، ومن دخل دار القرار نجا من عذاب النار ، لأنه قال ﷺ : « أكثركم علي صلة أكثركم أزواجاً في الجنة » *

إشارات وبشارات

إشارة حسنة ؟ وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار ، لأن الله تعالى إذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم *
أخرى ؟ قال الله تعالى : « مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض »^(١) قوله « وكان لم تغن بالآمس »^(٢) فإذا جاءت الساعة بعذابها وأهواها ذهب نبات الأرض وتلاشى في جنب العذاب حتى تبقى الأرض كان لم يكن فيها نبات قط ، وإذا كان هذا فعل العذاب فرحمه الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين في جنبها كان لم تكن قط . هذا في رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف في عشر مرات ! لأن النبي ﷺ قال : « من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات » فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات ، بكثرة صلاتهم على سيد السادات ، وخير البريات *

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبي ﷺ إلا كان ذلك المجلس عليهم وبالآخرة يوم القيمة فترثينا يا أمته وزينوا مجالسكم بالصلاحة على نبيكم ﷺ *

مكرفات الذنوب

روي عن النبي ﷺ أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه في مرقة من

(١) الكهف ٤٥ .

(٢) يونس ٢٤ .

المنبر فقال آمين ، وقال آمين في الدرج الثاني ، وقال آمين في الدرج الثالث ، ثم قال ﷺ : « جاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد من أدرك أحد والديه أو كلاهما ومات ولم يغفر له فتدخل النار فأبعده الله فقلت آمين ، ثم قال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فتدخل النار فأبعده الله قلت آمين ، ثم قال يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر له فتدخل النار فأبعده الله فقلت آمين » *

روي عن النبي ﷺ المختار « من صلى على لم يلج النار » *(١)

اللهم صلي على محمد ما اتصلت عين بنظر ، وتزخرفت أرض بمطر ،
ووجه حاج واعتمر ، ولبي ونحر ، وحلق وقصر ، وطاف بالبيت وقبل الحجر *

اللهم صلي عليه وعلى آله صلاة لا نفاذ لها ولا انقطاع ، صلي الله
عليه عدد من يصلى عليه وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيمة ، وصلي
عليه عدد الذاكرين ، وغفلة الغافلين ، وحشرنا وجميع المسلمين ، في زمرته
يوم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

(١) وبذلك تكون قد انتهينا من شرح هذا الكتاب النفيس القيم للإمام ابن الجوزي ، وقد بذلنا فيه جهداً كبيراً في تصويب ما ورد فيه من أخطاء وأضفتنا في هواه ما احتاج من تعليلات وتعقيبات عسى أن يعم نفعه ونسأ الله أن يجعله في صالح أعمالنا وصالح المؤلف يوم يقوم الناس لرب العالمين وأآخر دعواه أن الحمد لله رب العالمين .

ثبات المراجع

هذه هي أهم المراجع التي عولنا عليها في شرح وتصحيح مذا
الكتاب :

- القرآن الكريم
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .
السيرة النبوية لابن هشام .
القيامة رؤية العين ، تأليف محمد محمود الصواف .
الكاف الشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري .
المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري .
جامع البيان لابن جرير الطبرى .
دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني .
سکرات الموت تأليف السيد الجميلى
سنن أبي داود
سنن الترمذى
سنن النسائي

سنن الدارمي

سنن ابن ماجة

سنن البيهقي

صحيحة البخاري

صحيحة مسلم

لسان العرب لابن منظور

مسند أحمد بن حنبل .

مشاهد القيامة في القرآن تأليف سيد قطب .

معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطى تحقيق علي محمد البحاوى .

مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى .

موطأ الإمام مالك .

مواقف يوم القيمة للسيد الجميلي .

وفيات الأعيان لإبن خلkan .

يقطلة أولى الإعتبار بما ورد في ذكر النار وأهل النار للشيخ صديق حسن خان .

فهرس الكتاب

بستان الوعظين ورياض السامعين

المجلس الأول: في الاستعاذه ٢٥

تفسير الاستعاذه. نصائح. كيفية الاستعاذه. تحذير من الشيطان. التعود
عبادة. تعود النبي. أحاديث في عذاب القبر. أسباب عذاب القبر. القرآن يأمر
بالاستعاذه. لكل أحد شيطان. فرح الشيطان بال العاصي الجاهل. جنود إبليس.
محاورة إبليس لموسى. أصل البخل والكرم. نجاة المستعيد من العذاب. خصال
الخير عن الإمام علي. من رأى إبليس من الصحابة والصالحين. وقایة الله من
إبليس. ضعف الإنسان والشيطان. دعاء يعصم من الشيطان. لماذا حجب الله
إبليس. زينة السماء. طهارة العاصي ونجاسة المعصية. التمسك بالسنة وعدم
خالفتها. كيف أهلك النبي عفريتا سليمان وإبليس. نصائح من خطبة الوداع.
أعوان الشيطان من بني آدم. آدم وخروجه من الجنة. اختصاصن إبليس ببعض
الجهات.

المجلس الثاني: في ذكر القيامة وأهواها أجارنا الله منها ٤٥

سورة الزلزلة وما تشير اليه. صفة إسرافيل. خشية النبي من هبوب الريح.
متى ينفح في الصور. كيف يموت جبريل. كيف يموت ميكائيل. كيف يموت
إسرافيل. كيف يموت عزراطيل. من الملك اليوم؟. كيفية بعث الموت. صفة
الصور. أين يقف إسرافيل. ملزمة الأعمال للأ Cassidy. العمل السوء وهياته.
إخراج الأرض ما فيها. مدة النفح في الصور. هيئة أرض الحساب. كيف يقف
الناس في المحشر. مقدار زمن المحشر. بكاء النبي من أحوال القيمة - معنى دك
الأرض وانشقاقها. الأمن والخوف. ملائكة سماء الدنيا. ملائكة السماء الثانية.

الجبارية في الحشر كالذر. حديث في أهواك القيمة. شدة الحر والظل. مطر الرحمة. ترهيب من أهواك المحشر. جهنم في المحشر. وصف جهنم. بطش جهنم. رد الرسول جهنم عن الخلائق. جهنم وزفيرها. الزفراة الأولى. الثانية. الثالثة. الرابعة. بماذا تحمد النار. من أسباب غفران الذنوب. هذا يوم الدين. موعدة كعب الأحجار. حديث في الترهيب. سجود جهنم.

المجلس الثالث: في ذكر الميزان والصراط ٧٥

انتخار الوحوش على بني آدم. صفة الصراط. حسن العمل والصراط. الموازين يوم القيمة. وزن الأعمال. كلمة التوحيد. فضل الصدقة. شفاعة الرسول. ما يثقل الميزان. الرأس في الخبر والرأس في الشر. وزن أعمال العباد. نور الرسول على الصراط. فضل الصلة على النبي. جسور جهنم. القنطرة الأولى. القنطرة الثانية. تأدية الأمانة وتضييعها. القنطرة الثالثة. صلة الرحم. القنطرة الرابعة. شكر الوالدين. القنطرة الخامسة. ترك الغيبة والنعيمة. كلمة الشر وعداها. شهادة الزور. القنطرة السادسة. إكرام الضيف. البركة مع الضيف. ينزل الضيف برزقه. إطعام الطعام. حفظ الجار. تعلق الجار بالجار. الوصية بحفظ الجار. القنطرة السابعة. الصدق والكذب. كلبة المؤمن بثمانين خطيبة. نجاة الصادقين. الصلة تحيوز على الصراط. كيفية الجواز على الصراط. أقسام الناجين على الصراط. حديث في العناية بالنساء. آكل الربا. المتصدقين سراً وعلانية. آخر من يبقى على الصراط. باب الجنة. منازل الجنة. فائدة للجواز على الصراط. شفاعة الناس بعضهم لبعض. لا تقبل صلاة شرّاب الخمر. التوبية من الخمر وثوابها. فضل المؤذنين. فضل العلماء. فضل حلة القرآن. من لم يعمل بالقرآن. فسحة حلة القرآن. ما خلف الصراط.

المجلس الرابع: في قوله سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم» ١١٣

سؤال العباد يوم القيمة. ظلمات الكفر والمعصية. السور الحاجز بين الجنة والنار. صفة المنافق. بئر المبهب. أهل الأعراف. شفاعة أهل الجنة في أصحاب الأعراف. حياء آدم. حياء نوح. حياء موسى. حياء عيسى. شفاعة محمد. دخوله جنة عدن. سجوده بين يدي الله تعالى. جاه المصطفى العظيم.

المجلس الخامس : في قوله تعالى: (يُوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا)

وفي حساب الملائكة والرسل واللوح المحفوظ ١٢٥

تبكيت الله تعالى للجيابرة. تفسير الجبار. نصيحة السائق والشهيد. اللوح المحفوظ. رسالة ميكائيل. رسالة إسرافيل. رسالة جبريل. شهادة نوح. جاء الرسول الأعظم. فضل أبي بكر الصديق. منبر الرسول والمحشر. الشواب والعقارب. فائدة التوبية. عمل العبد يلزمها. الحض على التوبة. ما تحريره الآية. حكاية عن أحد الصالحين. رقة عبد الله بن مروان. توبيخ الله تعالى للعباد. السؤال لا يدع ذرة . سؤال الله تعالى للعباد .

المجلس السادس : في قوله سبحانه وتعالى (يُوْمَ تَجِدُ

كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ حَضْرًا) ١٤٥

حكم قدسية. النداء باسماء الخلق. أهل الرشاد والتوفيق. شفاعة العبد المؤمن. حكاية عن ذي الثون المصري. رجع إلى الموعظة. جهنم وشلتها. زينة الدنيا الزائلة. صاعقة جهنم. من أيض وجهه. حكاية ذي الثون عن الراهن الصامت. تقسيم العمر على الأعمال.

المجلس السابع : في قوله تعالى (فَمَا مِنْ أُوْتَيْ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ) ١٥٧

أين الكتب يوم القيمة. أول الناس حسابا. كتاب الحسنات. كيفية السؤال. غفران الذنوب. لباس المكرمين. أشد الناس عذابا. كتاب السيئات. صفة العذاب للمكافرون. طعام أهل النار.

المجلس الثامن : في قوله تبارك وتعالى (وَوُضُعَ الْكِتَابُ) ١٦٩

الفرق بين الحسنة والسيئة. النجاة في ذكر الله. حكاية عن رقة ابن واسع. احاطة الكتاب بكل شيء. حكاية في كتابة الكتب. البسمة وبركتها. حكاية عن عيسى عليه السلام. حكاية في الاعتماد على الله. حكاية عن مالك بن دينار. دعاء ابن واسع. عجائب الكتب. ضرب مثل في رقة القلب. حكاية عن التوبية. الدموع غسل الذنوب. فضل البكاء.

المجلس التاسع : في ذكر الجنة وأوصافها وما أعد الله لأوليائه فيها ١٨١

آيات في الجنة. أحاديث في الجنة. شجرة طويلى. وصف الجنة. رواحل الجنة. إكرام الله تعالى. براذين الجنة. مصافحة الملائكة. عدد الجنات وأسماؤها.

الحور العين. صفة الحوز. دار السلام. جنة عدن. جنة الخلد. درجات أهل الجنة. طعام الجنة. دلال الحور. لباس أهل الجنة. أول من يدخل الجنة. مساكن الجنة. طبور الجنة. أنهار الجنة. سرر الجنة. أرايتك الجنة. زوجة الدنيا. تبادل الحب. ضفائر الجمال. الوصائف. ضيافة الله. وفد الله. كرامة الله لعباده. سوق الجنة رؤية الله تعالى. المتخابون في الله. حلل الجنة. خواتم الجنة. نواف الجنة. أمانى أهل الجنة.

المجلس العاشر: في قوله تعالى: **(وكُلْ نفس ذاقَةَ الموتِ)** ٢٠٥

ذكر الموت. حكاية عن الريبع. سكرات الموت. آلام الموت. طعم الموت. داود والذرة. موسى وموعظته. نوح وخوفه. سكرات الموت. ذكر الموت. مواعظة حسنة. أسماء العباد. نوح وزهرة. عيسى والجمجمة. عمرو بن العاص عند موته. سليمان وملك الموت. سعيد بن المسيب والجن. صلحاء الجن. العبد وربه. عمر بن الخطاب وعظته. حث النبي أصحابه على ذكر الموت: ذكر الموت والعمل. حكایة في الزهد. عظة ابن مسعود. الداء والدواء. عظة عمر بن عبد العزيز. القرآن والموت واعظان. شدة الموت. تمني الموت. دعاء مجرب.

المجلس الحادي عشر: في موت الأنبياء والأولياء والصالحين ٢٣١

صفة الموت. عظة الموت. أبو العناية الشاعر. مثل الدنيا والموت. ملاقاً الأرواح. أعمال الأحياء والأموات. المتابزة. قبض أزواج الصالحين. ملائكة الرحمة. سؤال الملائكة. نعيم القبر. سليمان وملك الموت. نداء الموت. عظة من الغفلة. نداء الملك. حكاية عن واعظ: خشبة عيسى ملك الموت. حديث في ملك الموت. نداء الميت. سؤال الرجوع للدنيا. ٤٨٠٠٠ قبيلة. رحمة الله بالمسرفين. حكایة عن الحسن. حكایة عن بعض الصالحين. شاب عاصن غفر له. عظة للاستعداد للموت. الموت يتقي الخيار. عمل الملائكة. المبادرة بالتوبية. السنفي والزنديق. رفق ملك الموت بالمؤمن.

المجلس الثاني عشر: في ذكر القبور ٢٥٩

حكایة في الخوف من الله. حكایات عن الصالحين في الخشية من الله. صفة القبر. أشد ما على الميت. عظة للنبي. العبرة بالقبور. دعاء لأهل القبور. حكایة عن الأصممي. حكایة عن الحسين. نداء القبر لساكنيه. بكر بن حماد. حكایة عن أحمد بن أبي الحواري. عيسى والمدينة الخربة. ابن عباس وابن الخطاب. عظة نفسية. حكایة عن ابن السمák. حكایة عن بعض الصالحين. مواعظة ابن عباس. حكایة عن الحسن البصري. نباش القبور. حكایة عن أبي الأسود. حديث في منكر

ونكير. غرور. الملك الزاهد. موعظة للبهلوان. حديث في هدية أهل القبور.
الصدقة والدعاء للميت. رجاء الأموات للأحياء.

المجلس الثالث عشر: في فضل الصيام ٢٩٥.....

فضل رمضان. تقسيم الصوم. الصوم النغوي. صيام الجوارح. عقاب نظره
في الحرام. عقوبة الزنا. آفات الزنا. الصوم الشرعي. حكاية الأنصاري. قصة
عمر بن الخطاب وغيره. الأعرابي المجتهد. ثواب الصيام. فضل الصلاة على
النبي. صيام الدهر. التوبة في رمضان. أحاديث عدة في فضل رمضان. عظيم
فضل رمضان. الصيام والقرآن شفيعان. الصيام بباب العبادة. فضل السحور.
شدة العقوبة في رمضان. كف الجوارح عن الشرور. أصل رمضان في اللغة. عظة
بلية. تقسيم الصوم والصائمين. تثيل الشهور كأخوة يوسف. نكت في ذلك.
أولاد يعقوب ورمضان. رمضان في القيمة. خسان العاصي في رمضان. موعظة
للحسن البصري. الصيام بباب العبادة. فضل الجوع. سبب فريضة رمضان.
رمضان رسول من الله. أحاديث في فضل الصيام.

المجلس الرابع عشر: في تحريم الخمر وما جاء فيها..... ٣٢٧.....

تحريم الخمر. حزنة عم النبي والخمر. عمر بن الخطاب والخمر. ابن أبي
جهونة والخمر. سعد بن أبي وقاص والخمر. أحاديث في تحريم الخمر. الخمر شر
كله. قول ابن عباس في السكران. ثمن الخمر خسار. كيف سكر حزنة. قراءة
السكران. من مات يدمن الخمر. عذاب شارب الخمر. شارب الخمر في القيمة.
الخمر جريمة عظيمة.

المجلس الخامس عشر: في فضل يوم عاشوراء ٣٤١.....

ثواب صيامه. الغسل يوم عاشوراء.. النفقه على العيال. بنو اسرائيل
وعاشوراء. صيامهم له. كل معروف صدقة. أهل المعروف. إخراج الزكاة. اللعنة
على مانع الزكاة. من شبع وجاع جاره. حديث في ذم الشع. عظة في الحضن على
الزكاة. من خلف ثروة لبيت المالسائل في حلقة ابن عمار. تحذير من البخل.
من أقرض الله فضاعفه له. يوم عاشوراء وقتل الحسين. الحسين وجده. رؤيا ابن
عباس لمقتل الحسين. آيات ظهرت لمقتل الحسين. حكاية غريبة. حكاية عن قتله
الحسين. من استخف بالحسين. بر سليمان بن عبد الملك للحسين. في قتل
الحسين. عمرو بن الليث. من فضائل عاشوراء. خاتم سليمان. كيف نجا
الأسير. دعوات صالحة.

المجلس السادس عشر : في قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ . . . ٣٦٧

قلب المؤمن . النور هو الذي . شجرة الزيتون . المساجد لذكر الله . كلمة السوء . الزهاد الخائفين . خيار الأمة . صفة المؤمنين .

المجلس السابع عشر : في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَ عَلَى النَّبِيِّ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ ٣٨١

الصلوة على النبي وشفاعته . الصلوة عليه في يوم الجمعة . عجيبة . فضل المصلي وأبي بكر . حكاية الشافعي عن مؤمني الجن . أوتاد المجالس . صيغة الصلاة . ثلاثة تحت ظل العرش . للصلوة رائحة طيبة . الإمام الشافعي . أبخل الناس . أنجاكم أكثركم صلاة . ثمرة الصلاة . الملائكة تستغفر للمصلي . مقام الشبل . إبلاغ الصلاة إلى الله . صلاة الملائكة . من كتب الصلاة في كتاب . الصلاة تبلغه عن العباد . حسناوات الحرم . الصلاة صلة تعارف . طيب مجلس صل فيه عليه . حكاية عن نسخة أكثر من الصلاة . عدد الصلاة عليه . صفة الرسول والثانية عليه . صيغة للصلوة .

مجلس ثان من المجلس السابع عشر :

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَ عَلَى النَّبِيِّ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ ٤٠٣

في الصلاة عشر كرامات . أحاديث في فضل الصلاة . الصلاة تدور القلب . حكاية في كثرة الصلاة على النبي . الصلاة تحمل العقد . الصراط والصلوة . جهنم والصلوة على النبي . الصلاة بشارة بالجنة . ما للمصلي عند الله . نكت في فوائد الصلاة عليه . كاشفة الكرب . من أكثر الصلاة عليه . الصلاة والدعاء . كيف تدعوا الله . فائدة الصلاة على النبي . ثبوت الشفاعة . المداومة على الصلاة عليه . مهر حواء أم البشر . إشارات وبشارات . مكفرات الذنوب .

| | |
|-----------|----------------|
| ١٩٨٨/١٩٥٥ | رقم الإيداع |
| | الترقيم الدولي |

٢/٨٧/٦٩٠

طبع بطباعي دار المعارف (ج.م.ع.)